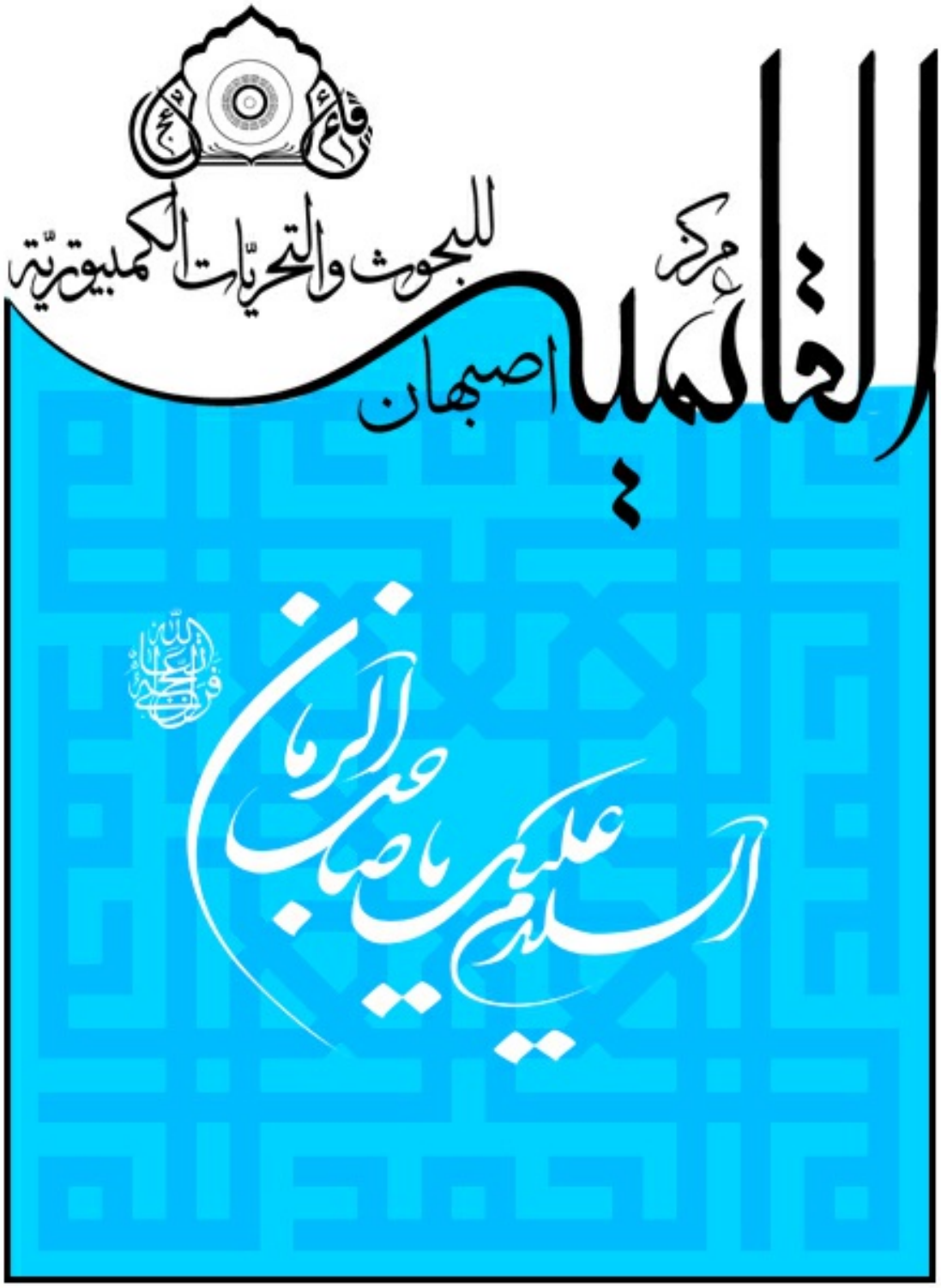

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة الرسائل الجامعية

٧

الاختلافات في فهم البلاغة

دراسة تاريخية موضوعية

٥٩

بسم الله الرحمن الرحیم

الغيبيات في نهج البلاغة

كاتب:

غزوان عبد الكاظم المرزوك

نشرت في الطباعة:

مؤسسة علوم نهج البلاغة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

الغيبيات في نهج البلاغة 7

هوية الكتاب 7

اشارة 8

الإهداء 14

مقدمة المؤسسة 16

مقدَّمة الكتاب 18

المبحث الأول: الغيب في القرآن الكريم 28

أولاً:- الغيب في اللغة: تطلق على كل ما غاب عن الحواس وكان مستوراً ومحجوباً عنها 28

ثانياً:- الغيب في القرآن: 31

ثالثاً- أنواع الغيب: 36

رابعاً- الغيب في القرآن الكريم: 38

خامساً- الأخبار الغيبية في القرآن الكريم: 40

المبحث الثاني: الغيب عند الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين 49

أولا: الأنبياء عليهم السلام: 49

ثانياً: الصالحين: 63

المبحث الثالث: الغيب عند النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) 68

أولاً- أخبار الرسول الغيبية عن مصير أصحابه: 69

ثانياً- أخبار الرسول الغيبية عن أهل بيته: 77

ثالثاً- أخبار الرسول الغيبية عن الدولة الأموية: تعرض القرآن الكريم إلى خبث طينة بني أمية وعدائهم الشديد لأهل بيت النبوة (عليهم السلام) وعدم إيمانهم بالله جل جلاله، ففي آية ضرب الله لهم مثلاً، فقال تعالى: 93

رابعاً- أخبار الرسول صلى الله عليه و آله الغيبية عن الدولة العباسية: 103

المبحث الأول: الأخبار الغيبية عن الخوارج 110

المبحث الثاني: الأخبار الغيبية عن الدولة الأموية 145

أولاً:- سيطرة الأمويين على الخلافة: 145

ثانياً:- معاوية بن أبي سفيان: 158

ثالثاً:- مروان بن الحكم: 168

رابعاً- عبد الملك بن مروان: 173
خامساً- الحجاج بن يوسف الثقفي: 177
سادساً- سقوط الدولة الأموية: 181
المبحث الاول: الأخبار الغيبية عن العراق 190
أولاً- البصرة: 190
ثانياً- الكوفة: 208
المبحث الثاني: الأخبار الغيبية عن فتن آخر الزمان وعصر ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف) 219
أولاً- الأخبار الغيبية عن فتن آخر الزمان: 219
ثانياً- الأخبار الغيبية عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه): 234
الخاتمة: 254
روافد البحث 264
أولاً- المصادر 264
ثانياً- المراجع 279
ثالثاً- الرسائل والأطاريح 284
المحتويات 286
تعريف مركز 289

الغيبيات في نهج البلاغة

هوية الكتاب

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية 1357لسنة2016م مصدر الفهرسة:

رقم تصنيفLC: IQ-KaPLI ara IQ-KaPLI rda

BP38.5.G3 M320 المؤلف الشخصي: المرزوك، غزوان عبد الكاظم.

العنوان: الغيبيات في نهج البلاغة: دراسة تاريخية.

بيان المسؤولية: تأليف غزوان عبد الكاظم المرزوك؛ تقديم سيد نبيل قدوري الحسني.

بيانات الطبعة: الطبعة الأولى.

بيانات النشر: كربلاء: العتبة الحسينية المقدسة- مؤسسة علوم نهج البلاغة.

1437ه= 2016م.

الوصف المادي: 280صفحة.

سلسلة النشر: مؤسسة علوم نهج البلاغة.

تبصرة عامة: تبصرة ببيلوغرافية: يتضمن هوامش- لائحة المصادر (الصفحات257- 277).

تبصرة محتويات: موضوع شخصي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، 359- 406هجرياً. نهج البلاغة. شرح.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23قبل الهجرة- 40هجرياً- أحاديث.

موضوع شخصي: علي بن أبي طالب (عليه السلام)، الإمام الأول، 23قبل الهجرة- 40هجرياً- الغيبيات.

مصطلح شخصي: محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، نبي الإسلام، 53قبل الهجرة- 11هجرياً. الغيبيات- أحاديث.

مصطلح موضوعي: الغيبيات- أحاديث.

مصطلح موضوعي: آخر الزمان- أحاديث.

مصطلح موضوعي: الغيبيات في القرآن.

مؤلف إضافي: الحسني، نبيل قدوري حسن، 1965م، مقدم.

مؤلف إضافي: الشريف الرضي، محمد بن الحسين بن موسى، 359- 406هجرياً. نهج البلاغة. شرح- عنوان إضافي: نهج البلاغة. شرح.

تمت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

ص: 1

اشارة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص: 2

ص: 3

جميع الحقوق محفوظة للعتبة الحسينية المقدسة الطبعة الأُولى 1437ه- 2016م العراق:كربلاء المقدسة- شارع السدرة- مجاور مقام على الاكبر عليه السلام موسسة علوم نهج البلاغة هاتف: 07728243600 - 07815016633 تاموقع الالكتروني: A www.inahj.org Email: Inahj.org@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم «مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ» صدق الله العلي العظيم سورة آل عمران: 179.

الإهداء

إليك... يا أسد الله الغالب إليك.... يا علي بن أبي طالب أُهدي ثمرة جهدي نيابة عن أُمّي...

التي أرضعتني حبه وفارقتني...

قبل أن تنتهي أناملي من كتابة هذه الرسالة غزوان

ص: 7

مقدمة المؤسسة

الحدث التاريخي الغيبي الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والصلاة والسلام على أتم النعم وأفضلها محمد وآله الأخيار.

أمّا بعد:

فإنّ موضوع الغيب من الموضوعات العقدية المهمة التي زخرت بها المدارس الفكرية في الإسلام؛ فضلاً عن مجالها المعرفي التاريخي الغيبي الذي يسبق وقوع الحدث، وهي خاصية ينفرد بها (الحندث التاريخي الغيبي) في القرآن الكريم وعند العترة المطهرة، وهو مصطلح جديد ينبغي على الباحثين فى الدراسات التاريخية العناية به ودراسته دراسة مسفيضة؛ وذلك: أن الأحداث التاريخية إنّما يسبقها المفهوم بوقوعها في الزمن الماضي, أمّا حال وقوعها في الزمن القادم أو المستقبل فهو مما اختص به الباري عزّ وجل فهو وحده العالم بحوادث الأمور القادم والمكنونة في علمه, وهنو المقدر بلطفه وسابق علمه لها فيُطلع عليها من يشاء من أنبيائه ورسله وأوليائه الذين اصطفاهم حججاً على خلقه؛ ويُعَرِّفنا عزَّ شأنه بالمقدمات والنتائج لتكون بذاك إعجازاً يقف البشر له حائرين ولسماعه وجلينَ.

ص: 9

وقد سار الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام على هذا المنهج القرآني في عرض (الحدث التاريخي الغيبي)، فكشف كثيراً من الأحداث التاريخية التي ستقع في الزمن القادم مع بيان مقدما الأحداث ونتائج وقوعها.

وقد قام الباثث في هذه الرسالة الجامعية الموسومة ب (الغيبيات في نهج البلاغة دراسة تأريخيه) بوضع المقدمات العلمية لمتطلبات المنهج البحثي التاريخي ثم اتبعه بعرض الشواهد التي وردت في كتاب نهج البلاغة وهي تحمل الغيبيات بمفهومها المتفرد في عرض الحدث التاريخي الواقع لا محالة في الزمن القادم ودمجه في الزمن الحاضر ليتحول من أمر مغيب عن العقول والقلوب والأبصار والأسماع إلى أمر أصبح وقوعه قطعياً.

السيد نبيل قدوري حسن الحسني رئيس مو سسة علوم نهج البلاغة

ص: 10

بسم الله الرحمن الرحي

مقدَّمة الكتاب

الحمـد لله الـذي هـدانا لهـذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله والصـلاة والسـلام على مَن كان نبياً وآدم بين الماء والطين وعلى ذوي قرباه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وعلى الخيرة من أصحابه المنتجبين.

لا ريب أنّ رحلة البحث في نهج البلاغة شاقة وشيقة في الوقت نفسه، فهي شاقة؛ لأنَّ الإحاطة بكلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أمر عسير، لغنائه وثرائه بمختلف العلوم والمعاني، والباحث فيه على خطر عظيم إما النجاح وإما الفشل ولا سبيل ثالث لهما.

ومما لاشك فيه أنّ نهج البلاغة أثر إنساني خالد لا يحده مكان، ولا تنتهي له الحاجة في زمان، فهو من الآثار الإنسانية التي لم توضع لفريق من دون فريق، ولم يراع فيها شـعب من دون شـعب, وإنّما خوطب بها الإنسان أينما وجد، فهذا الكتاب بحد ذاته يعد إرثاً حضارياً، وثقافياً، ودينياً وإنسانياً وتاريخياً، فهو

من الآثار التي تقل نظائرها في التراث الإنساني على ضخامته.

لقـد قيل عن نهـج البلاغة (إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق)، فهو معجزة البلاغة التي تموج بكلِّ المعاني السامية، وكتاب إنساني بكل ما لهـذه الكلمة من مدلول، فهو إنساني باحترامه للإنسان وحقوقه في زمن كان الفرد الإنساني لا قيم له, ولحقوقه عند الحاكمين؛ فلهذا ولغيره كان نهنج البلاغة، وسـيبقى على الدهر اثراً من جملة ما يحتويه التراث الإنساني من الآثار القليلة التي ترنو اليها البصائر حين تكتنفها الظلمات، وحق له أن يكون كذلك وهو عطاء إنسان كان كوناً من البطولات، ودنياً من الفضائل، ومثلاً أعلى في كل ما يشرف الإنسان.

في ضوء ما تقـدم ذكره، وانطلاقاً من رغبة الباحث في أن تكون دراسـته الاكاديمية في مرحلة الماجستير تتمحور حول هذا الكتاب العظيم، لما فيه علم واسع مترامي الأطراف يطمـح كل انسان أن يبحث بكل موضوع فيه، فضـلاً عن الغايـة الساميـة في مشوار البحث العلمي، وأي غايةِ أسـمى من أن تكون هذه الرسالة تتمحور حول الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وما جاء في نهج البلاغة من الغيبيات عن أخبار المستقبل. فالحمد لله تعالى الذي يَسّر للباحث اختيار موضوع هذه الرسالة (الغيبيات في نهج البلاغة/ دراسة تاريخية).

هذه الرسالة ليست الأولى التي تتمحور حول نهج البلاغة، حيث هناك العشرات من الرسائل والاطاريح التي اختصّت بهذا الكتاب العظيم، وفي مختلف التخصّصات الإنسانية، كالاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبلاغية

والنحوية والفلسفية والتاريخية وغير ذلك؛ لكنها يمكن أن يقا إنّها الأولى في تناول موضوع الغيبيات التي أخبر بها أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الكتاب، مع الإشارة إلى أنّ الموضوع تم عرض التعرض له بشكل عرضي من قبل الدكتور جواد كاظم النصر الله في أطروحته الموسومة (شرح نهرج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن امام علي (عليه السلام)/ دراسة وتحقيق)، إذ جرى في هذه الاطروحة استعراض الأخبار الغيبية التي ضمها كتاب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، التي فيها اختلاف كبير عن الغيبيات التي أوردها الشريف الرضي في نهج البلاغة، فقد عمد ابن أبي الحديد في شرحه لاستعراض العديد من تلك الاخبار والتي لم يذكرها الشريف الرضي في كتاب نهج البلاغة؛ لأنه توسع في كلمات أمير المنؤمنين (عليه السلام) معتمداً في ذلك على مصادر عديدة أهملها الشريف الرضي؛ رغبة منه في الاختصار للخروج بكتاب ذا طابع أدبي وبلاغي بعيداً عن السرد التاريخي.

أما المنهج البحثي الذي اتبعته فقد كان قائماً على استعراض دقيق للأخبار الغيبية التي صرح بها الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة وإلقاء الضوء على هذه الأخبار والروايات من مختلف الجوانب, ومحاولة التقرب منها عن طريق المصادر التاريخية التي ذكرت تلك الأحداث وأيضاً التعرف على الآراء المتعددة لشراح نهج البلاغة، سواء من المصادر الاصيلة أم المراجع الحديثة، من غير الختصار على رأأى محدد.

إذان البحث انتظم في ثلاث فصول، حيث حمل الفصل الأول عنوان (الغيب

في القرآن الكريم والأنبياء الـذين اطلعهم الله تعلى الغيب)، ويشـمل على ثلاثـة مباحث، الأول: يتناول الغيب في القرآن الكريم، وتمت الاشارة فيه الى أنواع الغيب وأقسامه واسـتعراض بعض الآيات القرآنية التي حملت أخباراً غيبية، أما المبحث الثاني: فقد تمحور حول أنبياء الله والصالحين الـذين اطلعهم الله على بعض الغيبيات، لتكون أدلة وبراهين على صدقهم وصدق ما جاؤوا به، بينما كرس المبحث الثالث للغيبيات التي أخبر بها رسولنا الصادق الأمين محمد؛ إذ كرس لها مبحث منفرد عن باقي الأنبياء؛ لكثرة تلك الروايات والإخبار الغيبية التي ينقلهـا الرواة والمؤرخون عن رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) التي لا تغطّيها مباحث ولا فصول ولا رسائل، بل تحتاج الى مؤلفات ضخمة وكثيرة لإيفاء حقها.

أما الفصل الثاني فكان عنوانه (الأخبار الغيبية عن الخوارج والدولة الاموية), وقد قسم على مبحثين، الأول: تناول الأخبار الغيبية التي تكلم بها الإمام علي (عليه السـلام) على الخوارج ومصـيرهم المظلم, بينما خصـص الثاني: للأخبار الغيبيـة عن الدولة الأموية وسـيطرتها على الخلافة الإسلامية من بعده، كذلك مصير بعض رجالا هذه الدول ونهايتها المأساوية فيما بعد.

وختـام الفصول كـان الفصـل الثـالث: الـذي أطره عنواناً هو (الأخبار الغيبيـة عن العراق وفتن آخر الزمان وظهور امام المهـدي (عجل الله فرجـه)، وقـد أماط هذا الفصل اللثام عن مبحثين، الأول: سـلط الضوم على الأخبار الغيبية التي أخبر بها أمير المؤمنين (عليه السـلام) عن العراق متمثلاً بأخبار البصرة والكوفة، اما

المبحث الآـخر : فقـد تنـاول آخر الزمـان وظهور الإمـام المهـدي المنتظر (عجل الله فرجه) إذ اسـتعراضت الغيبيات التي صـرّح بها أمير المؤمنين (عليه السـلام) عن الفتن الكبيرة التي اخر تصـيب الناس اخر الزمان، وقد اتفقت الأخبار المتواترة على أنّ آخر الزمان الذي تكلم الإمام (عليه السلام) عليها هو الذي يسبق ويهيئ لظهور الإمام المهدي المنتظر (عجل الله فرجه) وقد كرس القسم الثاني من هذا المبحث لتناول الأخبار الغيبية عن ظهوره الشريف واستعراض ما أخبر به الإمام علي (عليه السلام) من أخبار.

وفي ختام البحث جاءت نتائج البحث لتبيّن أهم ما توصل إليه الباحث في هذه الرسالة.

لقـد اعتمد الباحث في إعداد هذه الرسالة على مصادر ومراجع كانت عماد البحث، فيما يخص كتب التفسـير، برز منها: التبيان في تفسـير القرآن للشـيخ الطوسي (460ه- 1067م)، كذلك تفسـير مجمع البيان في تفسـير القرآن للطبرسي (ت548ه- 1153م) إذ أعانا الباحث للاطلاع على تفاسير ذا قيمة علمية كبيرة، أما فيما يخص مصادر الحديث النبوي التي استعملت في البحث فتصدرها مسند احمد بن حنبل (ت241ه- 855م)، وصحيح البخاري (ت256ه- 870م)، وصحيح مسلم (21ه- 875م)، إذ تمثلت الفائـدة في هذه المصادر بتخريج الأحاديث النبوية الشريفة التي دلت على علم آل البيت (عليهم السلام) وفضله على جميع البرية.

ومن المصادر التاريخية التي أسهمت في إغناء موضوع البحث مؤلف تاريخ

الرسـل والملوك للطبري محمـد بن جرير (ت310ه- 923م)، ومروج الـذهب ومعادن الجوهر للمسـعودي ابو الحسن علي بن الحسـين (ت346ه- 957م) واللـذان يعـدّان غنيّـان عن التعريف لأي باحث، فلا يكاد يخلو أي منهما من تناول تاريـخ المسـلمين، لما فيهما من شمولية في نقل النصوص والتفصيل في ذكر الأحداث.

كـذلك كان لكتب التراجم الأثر الكبير في إثرا الرسالـة في ترجمـة بعض الشخصـيات التي وردت في الرسالـة ومن هذه الكتب يبرز كتاب أنساب الأشراف للبلاذري أحمد بن يحيى (ت279ه- 892م)، والإصابة في تمييز الصحابة لاب حجر العسقلاني (ت852ه- 1448م).

وفي ما يخص علوم اللغـة والمعجمات فتبرز منها قائمـة طويلـة من المؤلفات يقف في مقـدمتها كتاب العين للخليل بن احمـد الفراهيدي (170ه- 786م)، ولسـان العرب لابن منظور (ت711ه- 1311م)، إذ اعتمـد عليها بشـكل كبير للتعرف على العديـد من الكلمات التي وردت في كتاب نهج البلاغة.

أما شروح نهج البلاغة التي استعملت في الرسالة فهي قسمان، الاول:

شروح النهـج من المصادر الاصـيلة، وقـد برز منها: منهاج البراعـة للراوندي (ت573ه- 1178م)، وشـرح نهـج البلاغة لابن ابي الحديد (ت656ه- 1258م)، وشـرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني (ت679ه- 1281)؛ إذ شـكلت هـذه المصادر العمود الفقري للرسالة لما فيها من شروح قيمة للخطب والكلمات التي أوردها أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة، فضلاً عن قرب

هؤلاء المؤلفين الزماني والمكاني من الشريف الرضي وما جمعه في نهج البلاغة، مما أعطى شروحهم أعلاه ثقلاً كبيراً اعتمد عليه في إتمام الرسالـة، أما القسم الآخر: فتمثل بشـروح النهـج من المراجع الحديثـة، فقـد برز في مقـدمتها: كتاب بهج الصـباغة في شـرح نهج البلاغة للتستري، ومنهاج البراعة في شـرح نهج البلاغة للخوئي، كذلك نفحات الولاية في شـرح نهج البلاغة للشيرازى، إذ كان لهذه الشروح فائدة كبيرة من خلال التعرف على مختلف الشـروح والاطلاع على الافكار والآراء المتنوعة لأصحابها في ميدان نهج البلاغة، لذلك نجد في هذه الرسالة الاعتماد على العديد من المراجع وهي كثيرة تقتضـيها طبيعة البحث فنجد أن تلك المراجع المتمثلة بالشروح قد أقحمت نفسها في هذه الرسالة عنوةً.

أمّا المشـكلات التي واجهت الباحث فلا يخفى على الأكاديمي المنصف ما يعانيه الباحيون من مختلف الضروف التي قد تقف حجر عثرة في الطريق، ولكنها تضمحل وتتلاشى بل وتذوب؛ لأن الأمير علي ابن ابي طالب (عليه السلام) يتربّع على عرش الرسالة.

الباحث غزوان عبد الكاظم

ص: 17

الفصل الأول الغيب في القرآن الكريم والأنبياء الذين اطلعهم الله على الغيب المبحث الأول: الغيب في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الغيب عند الأنبياء (عليه السلام) والصالحين.

المبحث الثالث: الغيب عند النبي محمد (صلى الله عليه و آله).

المبحث الأول: الغيب في القرآن الكريم

في بادئ الأمر عند دراستنا لموضوع الغيب في القرآن الكريم لابد من التطرق لموضوع الغيب في اللغة والاصطلاح.

أولاً:- الغيب في اللغة: تطلق على كل ما غاب عن الحواس وكان مستوراً ومحجوباً عنها

وقال ابن منظور (711ه)(1) : ((الغيب كل ما غاب عنك، وتقول: غاب عنه غيبة وغيباً غياباً وغيوباً ومغيباً، وقيل أيضاً سمعت صوتاً من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه، وجمع الغيب هو الغيوب، وجمع الغائب غيب وغيبا))

ص: 21

1- هو محمد بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، ولد في مصر وقيل في طرابلس الغرب سنة630ه، تولى القضاء في طرابلس، له العديد من المؤلفات منها: لسان العرب، ومختار الأغاني ولطف الذخيرة وغيرها، فقد بصره في آخر عمره وتوفي في مصر سنة711ه، م: الصفدي، صلاح الدين (ت764ه- 1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1420ه، ج1، ص195؛ الزركلي، خير الدين، (ت1396ه- 1976م)، موسوعة الأعلام، دار العلم للملايين، لبنان، 1400ه، ج7، ص109

(1) ، وينقل الخليل(2) وكل شي غيب عنك فهو غيابة، وقال أيضا: وأغابت المرأة فهي مغيبة، إذا غاب زوجها(3) .

وقال أحد شعراء العرب(4) :

أنت نبي تعلم الغيابا لا ـ قائلاً أفكاً ولا مرتابا ويقال أن الغابة سميت بذلك لأنها ذات شجر كثيف وتُغيب ما فيها، والجمع من كل ذلك غابات وغاب(5) .

وكذل يقال غَيابة (بفتح الغين) ومعناها القعر، أي مهبط الأرض وسمي بذلك

1- ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل (711ه- 1311م)، لسنان العرب، دار أدب الحوزة، إيران، 1405ه، ج1، ص 654

2- هو أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن تميم الفراهيدي البصري، عربي الأصل من أزد عمان، ولد في البصرة سنة100ه، ونشأ وترعرع بها، لغوي ومعجمي ومنشيء علم العروض، له العديد من المؤلفات أبرزها: كتاب العين وهو أول معجم في العربية، وكتاب العنم، وكتاب الشواهد، وكتاب النقط والشكل وغيرها العديد من الكتب، توفي في البصرة سنة170ه، ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد (ت748ه- 1347م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1413ه، ج1، ص259؛ ابن خلكان، أحمد بن إبراهيم ابن أبي بكر الاردلي، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1367ه، ج1، ص216، ص218

3- الفراهيدي، الخليل بن احمد (170ه- 786م)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي، ط2، دار الهجرة، إيران، 1409ه، 4/ 454

4- ابن منظور، لسان العرب، 1/ 655

5- الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الأعلمي، لبنان، 1433، ج1، ص197

لغيبوبته عن أعين الناظرين، وكل شيء غيب عنك فهو غيابة(1) ، قال تعالى: «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَمَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ»(2) .

وقالت العرب: الغيب ما غاب عن العيون وإن كان محصلاً في القلوب(3) ، وتقول أيضاً: غابت الشمس غيابة أي هبطت(4) ، ويستعمل لفظ الغيب لكل شيء غائب عن الحاسة وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب(5) .

أ- الغيب في الاصطلاح:

هو ما غاب عن الحواس، وخفي عليها، فما غاب عن حواسنا، وخرج عن دائرتها وحدودها، فهو غيب بالنسبة إلينا(6) ، والغيبيات هي الحوادث التي تقع في المستقبل(7) ، وعلم الغيب هو العلم الذي يلم به إنسان تنقشع من أمام عينيه حجب القرون، وتنطوي المسافات، فيقرأ المستقبل البعيد والحاضر المحجوب مثلما يقرأ

1- الطريحي، فخر الدين بن محمد، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، ط2، مطبعة نشر الثقافة الإسلامية، إيران، 1408، ج2، ص134

2- سورة يوسف، الآية (10)

3- فتح الله، أحمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطبع المدوخل، السعودية، 1415، ص311

4- الرازي، زيد الدين محمد بن أبي بكر (666ه- 1268م)، مختار الصحاح، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415ه، ص231

5- الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسن بن محمد (ت502ه/ 1108م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي، لبنان، 1430ه، ص484

6- الطبرسي، أمين الاسلام الفضل بن الحسن (ت548ه- 1153م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: محسن العاملي، الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1415، ج8، ص588

7- الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، لبنان، 1416ه، 12/ 472

في كتاب مفتوح، ويعي حوادثه كأنها بنت الساعة التي هو فيها(1) .

ب- الغيب في الاصطلاح القرآني:

كلمة الغيب جاءت ضد الشهود والحضور(2) ، سواء كان أمراً مادياً قابلاً للإدراك بالحواس، كحوادث غابر الزمان، والمستقبلية أم ما لا يمكن إدراكه بالحواس، مثل ذات الله تعالى، وحقيقة البعث والنشور والحساب، ونفخ الصور، والميزان، وملائكة الله، وجنته وناره، والوحي والنبوة إلى آخر ما يجب الإيمان به وتصديقه(3) ، ويدل على ذلك قوله تعالى:

«الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»(4) .

والإيمان بالغيب في هذه الآية هو التصديق بالغيب(5) .

ثانياً:- الغيب في القرآن:

وردت لفظة الغيب وبعض مشتقاتها في القرآن الكريم أربعاً وخمسين مرة بالمعنى المذكور، وهذه الآيات القرآنية كانت على قسمين، الأول يشير إلى حصر علم الغيب بالله ونفيه عن غيره، والآخر يشير إلى أن الله اطلع أنبياءه

1- السبحاني، جعفر، مفاهيم قرآنية، مؤسسة الإمام الصادق، إيران، د. ت، 1/ 145

2- الطوسي، أبو جعفر نصير الدين بن محمد (460ه- 1067م)، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1409، ج1، ص145

3- الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، 1/ 126

4- سورة البقرة: الآية3

5- الماوردي، أبو الحسن علي (ت450ه- 1058م)، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، لبنان، 1/ 19

ورسله على علم الغيب(1) ، وهي على النحو الآتي:

القسم الأول:

1- «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَات الْأَرْض وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»(2) .

2- «قلُ لاَ يعَلْمَ مَنْ في الاسّماوَات والأرْضْ الغْيَبْ إِلَّا اللَّهُ ومَا يَشْعرُون أيَّانَ يُبْعَثُونَ»(3) .

3- «ويَقَوُلُون لوَلْا أنْزِلَ عَلَيْه آيَة من ربّه فَقُل إنَّمَا الغَيْب للَّهِ فَانتْظِرُوا إنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ»(4) .

4- «قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِع إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِير أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ»(5) .

5- «وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِي إِذًا

1- السبحاني، مفاهيم القرآن، 3/ 217

2- سورة الأنعام: الآية (59)

3- سورة النمل: الآية (65)

4- سورة يونس: الآية (20)

5- سورة الأنعام: الآية (50)

لَمِنَ الظَّالِمِينَ»(1) .

6- «قلُ لاَ أَمْلِكُ لِنفَسِي نَفْعًا ولَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاء اللَّه ولَوْ كنُتُ أَعَلْمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ الاسُّواءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»(2) .

7- «قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ»(3) .

8- «يَوْمَ يجَمْعُ اللَّه الرُّسُل فَيَقُول مَاذاَ أجُبِتمُ قالوُا لَا عِلْم لنَا إنَّك أنَتَ علَّامُ الْغُيُوبِ»(4) .

إن هذه الآيات التي خ مر ذكرها تشير إلى حصر علم الغيب في الله تعالى، حيث إن قوله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ» يفيد الحصر، أي عنده لا عند: غيره(5) ، وهذا القول مسوغ لبيان انحصار العلم بالغيب فيه سبحانه وتعالى، إما لأن خزائن الغيب لا يعلمها إلا الله، وإما لأن مفاتيحه لا يعلمها غيره تعالى، فلا سبيل لغيره إلى تلك الخزائن، إذ لا علم لأحد بمفاتيحها التي يتوصل بها إلى

1- سورة هود: الآية (31)

2- سورة الأعراف: الآية (188)

3- سورة الأحقاف: الآية (9)

4- سورة المائدة: الآية (109)

5- فخر الدي الرازي، محمد ب عمر، (ت606ه- 1210م)، تفسير الرازي، ط3، دار الكتب العلمية، لبنان، د. ت، ج6، ص308

فتحها والتصرف فيها(1) .

القسم الآخر:

1- «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَيدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ»(2) .

2- «تلِكْ من أَنْبَاء الْغَيْب نوُحيهَا إلَيْك مَا كنُتَ تعَلْمَهُا أنْتَ ولَا قَوْمُك مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ»(3) .

3- «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شيْءٍ عَدَدًا»(4) .

4- مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ»(5) .

1- الطبطبائي، محمد حسين (ت1412ه- 1992م)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الاعلمي، لبنان، 1424ه، ج7، ص125

2- سورة آل عمران، الآية (44)

3- سورة هود، الآية (49)

4- سورة الجن، الآية (26- 28)

5- سورة آل عمران، الآية (179)

حكاية عن يوسف (عليه السلام) بقوله تعالى:

«قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ»(1) .

6- حكاية عن النبي عيسى (عليه السلام) بقوله تعالى:

«وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَيَكُونُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»(2) .

في هذا القسم من الآيات القرآنية أدلة واضحة على أن الله يُطلع بعض عباده على الغيب، مع الإشارة إلى أن علم الغيب منصب جليل تتقاصر عنه الهمم، ولا يؤتيه الله إلا لمن اصطفاه من عباده، والله لا يطلع الناس عامة على الغيب؛ إذ لو فعل ذلك لأخرج الإنسان من طبيعته, فأنه تعالى خلقه يحصل رغائبه ويدفع المكاره عنه بالعمل الكسبي الذي تهدي إليه الفطرة وترشد إليه النبوة ولكن يختار من رسله من يشاء فيطلعه على بعض الغيب(3) ، والاطلاع

1- سورة يوسف: الآية (37)

2- سورة آل عمران: الآية (49)

3- المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي مطبعة مصطفى الحلبي مصر، د. ت، ج2، ص82

على الغيب يكون من خلال العلم الاستدلالي بعدما يهيئ الله العلامات والأدلة، وأن الاطلاع على الغيب يمنحه الله لم يشاء من رسله وعباده الصالحين(1) ، وقد أستأثر الله بعلم الغيب دون خلقه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريقة الوحي إليه، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم(2) .

ثالثاً- أنواع الغيب:

ينقسم الغيب على نوعين هما:

أ- الغيب المطلق:

وهو الغيب الخاص بالله تعالى فلا يشاركه فيه غيره ويكون خاص بالذات الإلهية على وجه الأصال والذاتية والإطلاق والإرسال، وهنا يستحيل الاطلاع على الغيب بالحواس ويمتنع إدراكه بالأدوات المادية، مثل ذات الله وصفاته وغيرها(3) ، وعلى هذا النوع تبينه الآيات القرآنية الآتية:

قال تعالى:

«قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلّا اللَّه ومَاَ يشَعرُوُن أيّان يُبْعثَوُن»(4) .

1- ينظر: الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 4/ 79؛الفحام،عباس علي، الأثر القرآني في نهج البلاغة دراسة في الشكل والمضمون، أطروحة دكتوراه، كلية الفقه، جامع الكوفة، 1429ه- 2009م

2- القرطبي، شمس الدين بن محمد (671ه- 1273م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم، ط2، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1405ه، ج19، ص28

3- اب ميثم البحراني، كمال الدين ميثم بن علي (ت689ه- 1093م)، شرح نهج البلاغة، ط2، دار الحبيب، إيران، 1430، ج2، ص294

4- سورة النمل: الآية (65)

وقوله تعالى:

«وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ(1)» وقوله عز وجل:

«وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ»(2).

ب- الغيب النسبي:

وهو الغيب الذي يتفاوت فيه إمكان الاطلاع عليه على وفق الظروف والأفراد والأزمان، فقد يكون غيباً من جمة إنسان ولا يكون كذلك لأناس آخرين، وعلم الغيب هنا يكون تبعياً، بأذن الله وتعليمه، وهذا العلم لا يكون إلا عرضياً واكتسابياً ومقيداً ومحدوداً، ويطلع عليه الأنبياء والأئمة ومن شاء الله عز وجل تعليمهم به(3)، ويستدل عليه من القرآن الكريم بآيات عدة منها قوله تعالى:

«ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ»(4).

1- سورة الانعام: الآية (59)

2- سورة يونس، الآية (20)

3- الطبطبائي، الميزان في تفسير القرآن، 15/ 202

4- سورة يوسف، الآية (102)

وقوله تعالى:

«عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا»(1) .

وكذل قوله عز وجل:

«مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ»(2) .

رابعاً- الغيب في القرآن الكريم:

يقسم الغيب في القرآن الكريم على ثلاث أقسام أساسية، هي:

القسم الأول:

الخبر عن الله سبحانه وأسمائه وصفاته، والخبر عن الروحانيات، وملائكته وتدبيره العوالم الأرضية، والسماوية، وشؤون الأحياء بعد الموت في البرزخ وحالة الأرواح قبل المعاد وبعده، والقرآن يموج بهذه المعاني الغيبية المطلقة التي لا يتعرف عليها الحس، ولا تقع في أفقه في هذا الظرف(3) .

القسم الثاني:

الإخبار عن أمم قد خلت من قبل، وطويت حياتها، فأصبحوا مما لا يرى

1- سورة آل عمران، الآية (44)

2- سورة الجن: الآية (26- 27)

3- السبحاني، جعفر، مفاهيم قرآنية، 3/ 352

حتى مساكنهم ومواطنهم، من غير أن يرجع إلى كتب السير، والتاري، والكهنة، والربانيين، وتمثيل ذلك: الأخبار عن قصة آدم ونوح، وموسى ومريم (عليهم السلام) وغيرها الكثير من أخبار الأنبياء السابقة، كذلك الأخبار عن شؤون البشر في المستقبل(1) ، مثل أخبار القرآن عن ابي لهب وامرأته يموتان كافرين، في قوله تعالى:

«تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ»(2) .

وكذلك تلحق بهذا الصنف الأمور التي اختص بها الله تعالى، كوقت الساعة، والمستور في ظلمات الأرحام، قوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»(3) .

القسم الثالث:

الإخبار عن بعض الموجودات أو النواميس السائدة في الكنون، وقند كان غيباً عند نزول الوحي وعن إدراك الحواس المجردة، وعن الأدوات المخترعة في هذا الزمان، كأخبار عن زوجية الأشياء عامة، بقوله تعالى:

1- الفيض الكاشاني، محمد بن محسن (ت1091ه/ 1680م)، التفسير الصافي، ط2، مؤسسة الهادي، إيران، ج5، ص152

2- سورة المسد: الآية (1- 5)

3- سورة لقمان: الآية (34)

«وَمِنْ كُل شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلّكُمْ تَذَكَّرُونَ»(1) .

وكذلك الإخبار عن وجود دابة في السماوات بقوله تعالى:

«وَمِنْ آيَاتِه خَلْق السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ»(2) .

وغيرها الكثير من الحقائق العلمية الموجودة في الكون التي حملها القرآن الكريم في آياته(3) .

خامساً- الأخبار الغيبية في القرآن الكريم:

حمل القرآن الكريم في سوره المباركـة العديد من الأخبار الغيبية التي سـنحاول إلقام الضوء على بعضـها، كونها كثيرة وتحتاج إلى بحوث منفردة لإيفاء حقها، والأخبار الغيبية التي خ ستناولها هي:

1- تنبؤ القرآن بعجز البشر عن معارضته بمثله:

لقـد تحدى القرآن الكريم في مواضع عِدّة من آيات سورة تحدياً يثير روح المنافسة على أشدها في نفوس من يتحداهم(4) ، وتحققت نبوءة القرآن و ما تزال متحققـة؛ إذ انقرضت طبقة المخاطبين، ومضت أجيال من عرب وأعاجم، وكلهم اعترفوا بالعجز عن المعارضة مع كثيرة من تتطاول أعناقهم لهدم بناء

1- سورة الذاريات: الآية (49)

2- سورة الشورى: الآية (29)

3- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، لبنان، 1415ه، 2/ 263

4- السبحاني، مفاهيم القرآن، 3/ 253

الدين، وإبطال معجزة الإسلام الخالدة(1) .

وقد جام هذا التحدي في موارد عديدة في القرآن، منها قوله تعالى:

«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»(2) .

لقد أخبر القرآن الكريم في بداية أمر النبي بمكة عن عجز البشر عن مباراة القرآن ومعارضته إلى يوم القيامة، وإن الناس لا يسعهم الإتيان بمثل هذا، مهما تظاهروا وتناصروا، حتى اليوم تنقضي على هذا التحدي والتنبؤ قرون وهو صادق في وعده وعهده وسيبقى قائماً ما دام القرآن(3) ، ويستمر عجز البشر عن مجابهة هذا التحدي مستقبلاً أيضاً، فقوله تعالى «وَلَنْ تَفْعَلُوا» معناه تحدِ مستقبلي ابدي، ومعنى (لن) في الآية السابقة من قوله تعالى يشير إلى صحة نبوة الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، لأنه يتضمن الأخبار عن حالهم في مستقبل الأوقات بأنهم لا يأتون بمثله، فوافق المخبر عن الخبر(4) .

1- الزرقاني، مناهل العرفان، 2/ 263

2- سورة البقرة: الآية (23- 24)

3- اب الجوزي، أبي الفرج جمال الدين (ت597ه- 1201م)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن، دار الفكر، لبنان، 1407ه، ج1، ص34

4- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 1/ 63

ومن الأخبار الغيبية عن عدم الإتيان بمثل القرآن قوله تعالى:

«قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»(1) .

وهنا تحـدٍ واضـح للإنس والجن على الإتيان بمثل هذا القرآن، وقد بلغ القرآن من تحديه أن طلب الإتيان بسورة واحدة من سوره(2) ، قال تعالى:

«أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»(3) .

يُرى من خلال الآيات التي ذكرت آنفاً التنبؤ الواثق بعجز الإنس والجن عن معارضة القرآن؛ لكن في المستقبل مثلما يقال (غيب) لا يملكه النبي ولا الوحي ولا أي شـخص سواه، غير أن النبي صار صادقاً في تنبؤه هذا، وما يزال صادقاً في الحال، فعلى أي مصدر اعتمد هو في هذا التحدي الطويل العريض، غير الإيحاء إليه الذي ما زال يصدر عنه في أخباره وتشريعه.

2- التنبؤ بانتصار الرومان على الفرس:

قال تعالى:

«غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ

1- سورة الإسراء: الآية (88)

2- الخازن، علاء الـدين علي بن محمـد (ت741ه- 1341م)، لبـاب التأويـل في معاني التنزيل، دار الكتب العلميـة، لبنان، د. ت، ج1، ص19

3- سورة يونس: الآية (38)

الأَمْرُ مِن قَبْلُ ومَنِ بعَدْ ويَوَمْئِذٍ يَفْرحُ المْؤُمِنُون بِنَصْر اللّه يَنْصُرُ مَنْ يَشَاء وهَوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ»(1) .

لقد حدث ما أخبر به القرآن الكريم بأقل من عشر سنين، فغلب الروم ودخل جيشهم بلاد فارس، وقد اتفق عدة المفسرون على هذا الخبر(2) ، ومن المعلوم هنا أن دول الرومان هي مسيحية كانت قد انهزمت أمام دولة الفرس وهي وثنية، وقد فرح المشركون بنتائج هذه المعركة وقالوا للمسلمين بشماته: ان الروم يشهدون أنهم أهل كتاب، وقد غلبهم المجوس، وانتم تزعمون إنكم ستغلبوننا بالكتاب الذي انزل عليكم فسنغلبكم مثلما غلبت الفرس الروم، فنزلت الآية الكريمة يبشر بها الله المسلمين أن هزيمة الروم هذه سيعقبها انتصار للمسلمين في بضع سنين(3) ، ولم يكن معلوم وقت تحقق هذه البشارة، أن الروم سوف تنتصر على الفرس في مثل هذه المدة الوجيزة (9سنوات) إذ كانت المقدمات والأسباب تأبى ذلك عليها، لأن الحروب الطاحنة أنهكتها حتى

1- سورة الروم: الآية (2- 4)

2- الطبري، محمد ب جرير (310ه/ 923م)، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: خليل الميسر، خليل الميسر، دار الفكر،لبنان، 1415 ه، 20 / 66؛ الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد (876 هن/ 1471م)، الجواهر الحسان/ في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1418ه، 3/ 182؛ لسيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن (911ه/ 1505م)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، لبنان، 8/ 53؛ الشوكاني، محمد بن علي (ت1350ه/ 1831م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، عالم الكتب للمطبوعات، لبنان، 1402ه، 5/ 457

3- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت510ه- 1117م)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر، ط4، دار طيبة، السعودية، 1417ه، ج6، ص257

غُزيت في عقر دارها؛ لأن دولـة الفرس كانت (في أدنى الأرض) قويـة منيعة وزادها الظفر الموافق للسـنة الثانية للهجرة(1) ، أن الآية الثانية حملت نبؤة أخرى وهي البشارة بأن المسـلمين سـيفرحون بنصـر عزيز في الوقت الذي ينصـر فيه الروم، وقد صَدق الله وعده في هذه مثلما صـدقه في تلك، وكان ظفر المسـلمين في غزوة بـدر واضـحاً في الظرف الـذي ظفر الرومان فيه، وهكذا تحققت النبؤتان في وقت واحد مع تقطع الأسباب في النصرين.

3- الاخبار عن صيانة النبي (صلى الله عليه و آله) عن أذى الناس: قال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الرَّسُول بَلِغْ مَا أُنْزِل إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»(2) .

ينقل الأميني(3) في كتاب الغـدير أن هـذه الآيـة نزلت في يوم الغـدير حينما أمر الرسول أن ينصب علياً (عليه السـلام) إماماً للناس، فكان النبي على حذر

1- ابن عبد السلام, عز الدين اب عبد العزيز (ت577ه/ 1262م)، تفسير ابن عبد السلام، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم، دار ابن حزم، لبنان، 1416ه، ج4، ص427

2- سورة المائدة: الآية (67)

3- هو عبد الحسين أحمد الأميني ابن الشيخ أحمد الملقب أمين الشرع، ومنه أخذ لقب الأميني ولد في (مدينة تبريز سنة1320ه، ثم انتقل إلى مدينة النجف الاشرف ودرس على يد أبرز علمائها، له العديد من المؤلفات المهمة منها، تفسير سورة الفاتحة، وسيرتنا، وسنتنا، وتحقيق كتاب كامل الزيارة وشـهداء الفضـيلة والغدير في الكتاب والسـنة والأدب، ابتلى العلامة الأميني بمرض لازم بسببه الفراش من سنة1968م حتى وفاته1971م، ينظر: الشاكري، حسين، ربع قرن مع العلامة الأميني، ستارة، إيران، 1417ه، 36- 40

من الناس في تنصيب علي للخلافة، فأخبره الله بأنه سيعصمه من أذى الناس وشرهم(1) ، وهناك رأي آخر ذهب الى القول أن هذه الآية نزلت في المشركين وأعداء الإسلام الذي كانوا يضمرون العداء للرسول ويحاولون قتله، وفي هذه الآية خبر غيبي، إذ لم يتمكن أحد من أعداء الإسلام من أذية رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) مع كثرة عددهم وعدتهم، فمن الذي يملك هذا الوعد إلا الله الذي يَغلب ولا يُغلب(2) .

4- الاخبار عن القضاء على العدو قبل المعركة:

قال تعالى:

«وإِذ يعِدكُمُ اللَّه إِحْدى الطَّائفتَيْنِ أَنَّها لَكُم وتَوَدُّون أَنَ غَيْر ذَات الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِق الْحَق بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7) لِيُحِق الْحَق وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (8) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَني مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِين (9) وَمَا جَعَلَه اللَّهُ إِلَّا بُشْرَي وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّه إِنَّ اللَّه عَزِيزٌ حَكِيمٌ (10) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ.

1- الأميني، عبد الحسين (ت1392ه- 1971م)، الغدير، ط4، دار الكتاب العربي، لبنان، 1397ه، 194

2- البحراني، هاشم الموسوي (ت1107ه- 1695م)، غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام، تحقيق: علي عاشور، مطبعة علم الحوزة، إيران، ج5، ص303

وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (11) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سأُلْقِي فِي قلُوب الَّذِين كَفَرُوا الرَّعْب فاَضْرِبُوا فَوْق الأَعْنَاقِ واَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ»(1) .

نزلت هذه الآيات في معركة بدر(2) ، وقد وعد الله فيها المؤمنين بالنصر على عدوهم، وقطع دابرهم، على الرغم من قلة عددهم وعدتهم، وعلى العكس كان المشركون هم الكثيرون الشديدون في القوة، وقد وصفتهم الآية أنّهم ذوو شوك، وأن المؤمنين أشفقوا من قتالهم، لكن الله يريد أن يحق الحق بكلماته، وقد وفى الله بوعده، فنصرهم على أعدائهم وقطع دابر الكافرين(3) .

5- الاخبار عن صيانة القرآن عن التحريف:

جاء في القرآن أنه سيبقى مصوناً عن التحريف بكل معانيه، فمع أن القرآن والتاري يقصان علينا تحريف الكثير من الكتب السماوية، جاء القرآن يخبر بوضوح أن الأيدي الجائرة لا تتمكن من التلاعب به، إذ قا تعالى:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»(4) .

1- سورة الأنفال: الآية (7- 12)

2- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت774ه- 1372م)، تفسير القرآن العظيم، ط2، دار طيبة، السعودية، 1420ه، 4/ 18

3- اليعقوبي، أحمد بن اسحاق (ت292ه- 905م)، تاريخ اليعقوبي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1419ه، ج2، ص29- 30؛ الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ج2، ص260- 261؛ ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن، (630ه- 1233م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، لبنان، 1385ه، ج1، ص288

4- سورة الحجر: الآية (9)

ومعنى الذكر هنا (القرآن الكريم) وليس مثلما يدعي البعض أنَّ (الذكر) هو الرسول(1) ، بدليل قوله تعالى:

«وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ»(2) .

وتمر الأيام والسنون وتبقى معجزة الله خالدة مصونة من أي زيادة أو نقصان أو تحريف، على الرغم من عدم التدوين في وقت نزول القرآن؛ إذ كان الناس يقرؤون القرآن في بادئ الامر عن طريق المشافهة إلى أن دوّنَ في ما بعد.

6- الأخبار عن نجاح الإسلام والرسول:

قال تعالى:

«يرُيِدوُن أنَ يطُفْئُوا نُور اللَّه بأفَوْاَههِمِ ويَأبْىَ اللَّه إلّا أَنْ يُتمِ نُورهَ ولَوْ كَرِهِ الْكَافِرُونَ»(3) .

لقد اختلف في تفسير هذه الآية فقيل أنّها لا تشير إلى أنّ الإسلام هو الدين الوحيد الذي يصلح أن يكون عالمياً، ويظهر على الدين كله، وذلك لا يحصل إلا بظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وما يتلوه من نزول عيسى بن مريم (عليه السلام) في آخر الزمان، بينما فسرها غيره بالقول أن الله يظهر دين

1- الزمخشري، أبو القاسم محمود (ت538ه- 1143م)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، مطبع مصطفى البابي القاهرة، 1385ه، ج3، ص302

2- سورة الحجر: الآية (6)

3- سورة التوبة: الآية (32- 33)

الإسـلام على جميع الأديان بالحـدة والغلبـة والقهر لها حتى لا يبقى على وجه الأرض دين إلا مغلوباً، ولا يغلب أحـد الإسـلام بالحجة، وأهل الإسلام يغلبون أهل كل الأديان بالحجة(1) ، وعلى الرغم من اختلاف المفسـرين في تفسير هذه الآية، إلا أن الحقيقة الواضحة هي أنها حملت معجزة غيبية واضحة أخبر بها القرآن الكريم قد تكون تحققت بالكامل أو قد يكون تحقق جزم وبقي الجزء الآخر.

****

1- الاميني، عبد الحسين (ت1392ه/ 1972م)، الغدير، المطبعة الحيدرية، العراق، د. ت، ج3، ص23

المبحث الثاني: الغيب عند الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين

أولا: الأنبياء عليهم السلام:

1- النبي آدم (عليه السلام) قال تعالى: «وعَلَّم آدَمَ الأَسْماَء كلَّهَا ثُم عَرَضَهمُ عَلَى المْلاَئِكَة فَقَال أَنْبِئونِي بِأَسْماَء هَؤُلَاء إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَك لَا عِلْم لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَال أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِني أَعْلَمُ غَيْبَ الأَسمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ»(1) .

من خلال الآيات الثلاث في أعلاه تبرز لنا حقيقة واضحة هي أن الله تعالى علم النبي آدم (عليه السلام) جملة من الحقائق كان يغيب علمها عن الملائكة، وقد أخبر آدم (عليه السلام) الملائكة عن هذه الحقائق التي عبر عنها القرآن

1- سورة البقرة: الآية (31- 33)

بالأسماء(1) ، وليس المراد من الأسماء في الآية أسماء الأشياء فقط، فإن معرفة الأسماء لا تعد فضيل لآدم (عليه السلام)، بل المقصود منها مسمياتها، أي حقائق الأشياء، وعلى هذا علمه سبحانه أسرار الخليقة(2) ، فاطلع على خواص الأشياء وآثارها فصارت نتيجة تعليم الأسماء لآدم (عليه السلام) هو نصب الحقائق الكونية بين يديه(3) ، والإتيان بضمير الجمع المذكر العاقل في قوله تعالى: «ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ» وإخباره عن واقع الحياة من غير الإتيان بضمير المفرد المؤنث، يدل على ما قلناه فلو كان الهدف تعليم نفس الأسماء لآدم (عليه السلام) فقط لكان ضمير المفرد المؤنث جديراً بالمقام(4) .

لقد دلت هذه الآيات الكريم على وجود علم الغيب الفعلي عند النبي آدم (عليه السلام) وذلك لأن الاطلاع على الغيب والإخبار عن شؤون البشر في المستقبل، والإيحاء إلى الملاحم والفتن ليس بأعلى من الوقوف على حقائق المسميات التي لم تكن الملائكة تعرفها، حتى أنبأهم واطلعهم عليها نبي الله آدم (عليه السلام).

2- النبي نوح (عليه السلام):

قال تعالى: «وَقَالَ نُوح رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (26) إِنَّكَ

1- السبحاني، مفاهيم قرآنية، ج3، 415

2- الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، 1/ 487

3- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 1/ 83

4- السبحاني، مفاهيم قرآنية، 3/ 416

إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلّا فَاجِرًا كَفّارًا»(1) .

لقد تحمل شيخ الأنبياء (عليه السلام) في سبيل دعوته المحن والكوارث، وجاب ضوضاء الشرك بالحكمة والموعظة الحسنة حتى يئس من إيمانهم، فدعى ربه بإهلاكهم وإبادتهم، مخبراً عن مصير قومه ومن يرثهم وذلك كما تقدم في الآية، وبلا شك هذا إخبار عن عواقب أمورهم واخلافهم، وأنه لن يؤمن أحد منهم ولا من أبنائهم(2) ، وهنا يتبين أن سيدنا نوح (عليه السلام) بعد أن قضى ردحاً مديداً من الزمن مع قومه، رأى أن البيئة الاجتماعية أصبحت منحرفة إلى درجة لا تسمح مطلقاً بمقتضى علمه أن يوجد فيها فرداً صالحاً(3) ، أو أنه اطلع على ما آل أمر قومه من خلال قوله تعالى:

«وَأُوحِيَ إِلَى نُوح أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»(4) .

وهنا تتضح حقيقة مهمة مفادها إطلاع نبي لله نوح (عليه السلام) على مصير قومه ومصير خلفهم من أبنائهم وأحفادهم، وهذا دليل قاطع على أن الله سبحانه وتعالى كان يطلع نبيه على بعض من أخبار الغيب، التي عرف من خلالها مصير قومه وما سيحل بهم مستقبلاً.

1- سورة نوح: الآية (26- 27)

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 236

3- البغوي، معالم التنزيل، 8/ 34

4- سورة هود: الآية (36)

3- النبي ابراهيم (عليه السلام):

قال تعالى:

«وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ الأَسَمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ»(1) .

يصف القرآن الكريم إبراهيم (عليه السلام) بصفات كثيرة ومن خلال قوله تعالى يظهر لنا أن الله اطلع نبيه إبراهيم (عليه السلام) على ملكوت السموات والأرض، أي أعطى بصره من القوة ما يعدو السموات والأرض(2) ، فرأى ما فيها، ورأى العرش وما فوقه، ورأى الأرض وما تحتها(3) ، والمراد من اطلاع نبي الله إبراهيم (عليه السلام) على ملكوت السموات والأرض هو توجيه نفسه الشريف إلى مشاهدة الأشياء من جهة استناد وجودها إليه لا يقبل الشرك؛ إذ عاد إبراهيم (عليه السلام) بعد ذلك فحكم أنه ليس في الوجود رب غير الله سبحانه وتعالى يتولى تدبير النظام وإدارة الأمور حتى صار من الموقنين(4) .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا إن اطلاع النبي (عليه السلام) على ملكوت السموات والأرض لا يقل عن معرفة علم الغيب بما هو خارج عن إطار

1- سورة الأنعام: الآية (75)

2- الواحدي، علي ب أحمد (ت468ه/ 1076م)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار الشامية، سوريا، ج1، ص193

3- الراوندي، قطب الدين بن هبة لله، (ت573ه- 1178م)، قصص الأنبياء، تحقيق: غلام رضا، مؤسسة الهادي، إيران، 1418ه، ص108؛ المقريزي، تقي الدين علاء بن علي (ت845ه/ 1441م)، امتاع الاسماع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1420ه، 9/ 53

4- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي 1/ 23- 24

الحس لو لم يكن أشرف منه(1) .

4- النبي لوط (عليه السلام):

قال تعالى: «قَالُوا يَا لُوط إِنَّا رُسُل رَبكِّ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْح أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ»(2) .

تظهر الآية الكريمة أن الله تعالى اطلع النبي لوط (عليه السلام) على مصير قومه وهلاكهم في وقت الصبح، عن طريق رسله(3) ، وقد أخبر هذا النبي الكريم بطانته الصالحين أنَّ قومه سيهلكون في الصبح وأن موعدهم هو ذاك الوقت، وقوله تعالى:

«وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ»(4) .

وقوله تعالى:

«وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ»(5) .

وقوله تعالى:

«فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ»(6) .

1- السبحاني، مفاهيم قرآنية، 3/ 417

2- سورة هود: الآية (81)

3- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، 3/ 365

4- سورة الحجر: الآية (66)

5- سورة القمر: الآية (38)

6- سورة الحجر: الآية (73)

وقد اتفقت الآيات على أن العذاب عمهم صباحاً، عند بزوغ الشمس، فمعنى قوله (مُصبِحِينَ) أي كونهم داخلين في الصبح(1) ، ومعنى ذلك قوله (مُشرِقين) أي حال كونهم داخلين في وقت الشروق(2) .

ومن خلال إخبار النبي لوط (عليه السلام) عن مصير قومه ومن سيحل بهم عند الصباح يتضح اطلاعه على الغيب من قبل الله تعالى، وإن كان علمه هذا محدوداً ومتناهياً، مكتسباً غير ذاتي.

5- النبي يعقوب (عليه السلام):

قال تعالى:

«إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيه يَا أَبَتِ إِنِي رأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوَكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَر رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّمُبِينٌ (5) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَيا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاق إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ»(3) .

تدل الآيات على أن يعقوب (عليه السلام) فسر رؤيا ولده يوسف (عليه السلام)، مخبراً عن حقيقة مستورة من خلال تلك الرؤيا، وكانت تلك الحقيقة

1- الرازي، فخر الدين، تفسير الغيب، 9/ 326

2- الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، 2/ 324

3- سورة يوسف: الآية (4- 6)

وصو ولـده يوسف (عليه السـلام) إلى المقـام الشامـخ في الـدنيا والاطلاـع على الواقع من خلال الرؤيا وهو لون من الاطلاع على الغيب، خص الله بعض عباده بهذا الفضل(1) ، ويتضح اطلاع النبي يعقوب (عليه السلام) على بعض الغيب لما طلب أخوة يوسف (عليه السلام) من أبيهم (عليه السلام) أن يرسل يوسف حتى يلعب معهم، قال تعالى:

«قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ»(2) .

ومن خلال إجابة النبي يعقوب (عليه السـلام) يظهر تنبؤه بفكرتهم الشـيطانية بحق يوسف (عليه السـلام)، ثم أن يعقوب (عليه السـلام) لما سمع قولهم بحق أخيهم عاد ليكذبهم كما فخ قوله تعالى:

«بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ»(3) ويظهر هنـا أنَّ يعقوب (عليه السـلام) كـان يعلم أنَّ يوسف (عليه السـلام) حي يرزق ولم يأكله الذئب، وهنا تتجلى حقيقة واضح هي إخبار عن أمر غيبي غير محسوس.

لم يقف إخبار النبي يعقوب (عليه السلام) عند هذا الحد، فمن خلال

1- الجزائري، ابو بكر جابر، ايسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، 1405ه، ج2، ص199

2- سورة يوسف: الآية (13)

3- سورة يوسف: الآية (18)

قوله تعالى:

«وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»(1) .

وهذه مكانة رفيعة خص الله بها نبيه لما أخبر الأخوة أباهم أنَّ ابنه (أخنا يوسف) سرق، فكذب خبرهم بأنه:

«بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا»(2) .

ولما اعترض أولاده على بكائه بقولهم:

«قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ»(3) .

أجابهم بقوله:

«قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ* يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»(4) .

من خلال استعراض الأخبار الغيبية التي اخبر بها النبي يعقوب (عليه

1- سورة يوسف: الآية (68)

2- سورة يوسف: الآية (83)

3- سورة يوسف: الآية (85)

4- سورة يوسف: الآية(85- 87)

السلام) لا يمكن لأحد أن ينفي علمه بالغيب (عن طريق الله)، فضلاً عن ذلك، قوله تعالى:

«عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ»(1) .

وهو في هذه الآية يخبر عن يوسف (عليه السلام) وأخيه وأنهما سوف يأتي الله بهما(2) ، وهكذا قوله تعالى:

«اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ* وَلَمَّا فَصَّلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ»(3) .

هنا تظهر حقيقة جلية هي أنّ النبي يعقوب (عليه السلام) لو لم يكن عالماً بمصير يوسف (عليه السلام)، ولم يعلم ما وصل إليه ولده من جلال وعظمة، ولم يكن مطلعاً على تصرف الأخوة على أخيهم ورجوعهم بخبره السار كيف يقول:

«إِنِي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ»(4) .

وهنا تتجلى عظمة الغيب عن النبي يعقوب عليه السلام أليس هذا علماً بالغيب وهبه الله لنبيه المبتلى يعقوب (عليه السلام)؟.

1- سورة يوسف: الآية (83)

2- الآلوسي، شهاب الدين أبو الثناء (1270ه/ 1854م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، لبنان، ج9، ص106

3- سورة يوسف: ألآية (93- 94)

4- سورة يوسف: الآية (94)

6- النبي يوسف (عليه السلام):

قال تعالى:

«رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ»(1) .

في هذه الآية الكريمة دلالة واضحة على أن الله تعالى قد علم نبيه يوسف (عليه السلام) تفسير الرؤيا وتأويلها، وذل قسم من علم الغيب.

وقوله تعالى:

«وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وقَال الآخَرَإِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوق رأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْه نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ من الْمُحْسِنِينَ.... يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ»(2) .

وتحقق الأمر الذي أخبر عنه النبي يوسف (عليه السلام) فنجا أحدهما، وقد أصبح ساقي البلاط بينما أعدم الآخر(3)، ومن الوضوح بمكان أن هذا اللون من التفسير للرؤيا هو قسم من الغيب الذي نطق به يوسف (عليه السلام)(4) .

1- سورة يوسف: الآية (101)

2- سورة يوسف: الآية (36- 41)

3- الماوردي، النكت والعيون، 2/ 263

4- السبحاني، مفاهيم قرآنية، 3/ 420

قال تعالى:

«وقَالَ المَلِك إِنِي أرَى سَبْعَ بقَراَتٍ سِمَانٍ يَأكْلُهُنَّ سَبْعٌ عِجاف وسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ (43) قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ (44) وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِه فَأَرْسِلُون (45) يُوسُف أَيُّهَا الصِّدِّيق أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ (46) قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنين دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ (47) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ (48) ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ»(1) .

وفي تفسير هذه الرؤيا يخبر يوسف (عليه السلام) عن ثلاثة أمور غيبة هي أنهم ينعمون بسبع سنوات مليئة بالبركات والخيرات ويتحسن وضعهم الزراعي، ثم يصابون بعدها بسبع سنوات جدب؛ إذ تغلق عنهم أبواب الرحمة، وفي السنة الخامسة عشرة من هذه السنين تعود إليهم النعم والخيرات من جديد، وتفتح عليهم أبواب الرحمة(2) .

ص: 52

1- سورة يوسف: الآية (43- 49)

2- الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، 4/ 22- 25

7- النبي صالح (عليه السلام):

قال تعالى: «ويَا قَوْمِ هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا: تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ (64) فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ»(1) .

لقد أخبر النبي صالح (عليه السلام) بمصير قومه إذا مسوا الناقة بسوء، تلك الناقة التي كانت تمثل معجزته؛ إذ دعاهم إلى الله، وإلى التصديق بنبوته، وقد تحقق ما أخبر به هذا النبي عن مصير قومه بعد أن عقروا الناقة فيأتيهم البلا بعد ثلاثة أيام كما قال تعالى:

«وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ (43) فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ»(2) .

وهنا تتجلى المعجزة الربانية، ونبوءة النبي صالح (عليه السلام) بعد نزول العذاب على قومه(3) .

8- النبي سليمان (عليه السلام):

قال تعالى:

«وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ

1- سورة هود: الآية (64- 65)

2- سورة الذاريات: الآية (43- 44)

3- السبحاني، مفاهيم قرآنية، 1/ 184

شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ»(1) .

تشير الآي الكريمة إلى معرفة سليمان (عليه السلام) منطق الطير وهو قسم من علم الغيب(2) ، وقال تعالى:

«حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَيةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَان وَجُنُودُه وَهُمْ لَا يَشْعُرُون (18) فَتَبَسَّم ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ»(3) .

ألا يعد اطلاع النبي سليمان (عليه السلام) على لسان النمل من علم الغيب؟ ثم ألا يكون هذا خرقاً للعادة البشرية، وقوله تعالى:

«وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (20) لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْلَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (21) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَا بِنَبَإٍ يَقِينٍ»(4) .

وهنا تبرز حقيقتان واضحتان لا يحجبها غربال، الأولى، الاطلاع على لسان الطير (الهدهد)، والآخرى أن الهدهد قد جاء بأنباء غيبية لنبي الله

1- سورة النمل: الآية (16)

2- السبحاني، مفاهيم قرآنية، 3/ 421

3- سورة النمل: الآية (18- 19)

4- سورة النمل: الآية (20- 22)

سيلمان (عليه السلام) عن مدينة سبأ وملكتها(1) .

9- النبي عيسى المسيح (عليه السلام):

قال تعالى:

«وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ»(2) .

من معجزات نبي الله المسيح (عليه السلام) أنه كان يخبر قومه (بإذن الله) بأسرارهم، وما كانوا يدخرون في الصيف لشتائهم بمقداره ولونه وحقيقة(3) ، قال تعالى:

«يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُول اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِن التوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُول يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحمَدُ»(4) .

وفي هذه الآية الكريمة خبر غيبي مهم بشر به النبي عيسى (عليه السلام) وهو قدوم النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، وحدث ذلك بعد ستمائة عام بعد النبي عيسى (عليه السلام)(5) .

والجدير بالذكر هنا أن الأخبار الغيبية التي أخبر بها نبي الله عيسى (عليه السلام) عن نبينا الأكرم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) لم تقتصر على

1- الطبري، محمد بن جرير (ت310ه- 923م)، تأريخ الرسل والملوك تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1433ه، ج1، ص316

2- سورة آل عمران: الآية (49)

3- الراوندي، قصص الأنبياء، 265- 266

4- سورة الصف: الآية (6)

5- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 8/ 109

مجرد ذكر اسـمه، والتبشـير بنبوته من بعده، بل شـملت ذكر أسمائه وصفاته وما يحل به وبأمته وغلبة دينه على جميع الأديان(1) ، وأن هذه البشارات وتحقق مضمونها تعد دليلاً على اطلاع النبي عيسى (عليه السلام) على بعض أنباء الغيب بأذنه تعالى(2) .

ثانياً: الصالحين:

1- السيدة سارة زوجة النبي إبراهيم (عليهما السلام):

قال تعالى:

«وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ (69) فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (70) وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»(3) .

تشـير الآيات القرآنية إلى أن الله تعالى أخبر السـيدة سارة أنّه سيرزقها بغلام هو إسحاق (عليه السلام)، فكانت البشارة والمعجزة الإلهية في الوقت نفسه،

1- الأندلسي، أبو عبد الله بن حيان (745ه/ 1344م)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1422ه، ج10، ص267- 268

2- الراوندي، قصص الأنبياء، ص278

3- سورة هود: الآية (69- 73)

كونها رزقت بولـدها، وهي عجوز عمرها يقارب السـتعين عاماً، وهنا يتضـح الخبر الغيبي الـذي أوحاه الله إلى السـيدة سارة زوجة نبي الله إبراهيم (عليه السلام) وتتحقق المعجزة بولادة النبي إسحاق (عليه السلام) ابن النبي إبراهيم (عليه السلام) من زوجته سارة(1) .

2- العبد الصالح الخضر (عليه السلام):

قال تعالى:

«فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا* قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلمَنِ مِمَّا عُلمْتَ رُشدًا»(2) .

أشار القرآن الكريم إلى العبـد الصالح الخضـر (عليه السـلام) الذي أتاه الله رحمة وعلماً من عنده، وقد أحاط بما لم يحط به موسـى (عليه السـلام) فخرق السفينة، علماً منه أن وراء السفينة ملكاً يأخذ كل سفينة غصباً، فخرقها حتى لا يُرغب فيها(3) ، وقتل غلاماً كان أبواه مؤمنين فخشـي ان يرهقهمـا طغياناً وكفراً وكـذلك أقام جـداراً يريـد أن ينقض لعلمه بأن تحته كنزاً لفلاحين يتيمين، وكان أبوهما صالحاً، فاراد ستره وصيانته عن أعين الناس حتى يبلغنا أشدهما ويستخرجا كنزهما، ثم اسند علمه وعمله هذا إلى الله تعالى، فدل هذا على أن

1- الراوندي، قصص الأنبياء، 670

2- سورة الكهف: الآية (65- 66)

3- انظر: الرازي، تفسـير الرازي، 10- 230؛ ابن كثير، تفسـير القرآن العظيم، 5/ 174؛ الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسـير القرآن، 2/ 430

الله تعالى هو الذي أخبره عن هذه الأسرار الغيبية(1) .

3- ام النبي موسى (عليها السلام):

قال تعالى:

«وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ»(2) .

من الآية المباركة يظهر أن أم النبي موسى عليها السلام عرفت بالغيب مستقبل ولدها، وأن الله تعالى سيحفظه إلى أن يعيده إليها سالماً، وهذا ما تحقق فعلاً؛ إذ ذكر الطبري أن ولدها عاد وأصبحت مرضعته وأصبح ولدها شأناً عظيماً في المستقبل؛ إذ جعله الله نبيه، وحقق ما وعد به أم موسى (عليه السلام)(3) .

4- مريم العذراء (عليها السلام):

قال تعالى:

«إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ»(4) .

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 5/ 185

2- سورة القصص، الآية (18)

3- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، 19/ 519

4- سورة آل عمران: الآية (45- 46)

إنّ ولادة عيسى بن مريم (عليه السلام) كانت غير عادية؛ إذ حملت به مريم (عليها السلام) وهي عذراء لم يمسّها بشر، وهذا الشكل من الولادة، وإن كان على خلاف المألوف من الأسباب، إلا أنه ليس أمراً محالاً، لأن قدرة الله تعالى مطلقة لا يحدها شي، وسلطانه نافذ لا يحو دونه شي(1) ، وقد ظهر هذا الاقتدار والسلطان جلياً من قبل في خلق آدم من تراب من دون أن يكون له أب وأم، قال تعالى:

«إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ»(2) .

وقد ظهر سلطانه في ولادة يحيى (عليه السلام)، إذ ولد من أب هَرِم، وأم عاقر(3) .

ومن لا يؤمن بهذه الأمور الخارقة للعادة، ويذهب إلى تفسير الأمور بالقوانين الطبيعية فقط، فهو من الجاهلين بمشيئة الله المطلقة، وسلطانه الواسع، قال تعالى:

«وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَق قَدْرِهِ»(4) .

1- النسفي، أبو البركات عبد الله ب أحمد (ت710ه/ 1310م)، مدارك التفسير وحقائق التأويل، دار الكتب العلمية، لبنان، 1406ه، ج1، ص157- 158

2- سورة آل عمران: الآية (59)

3- المراغي، تفسير المراغي، 3/ 148

4- سورة الأنعام، الآية (91)

وعلى ضوء ذلـك لا محيص لمن يؤمن بالغيب عن قبول هـذه المعجزات من غير تردد، والغيب هنا هو اطلاع مريم أنها سترزق ولـداً؛ على الرغم من عـدم تزوجها ثم علمها باسـمه وخصائص شخصـيته وهنا يمكننا ان نجزم من خلال النظرة الموضوعية في هذه الأدل الكافية من القرآن الكريم التي لا تدع مجالاً للشك والتردد في هذه المسالة والحقيقة التي نصل إليها بعد كل هذا: هو أنه لا يمكن لمن آمن بالقرآن أن ينفي علم الغيب عن البشر، لأن القرآن أثبت- كما رأينا- هذا العلم للأنبياء ولغيرهم من بعض الصالحين.

****

ص: 60

المبحث الثالث: الغيب عند النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)

قال تعالى: «وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حديثًا فَلَمَّا نَبَّاتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّه علَيْهِ عَرَّفَ بعَضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بعْضٍ فلَمّا نبّأهَاَ بِهِ قاَلَتْ مَنْ أنْبَأَكَ هذَاَ قاَل نبّأنَيِ الْعلَيِم الْخبَيِر»(1) .

وقد روي أن رسول الله أسَر إلى زوجته حفصة حديثاً، أمرها بإخفائه، لكن حفصة أخبرت غيرها به، فأفشت السر وأطلع الله نبيه على ما جرى من إفشاء السر، فعرّف رسول الله حفصة ببعض ما ذكرت، وأفشت، وأعرض عن بعض ما ذكرت فلم يخبر بكل ما أخبرت به، فسألته كيف اطلع على إخبارها وإفشائها سره فقال: نبأني العليم الخبير بسرائر الصدور، وهذه دلالة كبيرة على أن الله قد اطلع رسوله على الغيب عن طريق القرآن الكريم(2) .

1- سورة التحريم: الآية (3)

2- الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، 1/ 316

لقد أجرى الله عز وجل على يد نبيه محمد معجزات باهرات وآيات مبصرات، إذ نظر إليها مريد الحق دلته على أنها شهادة صادقة من الله تعالى لرسوله، أعظمها هي القرآن الكريم، والسنة النبوية حافلة، كذلك بوجوه متعددة من الإعجاز، فكيف لا وهي والقرآن من معين واحد وهو الوحي الصادق، ومن جوانب الإعجاز في السنتة النبوية تلك الأخبار الغيبية التي أخبر بها رسول الله، إذ إنه أخبر ما لا يعرفه احد من البشر، ولا يمكن إدراكه من العقل البشري، وسنحاول التطرق في هذا البحث إلى ذكر بعض الأخبار الغيبية التي أخبر بها رسول الله للدلال على الإعجاز الغيبي عند الرسول؛ لأن المقام لا يتسع لذكر كل هذه الأخبار لأنها كثيرة جداً قد تصل إلى مئات الأخبار الغيبية التي أخبر عنها رسول الله(1) .

أولاً- أخبار الرسول الغيبية عن مصير أصحابه:

1- عمار بن ياسر(2) :

قال رسو الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«ابن سمية؛ للناس أجرٌ ولك أجران، وآخر زادك شربة من لبن، وتقتلك الفئة الباغية»(3) .

1- الكوراني، علي، السيرة النبوية، ط2، دار المرتضى، لبنان، 1430ه، 3/ 403

2- هو عمار بن ياسر بن عامر الكناني، أبو اليقظان، أحد السابقين في الإسلام، هاجر إلى المدينة وشهد بدر وأحد والخندق، كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يلقبه ب (الطيب المطيب)، أصبح والياً على الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب، شهد الجمل وصفين مع الإمام علي وقتل في الثانية وعمره أكثر من تسعين سنة، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك؛ 5/ 82- 83؛ الخوئي، أبو القاسم الموسوي، (ت1411ه- 1991م)، معجم رجال الحديث، ط5، مطبع المركز الإسلامي، إيران، د. ت، 13/ 282

3- ابن هشام، محمد الحميري (ت218ه/ 833م)، السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي الدين، مطبعة المدني، مصر، 1383ه، ج1، ص496؛ الترمذي، ابي عيسى محمد بن سورة (ت279ه/ 892م)،سنن الترمذي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، لبنان، 1403ه، 1/ 479؛ النسائي، أحمد بن شعيب الشافعي، (303ه- 915م)، خصائص الإمام علي عليه السلام، تحقيق: أحمد بن ميرين، مكتب المعلا، الكويت، 1406ه، ص132

والمعروف أن عمار بن ياسر هو ابن سمية، وحينما كان يشارك في حفر الخندق، إذ إن المسلمين كان يحمل كل واحد منهم لبنة، بينما عمار يحمل لبنتين، ويقول: لبنة عني ولبنة عن رسول الله(1) .

وفي رواية أخرى قال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم):

«عمار مع الحق والحق مع عمار، إذ كان عمار جلدة بين عيني وأنفي، تقتله الفئة الباغية»(2) .

وفعلاً تحقق ذلك حين وقف عمار في صفين فقال: إني لأرى وجوه قوم لا يزالون يرتاب المبطلون والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا إنا على حق، وأنهم على الباطل، وتقدم فقاتل ثم رجع إلى موضعه، فاستسقى، فأتته امرأة من بني شيبان، بإناء فيه لب، فقال: الله أكبر اليوم ألقى الأحبة تحت الأسنة صدق الصادق، وبذلك أخبرني الناطق وهو اليوم الذي وعدت به(3) ، ثم عاد إلى ساحة المعركة منادياً: والله لنقاتلهم على تأويله، مثلما

1- ابن سيد الناس، محمد بن عبد الله اليعمر (ت734ه/ 1334م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل واليسر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1406ه، 1/ 197

2- الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي، (ت382ه- 991م)، علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، العراق، 1385ه، 1/ 123

3- الطبري، تاريخ الرسل و الملوك، 4/ 26؛ الحاكم النيسابوري، محمد بن نعيم (ت405ه/ 1015م)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1411ه، ج3، ص386؛ المفيد، محمد بن النعمان العكبري (ت413ه/ 1023م) الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط2، دار المفيد للطباعة والنشر، لبنان، 1414ه، ص14

قاتلنا على تنزيله(1) ، فقاتل قتال الأبطال حتى استشـهد، فلما وصل خبر استشـهاده إلى عمرو بن العاص قال: إني سـمعت الرسول يقول: (ولعت قريش بعمار ما لهم ولعمار؟ يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار)(2) ، وفي رواية أخرى، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «تقلك الفئة الباغية يا عمار»(3) ، وفعلاً تحققت نبوءة رسول الله (صـلى الله عليه واله وسلم)، فكانت شهادة عمار بن ياسر في معركة صفين ضد جيش معاوية بن أبي سفيان وكان آخر زاده من الدنيا شربة لبن.

2- أبو ذر الغفاري(4) :

قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«رحم الله أبا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده»(5) .

1- الطبرسي، امين الإسلام علي بن الحسن (ت548ه/ 1153م)، الاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان، العراق، 1386ه، ج1، ص267

2- المسـعودي، أبي الحسن علي (ت346ه/ 957م)، مروج الـذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمـد هشام النعسان، دار المعرفة، لبنان، 1426ه؛ الطوسـي، أبو جعفر نصير الدين محمد (ت460ه/ 774م)، اختيار معرفـة الرجال، تحقيق: مهدي الجرجاني، مطبعة بعثة، إيران، 1404ه، ج1، ص159؛ اب كثير، ابو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774ه/ 1372م)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1408ه، ج7، ص267

3- البيهقي، احمد بن حسين بن علي (ت458ه/ 1066م)، السنن الكبرى، دار الفكر، لبنان، 1387ه، 5/ 156

4- أبو ذر الغفاري: هو جندب جنادة بن سـفيان، من السابقين في الإسلام وأول من حيا بتحية الإسلام، نفاه الخليفة الثالث عثمان بن عفان إلى الربذة وفيها توفي سنة32ه، ينظر: الخوئي، معجم رجال الحديث، 5/ 217

5- الأصبهاني، إسماعيل بن محمد (ت535ه/ 1141م)، دلائل النبوة، تحقيق: مساعد بن سـليمان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، د. مط، د. ت، ج5، ص222؛ الحلبي، علي بن برهان (ت1044ه/ 1632م)، السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، دار المعرف، لبنان، 1400ه، ج3، ص107

لقـد كان قول رسول هذا حينما كان في طريقه إلى تبوك، حينما قصـرت راحل أبا ذر، فتخلف عن رسول الله"، إذ حاول معالجتها من غير أن تصحو، فتركها، وحمل متاعه على ظهره محاولاً اللحاق بالرسول، فلما رآه رسول الله قال قوله هذا(1) .

وقد تحققت نبوءة رسول الله (صـلى الله عليه واله وسـلم) بعد مضي ثلاثة وعشرين عاماً، حينما ناهض أبو ذر حكم الطغاة والجبابرة وجهر بالحق وما خاف في الله لومة لائم، ولما لم يجدوا سبيلاً إلى إسكاته، نفوه إلى مغارة من الأرض بعيدة عن الناس، وظل فيها ما بقي من عمره يجالـد المأساة، ويعاني الكربات(2) ، وليس معه إلاـ توجته وابنته، وفي آخر ساعـات حيـاته، إذ قـال لزوجته: لا تبكي عليّ، فأني سـمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ذات يوم وأنا عنده في نفر قال:

«ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده، عصابة من المؤمنين» ثم قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«فكل من كان معي في ذلك المجلس في جماعة وقرية، فلم يبق منهم غيري،

1- الكليني، محمـد ب يعقوب (ت329ه- 1002م)، الكـافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط5، دار الكتب الإسـلامية، إيران، 1363ه، ص268

2- ميردامادي، عبد المجيد، موسوع الرسول المصطفى، ط2، مطبعة انتشارات سنبلة، إيران، 1429ه، ص242

وقد أصبحت في الفلات فراقبي الطريق، فأنك سوف ترين ما أقول لك، فأني والله ما كذبت ولا كُذّبت»(1) .

ثم فاضت روحه الشريفة(2) ، ثم اقبل ركب من الكوفة قاصدين الحجاز، فيهم بعض الصحابة، فتقدمهم ابن مسعود فقال: صدق رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) «تمشي وحدك وتموت وحدك»، فغسلوه و كفنوه وصلوا عليه ولما دفنوه وقف مالك الاشتر عند قبره وقال: اللهم إن هذا صاحب رسول الله عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين، لم يغير ولم يبدل، لكنه رأى غريباً منكراً فغيره بلسانه وقلبه، حتى جُفِي وحُرِم واختقِر، ثم مات وحيداً غريبا(3) .

3- حجر بن عدي(4) :

قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«سيقتل ناس يغضب الله لهم وأهل السماء»(5) .

لم يكن ذنب حجر بن عدي إلا أنه أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأبى

1- أحمد بن حنبل، مسند أحمد، ج3، ص82

2- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 2/ 280

3- الأصبهاني، دلائل النبوة، ج5، ص222؛ الحلبي، السيرة الحلبية ج3، ص107

4- هو حجر بن عدي بن جبلة الكندي، صحابي شجاع، كان يُطلق عليه حجر الخير، شارك في معركة القادسية، وشارك مع الإمام علي عليه السلام في معركتي الجمل وصفين، أمر معاوية بقتله هو ومجموعة من أصحابه من اذلين ناهضوا حكم الأمويين وكان ذلك سنة51ه، ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 141؛ اب سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت230ه/ 785م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، لبنان، د. ت، 6/ 159

5- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 18؛ ابن عساكر، علي بن عبد الله (ت571ه/ 1176م)، تاريخ دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، لبنان، 1415ه، ج12، ص227

السكوت عن الحق، فقد روي ان زياداً خطب يوماً على منبر الكوفة فأطال في الخطبة وأخر الصلاة فقام حجر وقال: الصلاة، فمضى زياد في خطبته، ثم قال: الصلاة، فمضى في خطبته، فلما خشي حجر فوت الصلاة ضرب بيده إلى كف من الحصى وثار إلى الصلاة، وثار الناس معه، ولما رأى زياد ذلك نزل من المنبر وصلى وبعدها كتب إلى معاوية، يقول: لست بشيء أن أمنع الكوف من حجر بن عدي وأدعه نكالاً لمن بعده(1) .

ولعلّ حجر ذكر نبوءة رسو الله (صلى الله عليه واله وسلم) حينما تأخرت الصلاة ورأى صدق ما كان يقول: (ستكون عليكم أمراء تشنغلهم أشياء عن الصلاة حتى يؤخروها عن وقتها، فصلوها لوقتها)(2) فكان جرمه أن أنكر على زياد بن أبيه تأخير الصلاة، مثلما كان شديد العداء لمعاوية وعماله، وكان يهجوهم وينال منهم ولا يأبه لهم، ولما وصلت معاوية أخباره أمر أتباعه بإحضاره مكتفاً إلى الشام، وقد ألقي القبض عليه مع نفر من أنصاره، ثم أرسلوا إلى معاوية، فانتهى بهم الأمر إلى مرج العذراء(3) ، وقد أشهد عليهم زياد شهادة

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5 / 18؛ ابن عساكر، علي بن عبدالله (ت571ه/ 1176م)، تاريخ دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، لبنان، 1415ه، ج12، ص227

2- أحمد بن محمد بن حنبل (ت241ه/ 855م)، مسند احمد، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة قرطبة، مصر، د. ت، 15 / 315؛ الخطيب البغدادي، احمد بن علي بن ثابت (ت463ه/ 1072م)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، لبنان، 1417ه، 13/ 185

3- مرج العذراء: منطقة في بلاد الشام تبعد عن دمشق اثنا عشر ميلاً ينظر: ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي (ت626ه/ 1229م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1399ه، ص497؛ الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت900ه/ 1495م)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، مطبعة قم، إيران، د. ت، ص409

زور، وطلب منهم البراءة من أمير المؤمنين (عليه السلام) فرفضوا، فأمر بقتلهم بعدما حفرت قبورهم أمام أعينهم، وقد صلى حجر بن عدي قبل أن يقتل ركعتين ورفع يده إلى السماء، وقال: ((اللهم إنا نستعديك على امتنا، فإن أهل الكوفة قد شهدوا علينا، وأن أهل الشام يقتولوننا، أما والله لئن قتلتموني بها إني لأول فارس من المسلمين ملك في واديها، وأول رجل من المسلمين نبحته كلابها(1) ، ثم قال لمن حوله: لا تطلقوا عني حديداً ولا تغسلوا عني دماً وادفنوني في ثيابي فإني مخاصم))(2) .

4- جابر بن عبد الله الانصاري(3) :

قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ»(4) .

1- ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج6، ص219؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ص205؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 8/ 25

2- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 12/ 228؛ الذهبي، شمس الدين محمد (ت748ه/ 1347م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1413ه، ج3، ص138

3- هو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حزام بن سلمة الأنصاري، من بني سلمة، من صحاب رسول الله" كان من الذين بايعوا بيعة العقبة الثانية، شهد مع الرسول صلى الله عليه و آله كافة حروبه، كان أول من زار قبر الحسين (عليه السلام) وشهداء كربلاء في اليوم الأربعين من استشهادهم، توفي سنة78ه للهجرة وهو آخر من بقي من صحابة رسول الله، ينظر: ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت630ه/ 1233م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة انتشارات اسماعيليان، إيران، 1391ه، 1/ 256؛ابن حجر العسقلاني، الاصابة في معرفة الصحابة، 1/ 213؛ الأمين، محسن العاملي (ت1371ه/ 1952م)، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف، للمطبوعات، لبنان، 1403ه، 5/ 199

4- سورة النساء: الآية (59)

ذكر العلامة المجلسي رواية: كنت عند رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عندما نزلت هذه الآية فقلت له: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله فمن أولي الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ قال:

«هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين من بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر، وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرأه مني السلام...»(1) .

والمتابع لتاريخ أهل البيت (عليهم السلام) يرى أنه قد تحققت نبوءة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لجابر في إدراكه الإمام الباقر (عليه السلام) وقد أبلغه عن رسول الله السلام، إذ يقول جابر: دخلت على على بن الحسين)عليه السلام) ذات يوم، فبينما أنا أحدثه إذ خرج محمد ب على الباقر (عليه السلام) من عند نسائه وهو غلام، فلما أبصرته ارتعدت فرائصي وقامت كل شعرة على بدني، ونظرت إليه، وقلت: يا غلام أقبل، فأقبل ثم قلت: أدبر، فأدبر، شمائل رسول الله ورب الكعبة، ثم دنوت منه وقلت ما اسمك يا غلام؟ قال: محمد، قلت: ابن من؟ قال: علي بن الحسين، قلت: بأبي فداك نفسي، فأنت إذن الباقر! فقال: نعم فأبلغني ما حملك رسول الله، فقلت: يا مولاي إن رسول الله بشرني بالبقاء إلى أن ألقاك، فقال لي: إذا لقيته فاقرأه عني السلام، فرسول الله يقرأ عليك السلام، قال أبو جعفر (عليه السلام):

«يا جابر وعلى رسول الله السلام ما قامت السماوات والأرض وعليك يا جبار

1- المجلسي، بحار الأنوار، ج36/ص249

كما بلغت السلام»(1) .

وكان جابر بعد ذلك يختلف عليه ويتعلم منه، فسأله محمد الباقر (عليه السلام) عن شي، فقال له جابر: والله لا دخلت في نهي رسول الله فقد أخبرني إنكم الأئمة الهداة من أهل بيته من بعده، وأعلم الناس صغاراً وأعلمهم كباراً، وقال: (لا تعلموهم فهم أعلم منكم) فقال أبو جعفر:

«صدق رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) والله إني لأعلم منك بما سألتك عنه، ولقد أوتيت الحكم، وكل ذلك بفضل الله علينا ورحمته لنا أهل البيت»(2) .

ثانياً- أخبار الرسول الغيبية عن أهل بيته:

سنحاول من خلال هذه الفقرة استعراض بعض الأخبار الغيبة التي أخبر بها رسو لالله (صلى الله عليه واله وسلم) عن أهل بيته (عليهم السلام)، كونها كثيرة جداً، قد تتجاوز مئات الروايات والأخبار التي ذكرها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عن أهل بيته (عليهم السلام).

1. الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام):

روى سليم ب قيس(3) ، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال:

1- المصدر نفسه، 36/ 249

2- الخزاز القمي، علي بن محمد (400ه/ 1010م)، كفاية الأثر، تحقيق: عبد اللطيف الحسني، الخيام، إيران، 1401ه، ص53- 54

3- هو سليم بن قيس الهلالي، العامري، الكوفي، أبا صادق من التابعين، ولد في السنة الثانية قبل الهجرة، جام للمدينة أيام الخليفة عمر بن الخطاب، كان من أصحاب الإمام علي، شارك في معارك الجمل وصفين والنهروان، له كتاب بعنوان السقيفة أو كتاب سليم بن قيس، وقد اختلف في نسبة هذا الكتاب له وأشار آخرون فقالوا: أنه مدسوس، هرب سليم بن قيس إلى بلاد فارس بسبب ملاحقة الحجاج له، توفي هناك سنة76للهجرة، ينظر: ابن النديم، أبو الفرج البغدادي (ت438ه/ 1047م)، الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، مطبعة شهيد علي باشا، إيران، 1400ع، ص210؛ محس الأمين، أعيان الشيعة، 7/ 297

«كنت أمشي مع رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في بعض طرق المدينة، فأتينا على حديقة، فقلت: يا رسول الله ما أحسنها؟ قال : (ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها) ثم أتينا على حديقة أخرى، فقلت: يا رسول الله ما أحسنها من حديقة؟ فقال: (ما أحسنها ولك في الجنة أحسن منها) حتى أتينا على سبع حدائق أقول يا رسول الله ما أحسنها؟ ويقول (لك في الجنة أحسن منها)، فلما خلا له الطريق أعتقني ثم أجهش باكياً وقال: (بأبي الوحيد الشهيد)، فقلت: يا رسول الله ما يبكيك؟ فقال: (ضغائن في صدور القوم لا يبدونها إلا من بعدي، أحقاد بدر وتراث احد) قلت: في سلامة من ديني؟ قال: (في سلامة من دينك، فأبشر يا علي، فأن حياتك و موتك معي، وأنت أخي ووصيي وأنت صفييّ ووزيري ووارثي والمؤدي عني وأنت تقضي ديني وتنجز عداتي عني، وأنت تبرئ ذمتي وتؤدي أمانتي وتقتل على سنتي الناكثين من أمتي والقاسطين والمارقين، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى، ولك بهارون أسوة حسنة إذ استضعفه قومه وكادوا يقتلونه، فأصبر لظلم قريش إياك أن تظاهرهم عليك، فإنرك بمنزلة هارون من موسى و من تبعه، وهم بمنزلة العجل و من تبعه...)، فقلت: الحمد الله شكراً على نعمائه، وصبراً على بلائه وتسليماً ورضاً بقضائه»(1) .

1- سليم بن قيس، الهلالي، (76 ه- 665م)، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: باقر الأنصاري، مطبعة قم، 1398ه، ص136؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 12/ 394؛ الهيثمي، نورالدين علي (ت708ه/ 1404م)، مجمع الزوائد و منبع الفوائد، دارالكتب العلمية، لبنان، 1408ه، 9/ 118

استعرض رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عدة أمور غيبية ستحصل فيما بعد على الإمام علي وأهل بيته (عليهم السلام)، منها قتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، وهذا ما تحقق فعلاً في حروب الإمام عليه (عليه السلام) في الجمل وصفين والنهروان، كذلك قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): «ضغائن في صدور القوم»، وهذا ما حدث فعلاً مع الإمام بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)(1) وسنحاول إلقاء جزء من الضوء على قتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، لعظيم هذا الخبر؛ ولكونه قد صدر مراراً وتكراراً وفي مناسبات عديدة، روته العامة والخاصة متواتراً، وقد نزل في شأنهم قوله تعالى:

«فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ»(2) .

فقد روي عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإنه سوف ينتقم من الناكثين والقاسطين والمارقين(3) .

وروى أبو أيو الأنصاري(4) : ((أمرنا الله بقتال الناكثين والقاسطين، فقد

1- ميردامادي، موسوعة الرسول، 344

2- سورة الزخرف، الآية (41)

3- ابن بطريق، يحيى بن الحسن الحلي (600ه- 1203م)، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب امام الابرار، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1407ه، 354؛ السيوطي، الدر المنثور، 6/ 18

4- هو خالد بن زيد بن كليب، أبو أيو الأنصاري الخزرجي من صحابة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) نزل النبي في داره عند هجرته الى المدينة، شهد أبو أيوب حروب النبي جميعها، اشترك مع الإمام علي (عليه السلام) في حروبه جميعها، ولاه الإمام علي (عليه السلام) على المدينة في خلافته، كان أبو أيوب من الصحابة المكثرين في نقل أحاديث الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، توفي في القسطنطينية سنة52ه، عندما خرج لحرب الروم ودفن هناك. ينظر: البلاذري، احمد بن يحيى (ت279ه/ 892م)، انساب الاشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، 1394 ه، 2/ 454، ابن عبد البر، محمد بت احمد الأندلسي (ت463ه/ 1072م)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تحقيق محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان، 1412ه، 1/ 403

قاتلنا الناكثين وهم أهل الجمل، والقاسطين وهم أهل الشام، وأنا مقيم حتى أقاتل المارقين بالنهروان))(1) .

ومن الأخبار الغيبية الأخرى التي اخبرها رسول الله (صلى الله عليه واله و سلم) عن حرب الجمل قوله لعائشة:

«ستنبح عليها كلاب الحوأب»(2) .

فعن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال لنسائه:

«ليت شعري ايتكن صاحبة الجمل الأذيب(3) ، التي تنبحها كلاب الحوأب فيقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثر، ثم تنجو بعد ما كادت تهلك».

ثم التفت إلى عائشة قائلاً:

1- ابن عساكر، تاريخ دمشق42/ 471؛ ابن الأثير، أسد الغابة، 4/ 33؛ اب كثير، البداية والنهاية7/ 339

2- الحوأب: ماء قريب من البصرة على طريق مكة، وهو الذي مرت به عائشة في توجهها إلى البصرة يوم الجمل. ينظر: الحميري، الروض المعطار، 206

3- الأذيب: يقال أن المذنبة داء يصيب الدواب، والأذيب للجمل لكثرة الوبر فيه، ينظر: الصدوق، محمد بن بابويه القمي (ت381ه/ 991م)، معاني الاخبار، تحقيق علي اكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1379ه، 305

«إياك أن تكوني أنت»، ثم التفت إلى علي (عليه السلام) فقال:

«يا أبا الحسن إن ولّيت من أمرها شيئاُ فأرفق بها»(1) . وقد أشار النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) في خطبة إلى مسكن عائشة فقال:

«هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، هاهنا الفتنة، من حيث يطلع قرن الشيطان»(2) .

وفي رواية أخرى ان الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قال لعلي:

«سيكون بينك وبين عائشة أمر» قال (عليه السلام): أنا يا رسول الله؟ قال (صلى الله عليه واله وسلم):

«نعم ولكن إذا كان ذلك فأوردها إلى مأمنها»(3) .

وفعلاً تحقق ما أخبر به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم).

فحينما كان جيش ابن الزبير سائراً ومعه عائشة على جمل، حتى وصلوا الحوأب فنبحتها كلابه، فسألتهم أين نحن؟ فقالوا: فصرخت عائشة بأعلى

1- ابن شهر آشوب، مشير الدين محمد (ت588ه/ 1092م)، مناقب ال أبي طالب، المطبعة الحيدرية، العراق، 1376ه، 1/ 22

2- البخاري، محمد بن اسماعيل (ت256ه/ 870م)، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1401ه، 4/ 46

3- المديني، محمد بن عمر (ت581ه/ 1185م)، خصائص مسند أحمد، مكتبة التوبة، الرياض، د. ت، 6/ 393

صوتها، وقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إني لهي، سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول وعنده نساؤه:

«ليت شعري ايتكن تنبحها كلاب الحوأب؟» ثم عضد بعيرها وأناخته، وقالت: ردوني أنا والله صاحبة ماء الحوأب، فأناخوا حولها يوماً وليلة، ثم قالوا لها: انه كذ أنها ليست الحوأب، فطلبت منهم شهوداً، فجاءوا بخمسين شاهداً من العرب فشهدوا لها كذباً وزوراً انه ليس بماء الحوأب(1) ، وهي مثلما قال الإمام الصادق (عليه السلام) أول شهادة زور في الإسلام(2) .

ومن الأخبار الغيبية التي قالها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن حرب الجمل ما نقله الإمام الباقر (عليه السلام) قال: مر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يوماً على علي (عليه السلام) والزبير قائم معه يكلمه، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«ما تقول له فوالله لتكونن أول العرب تنكث بيعتة»(3) .

1- الدينوري، ابن قتيبة محمد بن مسلم (ت276ه889م)، الإمام والسياسة، تحقيق: علي شيري، مطبعة امير، ايران، 1413ه، 1/ 48؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/ 475

2- المجلسي، بحار الانوار، 32/ 142

3- ابن مردويه، احمد بن موسى الأصفهاني (ت410ه/ 1019م)، مناقب علي بن أبي طالب، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين، دار الحديث، لبنان، 1424 ه، 98؛ الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت573ه/ 1178م)، الخرائج والجرائح، تحقيق: محمد باقر الابطحي، دار الكتب العلمية، إيران، 1409ه، 1/ 597؛ ابن شهر اشوب، المناقب، 1/ 315

وفي رواية أخرى أن رسول الله (صـلى الله عليه واله وسـلم) مر على علي (عليه السـلام) والزبير وكان الزبير مبتسماً؛ وهو يكلم عليّناً، فقال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«يا زبير أتحب علياً؟»، فقال: وكيف لا أحبه وبيني وبينه من النسب والمودة في الله ما ليس لغيره، فقال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

«إنك ستقاتله وأنت ظالم له»(1) .

وقد تحققت نبوءة رسول الله (صـلى الله عليه واله وسـلم) فكان الزبير أول من نكث بيعته بعدما كان أول من بايع(2) ، وقد ذكّر الإمام علي (عليه السـلام) الزبير بكلام رسول الله (صـلى الله عليه واله وسلم) حينما تواجها في حرب الجمل؛ إذ قا له: نشدتك بالله أتذكر يوماً مر بنا رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وابتسم في وجهي، فابتسمت في وجهه، ولم أزد فقلت له: أنت لا يترك ابن ابي طالب زهوه، فقال لك الرسول: (أنه ليس بذي زهو، أما أنك سنتقاتله وأنت له ظالم) فاسترجع الزبير؛ وقال: لقد كان ذلك؛ ولكن الدهر إنسانيه ولا

1- المجلسي بحار الأنوار، 4/ 112

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 5/ 200 ؛ ابن الدمشقي، شمس الدين ابو البركات بن محمد (ت871ه/ 1467م)، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، دانش، ايران، 1415، 2/ 31

نصرفن عنك، فرجع(1) .

وأما في ما يخص الخوارج فقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«يخرج من أمتي قومٌ يسيؤون الأعمال يقرؤون القرآن لا يتجاوز حناجرهم، يحقر أحدكم عمله مع عملهم، يقتلون أهل اسلام، فإذا خرجوا فاقتلوهم، فطوبى لمن قتلهم وطوبى لمن قتلوه، كلما طلع منهم قرن قطعه الله»(2) .

وفي رواية أخرى أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«يأتيكم قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من اسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل اسلام، ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وفعلاً كان الخوارج مثلما وصفهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كانوا يقرؤون القرآن في الليل والنهار وهم منه براء، فقد خرجوا على الإمام علي (عليه السلام) في حرب صفين محتكمين إلى رأيهم تاركين إمام زمانهم وخليفتهم، وقد عمل الإمام علي (عليه السلام) معهم مثلما قال له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، فقاتلهم في النهروان، حتى يكاد يكون قد أبادهم

1- المحب الطبري، محمد بن جرير بن رستم الحمامي (ت القرن الرابع الهجري)، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مطبعة سلمان الفارسي، إيران1415ه، 661؛ ابن أبي الحديد، عز الدين بن عبد الحميد شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل، د.مط، لبنان، د. ت، 2/ 167

2- أحمد، المسند، 2/ 84؛ البخاري، صحيح البخاري، 8/ 178؛ مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري (ت261ه/ 875م)، صحيح مسلم دار الافاق، لبنان، د. ت، 3/ 110؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 1/ 162

ع بكرة أبيهم فلم ينجو منهم إلاّ عدداً قليلاً.

وفي ما يخص شهادة الإمام (عليه السلام)، فقد روى الإمام الصادق (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«يا علي ستضرب ضربة هاهنا، وأشار إلى صدغه فيسيل دمها حتى تخضب لحيتك، ويكون صاحبها أشقاها كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود»(1) .

وفي رواية أخرى عن الإمام الرضا (عليه السلام) أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) كان قد ذكر فضل شهر رمضان فسأله الإمام علي (عليه السلام) يا رسول الله ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال (صلى الله عليه واله وسلم):

«يا أبا الحسن أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله، ثم بكى فقال له أمير المؤمنين: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: يا علي أبكي لما يستحلِ منك في هذا الشهر، كأني بك وأنت تصلي لربك وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين شقيق عاقر ناقة ثمود فضربك ضربة على قرنك فخضب منها لحيتك» فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني؟قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

1- الخوارزمي، الموفق بن احمد (ت568ه/ 1174م)، المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1414، ص380؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المضفر (ت654ه/ 1159م)، تذكرة الخواص، تحقيق: محمد صادق، دار العلوم للطباعة، لبنان، 1425ه، 100

«سلامة من دينك»(1) .

وكما أخبره الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كانت شهادة أمير المؤمنين في شهر رمضان على يد أشقى الأشقياء عبد الرحمن بن ملجم(2) (لعنه الله).

2. فاطمة الزهراء (عليها السلام):

كثيرة هي الأخبار الغيبية التي أوردها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بحق ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) في ما يخص الولادة المباركة.

ينقل الإمام الصادق (عليه السلام) عن كيفية الولادة فيقول:

«أن خديجة لما تزوج بها رسول الله (صلى الله عليه واله) هجرتها نسوة مكة فكن لا ـ يدخلن عليها، ولا ـ يتركن امرأة تدخل عليها فاستوحشت خديجة لذلك، فلما حملت بفاطمة كانت تحدثها من بطنها وتصبرها، وكانت تكتم ذلك عن رسول الله، فدخل رسول الله يوماً فسمع خديجة تحدث فاطمة فقال لها:

(يا خديجة من تحدّثين؟) قالت: الجنين الذي في بطني يحدثني، ويؤنسني، قال: وأن الله تبارك وتعالى سيجعل نسلي منها وسيجعل من نسلها أئمة، ويجعلهم خلفاء في أرض بعد انقضاء وحيه»(3) .

1- الصدوق، عيون الأخبار، 2/ 266

2- ابي الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبين، 47

3- الصدوق، أبي جعفر محمد (ت381ه- 991م)، الأمالي مؤسسة البعثة، إيران، 1417ه، 690؛ الحافظ الطبري، احمد بن عبد الله، (ت694ه- 1295م)، ذخائر العقبى، مكتبة المقدسي، مصر، 1256ه، 44، القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم (ت1294ه/ 1877م)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: علي جمال الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، د. م، 1416ه، 2/ 133

وفعلاً ها هي الأيام تثبت صحة نبؤة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بحق ولادة فاطمة (عليها السلام) والذرية المباركة من نسلها، إذ جعلهم الله أئمة الهدى، وخلفاء في أرضه على عباده، وسفن نجاة هذه الأمة، ومن الأخبار الأخرى التي أوردها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) في ما يخص شهادتها قوله:

«كأني بفاطمة وقد ظلمت وهي تنادي يا أبتاه، فلا يعينها أحد من أمتي... ابشري بسرعة اللحاق بي فأنك أول من يلحق بي فانك أول من يلحق بي أهل بيتي»(1) وقال (صلى الله عليه واله وسلم):

«يا علي ويل لمن ظلمها، وويل لمن ابتزها حقها، وويل لمن انتهك حرمتها، وويل لمن أحرق بابها وويل لمن آذى خليلها وويل لمن شاقها وبارزها»(2) .

وقد حصل كل ما أخبر به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)، إذ ورد في كتب التاريخ والسيرة والحديث مما رواه الفريقان من الهجوم على دار فاطمة وإحراقه وإسقاط جنينها المحسن(3) ، وقد

1- الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (460ه- 1067م)، الآمالي، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة، إيران، 1414ه، 1/ 191

2- ابن حبان البستي، محمد بن أحمد (ت354ه- 965م)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1414ه، 5/ 192

3- ينظر: الدينوري، ابن قتيبة محمد بن مسلم (ت276ه- 889م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر، 211، 211؛ البلاذرى، أنساب الأشراف، 1/ 586؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبى، 2/ 123؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 2/ 443؛ابن عبد ربه، شهاب الدين الأندلسي (ت328ه/ 940م)، العقد الفريد، مطبعة العلم، المغرب، د. ت، 5/ 12؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، 2/ 254؛ ابن شهر آشوب، المناقب، 3/ 33؛ ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت732ه. 1331م)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: يحيى سيد حسين، دار المعارف، مصر، 1419ه، 1/ 56؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت748ه/ 1347م)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاول، مطبعة المعارف للنشر، لبنان، د. ت، 1/ 139؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 17/ 311

تناسى من قام بهذا الفعل قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«يا فاطمة الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»(1) .

وقوله (صلى الله عليه واله وسلم):

«فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها ويريبني ما أرابها»(2) .

3. الإمام الحسن (عليه السلام):

من الأخبار الغيبية التي أخبر بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) عن الإمام الحسن (عليه السلام)، روي عن أم الفضل زوجة العباس عم النبي أنها قالت: قلت يا رسول الله إني رأيت في المنام كأن عضواً من أعضائك في حجري، فقال:

«تلد فاطمة غلاماً فتكفلية»، فوضعت فاطمة (عليها السلام) الحسن، فدفعه

1- ابن الأثير، أسد الغابة، 7/ 224

2- ينظر: البخاري، صحيح البخاري، 7/ 224؛ النسائي، ابو عبد الرحمن احمد (ت353ه- 915م)، خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، مكتبة المعلى، الكويت، 1406ه، 36

إليها فرضعته من لبنها(1) ، وفي رواية أخرى قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

«تلد ابنتي فاطمة غلاماً ترضعيه بلبنك»(2) .

وقد ولد الإمام الحسن (عليه السلام) بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وجاءت به أمه فاطمة (عليها السلام) إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) يوم السابع من مولده في خرقة من حرير الجنة، جاء بها جبرائيل (عليه السلام) إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فسماه حسناً بأمر من الله وعق عنه كبشاً(3) .

وأما فيما يخص شهادة الإمام الحسن (عليه السلام) وما جاء من إخبار رسول الله في ذلك عن ابن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«وأما الحسن فإنة ابني وولدي منّي وقره عيني وضياء قلبي وثمرة فؤادي، وهو سيد شباب أهل الجنة، وحجة الله على الأمة، أمره أمري، وقوله قولي، من تبعه فإنه مني و من عصاه فليس مني، وإني لما نظرت إليه ذكرت ما يجري عليه من الذل بعدي، فلا يزال الأمر به حتى يُقتل بالسم ظلماً وعدوانا..»(4) .

وقد تحققت نبوءة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بعد سنوات عدة،

1- أحمد بن حنبل، مسند احمد، 6/ 339

2- ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8/ 279

3- ابن ابي الفتح الأربلي، علي بن عيسى (ت693ه/ 1293)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق: جعفر السبحاني، دار الأضواء، لبنان، 1405ه، 2/ 146

4- الصدوق، الأمالي، 197

إذ بعث معاوية سماً إلى جعدة بنت الأشعث(1) ، مع مائة ألف درهم، وضمن تزويجها من ابنه يزيد إن قتلت الإمام الحسن (عليه السلام) وفعلاً فعلت ذلك إذ وضعت السم إلى الإمام مع اللبن حينما كان صائماً، فكان ذلك في سنة (50ه) وكان عمر الإمام فيها ثمانية وأربعين عاماً(2) .

4. الإمام الحسين (عليه السلام):

أنبا رسو الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن ولادة الحسين (عليه السلام) وشهادته في مناسبات عديدة، ففيما يخص ولادته، فقد ذكر الإمام الصادق (عليه السلام) رؤيا رأتها أم أيمن زوجة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، فقال لها الرسول (صلى الله عليه واله وسلم): (قصيها على رسول الله فأن الله ورسوله أعلم) فقالت: تعظم علي أن أتكلم بها، فقال لها: إن الرؤيا على ما ترى فقصيها على رسول الله، قالت: رأيت في ليلتي هذه كأن بعض أعضائك ملقى في بيتي، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«نامت عينك يا أم أيمن! تلد فاطمة الحسين فتربينة وتلبينة فيكون بعض

1- هي جعدة بنت الأشعث بن قيس من قبيل كندة، كان أبوها أمير قبائل كندة في بلاد حضرموت، وفد ابوها على الرسول" في نفر من قومه، وقد أسلموا، تزوجت من الإمام الحسن عليه السلام وقد قامت بسَم الإمام بالتواطئ مع معاوية محاولاً إغوائها بالمال وبالزواج من ابنه يزيد، وبعد قيامها بفعلتها بسَم الإمام كتب إلى يزيد أن يفي بوعده، بالزواج منها، فقال: إنا لم نرضاك للحس فكيف نرضاك لأنفسنا؟، ينظر: ابن الأثير، أسد الغابة، 1/ 562؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911ه/ 1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: وائل محمود الشرقي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1428ه، 123- 124

2- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي،2 / 200؛ ابي الفرج الاصفهاني، مقاتل الطالبيين، 81 - 82؛ المفيد، أبي عبد الله محمد العكبري (ت413ه/ 1022م)، الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط2، دار المفيد، لبنان، 1414ه، 2/ 16

أعضائي في بيتك»(1) .

فلما ولدت فاطمة الحسين، وكان يوم السابع، أمر رسول الله، فحلق رأسه وتصدق بوزن شعره فضة، وعق عنه، ثم هيأته أم أيمن ولفته في برد رسول الله، ثم أقبلت به إلى رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فقال:

«مرحباً بالحامل والمحمل، يا أم أيمن هذا تأويل رؤياك»(2) .

أما في ما يخص شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) فقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) بذلك في مواضع عدة وغالباً ما نجد خبر الشهادة مقروناً بخبر الولادة، فعن أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، قال: إن جبرائيل نزل على محمد فقال:

«يا محمد إن الله يقرؤك السلام، ويبشرك بمولود من ولد فاطمة تقتله امتك من بعدك، فقال: يا جبرائيل وعلى ربي السلام لا حاجة لي بمولود يولد من فاطمة تقتله أمتي من بعدي، قال: فعرج جبرائيل إلى السماء ثم هبط فقال له: يا محمد إن ربك يقرؤك السلام، ويبشرك أنه جاعل في ذريته امامة والولاية والوصية، فقال رسول الله: قد رضيت»(3) .

وفي رواية أخرى أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

1- الصدوق، الآمالي، 143

2- المجلسي، بحار الأنوار، 43/ 243

3- الفتال النيسابوري، زين المحدثين محمد (ت508ه/ 1114م)، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، مطبعة الشريف الرضي، إيران، د. ت، 154

«لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بني، تقتلك الفئة الباغية من بني أمية لعنهم الله»(1) .

وروي أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) رأى كلباً ابقع ولغ في دمه، فأوله أن رجلاً يقتل الحسين بن بنته، فكان الشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين أبرص، فتأخرت الروايات بعده ما يقارب خمسين سنة(2) ، وقد تحقق ما أخبر به رسول الله، ففي كربلاء حينما كان الحسين قرب نهر كربلاء ينظر إلى شمر بن ذي الجوشن، فقال: الله أكبر صدق الله ورسوله، حينما قال: كأني أنظر إلى كلب أبقع يلغ في دم أهل بيتي، وكان الشمر ابرص(3) .

أما فيما يخص مكان استشهاده، فلما أتى على الحسين من مولده سنتان خرج النبي (صلى الله عليه واله وسلم) في سفر له فوقف في الطريق ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك؟ فقال: «هذا جبرائيل يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء، يقتل عليها ولدي الحسين ابن فاطمة، فقيل و من يقتله يا رسول الله؟ قال: «رجل يقال لم يزيد لعنه الله، وكأني انظر إلى مصرعه و مدفنه»(4) .

وبعد رجوعه من السفر خطب بالناس خطبة، لما فرغ منها وضع يده اليمنى على رأس الحسين، ويده اليسرى على رأس الحسن ورفع رأسه إلى السماء فقال:

1- الصدوق، الآمالي، 199

2- المجلسي، بحار الأنوار، 60/ 62

3- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 22/ 247؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 8/ 205

4- الخوارزمي، ضياء الدين المؤيد (ت568ه/ 1172م)، مقتل الحسين، تحقيق: العلامة السماوي، مطبعة الزهراء، إيران، 1367ه، 1/ 237؛ اللهوف في قتلى الطفوف، مطبعة مهر، إيران 1417، 23

«اللهم أن محمـداً عبـدك ونبيك وهـذان أطائب عترتي خيار ذريتي، وأرومتي، من أخلفهما في أمتي، وقـد اخبرني جبرائيل أن ولـدي هـذا مقتول مخذول، اللهم فبارك في قتله واجعله من سادات الشهداء، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله» فضج الناس بالبكاء والنحيب فقال النبي (صلى الله عليه واله وسلم):

«أتبكون ولاـ تنصـرونه؟» ثم رجع وهو محمر الوجه فخطب خطبـة أخرى أوصـاهم فيهـا بـالثقلين وحـذرهم من أن يلقوه يوم القيامـة وهم ظالمون لعترته(1) .

ثالثاً- أخبار الرسول الغيبيـة عن الدولة الأموية: تعرض القرآن الكريم إلى خبث طينة بني أمية وعدائهم الشديد لأهل بيت النبوة (عليهم السلام) وعدم إيمانهم بالله جل جلاله، ففي آية ضرب الله لهم مثلاً، فقال تعالى:

«ومَثَلَ كلَمِةٍ خبَيثِةٍ كشَجَرَةٍ خبَيثِةٍ اجْتثُّتْ مِنْ فوَقِ الْأرْضِ ماَ لهَاَ مِنْ قرَاَرٍ»(2) .

وفي هذه الآية نبوءة واضحة جاء بها القرآن الكريم على رسوله (صلى الله عليه واله وسلم) وهي زوال ملك بني أمية، أن الظالم ما له من قرار في الأرض(3) ، وفي آية أخرى سماهم بالشجرة الملعونة، وانبأ عن افتتان الناس بهم فقال تعالى:

1- البيهقي، أبو بكر احمد بن الحسين (ت458ه/ 1066م)، دلائل النبوة، مطبعة الاستانة تركيا، د. ت 3/ 202

2- سورة ابراهيم، الآية (26)

3- الطوسي، الآمالي، 689؛ المجلسي، بحار الأنوار، 82/ 177

«وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا»(1) .

والرؤيا التي أشار إليها القرآن الكريم في هذه الآية فهي ما قاله الإمام الصادق (عليه السلام):

«إن النبي رأى في منامه بني أمية يصعدون على منبره من بعده، ويضلون الناس عن الصراط المسقيم، فأصبح حزيناً، فهبط جبرائيل فقال: يا رسول الله ما أراك حزيناً؟ قال:

يا جبرائيل إني رأيت بني أمية في ليليتي هذه يصعدون منبري من بعدي يضلّون الناس عن الصراط المستقيم، فقال:

«والذي بعثك بالحق نبياً إن هذا الشيء ما أطلعت عليه، فعرج إلى السماء فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن سلاّه بها، قال:

«أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (205) ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ما أَغْنَى عَنْهُمْ ما كَانُوا يُمَتَّعُونَ»(2) .

و أنزل عليه بعدها سورة القدر، وجعل الله ليل القدر لنبيه خيراً من ألنف شهر ملك بني أمية(3) ، وحينما تحسب مدة ملك بني أمية فإذا هي ألف شهر لا

1- سورة ابراهيم: الآية (60)

2- سورة الشعراء: الآية (206)

3- الطوسي ،الآمالي، 689

تزيد ولا تنقص(1) .

وفي رواية أخرى أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«رأيت بن أمية على منابر الأرض وسيملكونكم فتجد أرباب سوء»(2) .

ورواية أخرى رواها سهل بن سعد(3) قال: رأى رسول الله بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فساءه ذلك فلم نره يضحك حتى وفاته(4) .

أما فيما يخص معاوية بن ابي سفيان، فقد صدرت من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) روايات عدة تكشف اللثام عن لؤمه وكفره، منها قول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

«إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»(5) .

1- البرزنجي محمد بن عبد الرسول الشهروزي، (ت1013ه- 1605م)، الإشاعة لاشتراط الساعة، تحقيق: موفق فوزي الجبير، ط2، دار النمر للطباعة، سوريا، 1416ه، 64

2- القاضي النعمان المغربي، محمد التميمي (ت363ه/ 937م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الحسيني، ط2، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1414ه، 3/ 397؛ الشوكاني فتح القدير، 3/ 24

3- سهل بن سعد: هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الخزري الساعدي، ابو العباس ويقال: أبو يحيى، المدني له ولأبيه صحبة لرسول الله" كان عمره خمس عشر عاماً حين وفاة الرسول" روى العديد من الأحاديث عن الرسول" روى عنه البخاري وأبو داود ومسلم والترمذي وغيرهم، توفي سنة88ه في المدينة المنورة، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 1/ 372؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 259

4- ينظر: الطبري، تفسير الطبري 15/ 73؛ ابن بطريق، العمدة، 452؛ الرازى، تفسير الرازي، 2/ 236؛ القرطبي، تفسير القرطبي، 1/ 283

5- ينظر: ابن عدي، أبو أحمد عبد الله الجرجاني (ت365ه/ 976م)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار، دار الفكر، لبنان، 1409ه، 2/ 626؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، 59/ 155؛الذهبي، سير اعلام النبلاء، 3/ 149

وفي رواية أخرى أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«لا يذهب أمر هذه إلا على رجل واسع السرم، ضخم البلعوم»(1) .

قال أبو ذر: أخبرني رسول الله أنه معاوية، ومن ثم قال أبو ذر في حوار له مع معاوية: ما أنا بعدو لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام، وأبطنتما الكفر، وقد لعنك رسول الله ودعا عليك مرات ألاّ تشبع، سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول:

«إذا ولي الأمة الأعين الواسع البعلوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرها منه، فقال معاوية: ما أنا ذلك الرجل، قال أبو ذر: بل أنت ذلك الرجل»(2) .

وفيما يخص يزيد بن معاوية وما يجري من الظلم والفساد في عهده، فقد وردت عدة أخبار غيبية عدة من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، منها قوله:

«لا يزال هذا الدين قائماً بالقسط حتى يكون أول من يثلمه رجل من بني أمية،

1- ينظر: الكوفي، محمد بن سليمان (ت300ه/ 912م)، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ تحقيق: محمد باقر المحمودي، النهضة ، إيران، 1412 ه، 2/ 302؛ المنقري، نصر بن مزاحم (ت212ه/ 827م)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط2، المدني، مصر، 1382ه، 218

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغ، 8/ 257

يقال له يزيد»(1) .

وقال أبو ذر: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول:

«أول رجل يغير سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد»(2) .

والملحوظ هنا من قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): (أول من يثلم، أو يغير) هو المخالفة العلنية، والتجاسر على سنة رسول الله، والتجاسر بالفسق والفجور إلى حد الكفر وإنكار الوحي، و صدر عنه عندما وضع رأس سبط النبي بين يديه فأخذ يستهزئ به وهو يشرب الخمر، ويقول: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل(3) ومن الأنباء الأخرى التي أنبأ بها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): عن يزيد بن معاوية هي وقعة الحرة التي وقعت في عهد يزيد وذهب ضحيتها العديد من المسلمين من أهل المدينة المنورة وبعض الصحابة، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«والذي نفسي بيده، ليكونن بالمدينة ملحمة يقال: الحالقة، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين، فأخرجوا من المدينة ولو على قدر بريد»(4) .

وفي رواية أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

1- ابي يعلى، أحمد بن علي (ت307ه/ 920م)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، سوريا، د. ت ، 2/ 176

2- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 65/ 250؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 1/ 330

3- ميردامادي، عبد المجيد، موسوعة المصطفى، 497- 498

4- النميري، ابو زيد عمر (ت362ه/ 976م) تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، القدس، إيران، 1386، 1/ 280

«ويل للعرب من شر قد اقترب، على رأس الستين تصير الأمانة غنيمة والصدقة غرامة، والشهادة بالمعرفة والحكم بالهوى»(1) .

وسنة63ه وهي السنة التي وقعت فيها واقعة الحرة التي أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)؛ إذ إن رسول الله في أحد أسفاره وقف واسترجع، فساء ذلك معه، وظنوا أن ذلك من أمر سفرهم فقالوا: يا رسول الله ما الذي رأيت؟ فقال رسول الله:

«أما ان ذلك ليس من سفركم» فقالوا: فما هو يا رسول الله؟ فقال (صلى الله عليه واله وسلم):

«يُقتل بهذه الحرة خيار من أمتي بعد أصحابِي»(2) .

وقد نُقل عن أنس بن مالك(3) انه قتل يوم الحرة سبع مائة رجل من حملة

1- الصنعاني أبو بكر محمد بن إسماعيل (ت211 ه/ 827م)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الاعظمي،ط2، مطبعة المكتب الإسلامي، لبنان، 1403ه، 11/ 373، الحاكم النيسابوري، المستدرك، 4/ 483

2- ابن عساكر (تاري دمشق)، 54/ 183؛ ابن الاثير، (البداية والنهاية)، 6/ 216

3- هو أنس بن مالك بن النضر بن زيد بن حرام النجار الأنصاري، ابو حمزة المدني، صاحب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وخادمه، أمه أم سليم بنت خالد، خدم رسوب الله (صلى الله عليه واله وسلم) عشر سنين مدة مقامه بالمدينة، روى عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) العديد من الأحاديث، وقد روى عنه مسلم والبخاري والترمذي والنساني، توفي سنة92ه وقيل: 93ه/ ينظر: السمعاني، أبو سعد عبد الكريم (ت562ه/ 1167م) الانساب، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، لبنان، 1408ه/ج5، ص 459؛ ابن الاثير، أسد الغابة، 1/ 79

القرآن، فيهم ثلاثة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)(1) .

وفي خصوص مدينة رسول الله وما يجري عليها في زمن الدولة الأموية، فقد قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

«ليخرجن أهل المدينة من المدينة خير ما كانت، نصفاً زهوراً ونصفاً رطباً» قيل من يخرجهم منها؟ قال (أمراء السوء)(2) .

وفي رواية أخرى أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«لتتركن المدينة على ما كانت عليه، حتى يدخل الكلب أو الذئب فيقذي على بعض سواري المسجد»(3) .

وقد تحقق ما أخبر به الرسول الأكرم (صلى الله عليه واله وسلم) عن مصير مدينته؛ إذ نقل القاضي عياض(4) : أن هذا حدث في العصر الأول، وأنها تركت

1- ابن كثير (البداية والنهاية)، 6/ 423

2- ابن شبة النميري، تاريخ المدينة دار الفكر، لبنان، 1410ه، 1/ 277ه، 1/ 277، السمهودي، علي بن عبد الله (ت911ه/ 1506م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1423ه، 1/ 84

3- مالك بن أنس، ابن مالك المدني (ت179ه/ 795م)، الموطأ، تحقيق: محمد مصطفى الاعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، الامارات، 1425ه/ 2/ 88؛ ابن حبان البستي، صحيح ابن حبان، 15/ 176

4- هو عياض بن موسى بن عمرو بن اليحصبي البستي، أبو الفضل، ولد في سبتة سنة476ه، وأصبح قاضيها ثم تولى قضاء غرناكة، كان عالم اهل المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، له عدة مؤلفات منها: الشفا بتعريف حقوق المصطفى ومشارق الأنوار وشرح صحيح مسلم وغيرها، توفي في مراكش مسموماً سنة544ه، ينظر: ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد (ت681ه/ 1282م)، وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، لبنان، د. ت، 4/ 397

أحسن ما كانت من حيث الـدين والـدنيا، أما الـدين فلكثر العلماء بها، وأما الـدنيا فلعمارتها واتساع حال أهلها، وذكر عن البعض انه رحل عنهـا أكثر أهلهـا؛ إذ خلت مـدة من أهلها ثم تراجعوا، ثم قال: وقـد حكى قوم كثيرون أنهم رأوا ما أنـذر به من تقذيـة الكلاب على سواري المسجد(1) .

وعن بني مروان فقد نقل ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال:

«إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخـذوا مال الله بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتاب الله دغلاً، فإذا بلغوا تسـعة وتسـعين وأربعمائة رجل كان هلاكهم أسرع من أكل تمرة»(2) .

وفي رواية عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يقول:

«إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً صيّروا مال الله دولاً وكتاب الله دغلاً، وعباده خولاً، والفاسقين حزباً والصالحين حدباً»(3) .

وفي رواية أخرى أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«إن فساد أمتي على يدي غلمة سفهاء من قريش»(4) .

1- البرزنجي، الاشاعة في الاشراط الساعة، 80

2- ابن كثير، البداية والنهاية، 6/ 272

3- الحاكم النيسابوري، المستدرك4/ 480؛ الذهبي، سير اعلام النبلاء، 3/ 478

4- الطبراني، أبو القاسم سليمان (ت360ه/ 971م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، ط2، دار احياء التراث العربي، لبنان، د. ت، 12/ 183

وفي حديث آخر قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

«ستكون عليكم أمراء تشغلهم أشياء عن الصلاة حتى يؤخرها عن وقتها، فصلوها لوقتها»(1) فكان مثلما أخبر به رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)؛ إذ كان زياد بن أبيه من الذي أخروا الصلاة، وأنكره عليه حجر بن عدي(2) .

أما عن الحجاج(3) فقد قال رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«إن في ثقيف كـذاب و مبير»(4) وقد اشـتهر الحجاج بالفرعنة والظلم وسـفك الدماء وإنكار المقدسات، فقد روي أنه خطب بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر الرسول (صـلى الله عليه واله وسـلم) بالمدينة فقال: تباً لهم إنما يطوفون بأعواد ورّمه بالية، هلا طافوا بقصـر أمير المؤمنين عبد الملك!؟ ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله!؟(5) .

1- ابن حنبل، مسند أحمد، 5/ 314؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 13/ 185

2- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 12/ 277

3- هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن الحكم الثقفي، ولد في الطائف سـنة41ه، وتزوج ابنة المهلب بن أبي صفرة، عرف عنه ولائه للدولـة الأمويـة وبرز كقائد عسـكري لهذه الدولة، تولى ولاية الحجاز والعراق في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، كما عرف عنه سـفكه للدماء حتى بلغ عدد ضحاياه عشرات الآلاف، توفي سنة95ه في واسط. ينظر: ابن سـعد، الطبقات الكبرى، 4/ 164؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 138

4- الترمذي، سنن الترمذي، 3/ 338

5- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 15/ 242

وقـد روي أن الحجاج الثقفي قتل أكثر من مائة ألف قتيل(1) ، ومع ذلك نجد أن بعض من يحاول إلصاق رواية رسول الله (صـلى الله عليه واله وسـلم) عن كـذا ثقيف بالمختار بن عبيدة الثقفي(2) ويرمونه بادعاء النبوة، والكفر والتهم السـخيفة التي تنم عن حقدهم عليه؛ بسـبب انتقامه من قتله سـبط الرسول المصـطفى الحسـين المظلوم، وقـد افرح به أهل البيت وجميع المؤمنين، وقد ترحم عليه بعض الأئمة الأطهار لهذا العمل العظيم(3) .

أما في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك(4) فقد روى معاذ بن جبل(5) عن

1- الترمذي، سنن الترمذي، 3/ 339؛ اب عساكر، تاريخ دمشق، 12/ 184

2- هو المختار بن أبي عبيدة بن مسعود بن عمرو بن ثقيف الثقفي، ولد بالطائف في السنة الأولى للهجرة، أبوه كان قائد المسلمين في معركة الجسـر، طالب بـدم الحسـين (عليه السـلام) وقتل جمعاً من قتلته ممن كان بالكوفـة وغيرها مثل عمر بن سـعد وعبيد الله بن زياد وحرملة وشـمر وغيرهم، سـيطر على الحكم في الكوفة ورفع شـعار (يا لثارات الحسين) وكان يخطط لبناء دولة قائمة على مبادئ علي بن أبي طالب (عليه السلام)، استشهد في الكوفة سنة67ه، على يد جيش مصـعب بن الزبير. ينظر: البلاذري، انسان الاشراف، 5/ 214؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 203، 6- 204

3- ميردامادي، عبد المجيد، موسوعة المصطفى، 501- 502

4- هو الوليـد بن يزيـد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، ولد سـنة90للهجرة تسلم الخلافة سنة125ه، وكان فاسـقاً شارباً للخمر منتهكاً حرمات الله، أراد ان يشـرب الخمر في الكعبة فمقته الناس لفسـقه وخرجوا عليه، فقتل في جمادى الآخر سـنة126للهجرة، وقد قطع رأسه ووضع على رمح وقد نظر إليه أخوه سـليمان وقال: بعداً له انه كان شـروباً للخمر ماجناً فاسـقاً وقد راودني عن نفسي. ينظر: الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد (ت748ه/ 1348م)، العبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد بن سـعيد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1405ه، 1/ 29؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، 162

5- هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائـد الأنصاري الخرجي، أبو عبد الرحمن المدني، من صـحابة رسول الله (صـلى الله عليه واله وسـلم) روى له العديد من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) توفي بالأردن بعد ان أصيب بمرض الطاعون سنة18ه وكان عمره ثلاثة وثلاثين سـنة وفي رواية اثنتان وثلاثون سنة. ينظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، 1/ 460؛ ابن قنفذ، أبو العباس الخطيب القسنطيني (ت809ه/ 1407م)، الوفيات، تحقيق: عادل نويهض، دار الإقامة الجديدة، لبنان، 1398ه، 1/ 11

رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال: (امسك يا معاذ، فلما بلغ عشرة) وقال: (الوليد اسم فرعون، هادم شرائع الناس) فكانوا هكذا- وشبك بين أصابعه- وقال: (بعد العشرين ومائة موت ذريع وقتل سريع، ففيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل من ولد العباس)(1) ، والظاهر من قول الرسول: (فلما بلغ عشـرة) أن المراد من عشـرة من الـذين يتولون الحكم من بعده، فينطبق ذلك على الوليد بن يزيد، بدليل قول الرسول: (يبوء بدمه رجل من أهل بيته)؛ إذ أن قاتله كان ابن عمه، وقد اختلفوا فقتل بعضهم بعضاً، فغلب عليهم بنو العباس(2) .

رابعاً- أخبار الرسول صلى الله عليه و آله الغيبية عن الدولة العباسية:

كان لرسول الله (صـلى الله عليه واله وسلم) أخبار غيبية عدة عن الدولة العباسية نحاول إيراد بعضها في هذا المحل، ففي رواية [أن جبرائيل (عليه السلام) هبط على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وعليه قباء أسود، ومنطقة فيها خنجر، فقال له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«يا جبرائيل ما هذا الزي».

قال: قال زي ولد عمك العباس، يا محمد ويل لولدك من ولد العباس، فخرج النبي إلى العباس فقال:

1- المتقي الهندي، كنز العمال، 11/ 116

2- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 202

«ياعم ويل لولدي من ولدك».

فقال: يا رسول الله أفلا أجبّ نفسي؟ قال:

«جف القلم بما فيم»][1] .

وفي رواية أخرى عن عبد الله بن عباس أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال لعمه العباس:

«يا عباس ويل لذريتي من ولدك، وويل لولدك من ولدي» فقال: يا رسول الله أفلا اجتنب النساء؟ فقال الرسول:

«إن علم الله عز وجل قد مضى، والأمور بيده، وإن الأمر سيكون في ولدي»[2] .

وفي رواية أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) رأى العباس في ثوبين أبيضين فقال:

«إنه لابيض الثوبين وهذا جبرائيل يخبر أن ولده يلبسون السواد»[3] .

وفي رواية اخرى أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«يكون لبني العباس رايتان مركزهما كفر واعلاهما ضلالة»[4] .

1- الصدوق، علل الشرائع، 2/ 348

2- النعماني، ابن أبي زينب محمد بن إبراهيم (ت362ه/ 990م)، الغيبة، تحقيق: فارس حسون، مطبعة مهر، إيران، 1399ه، 248

3- ابن شهر اشوب، المناقب، 3/ 85

4- المصدر نفسه

وروایة عن الرایات السود أن الرسول (صلی الله علیه واله وسلم) قال:

«إذا اقبلت الرایات السود من قبل المشرق فأن أولها فتنة وأوسطها هرج، وآخرها ضلالة»(1) .

وهنا تتفق المصادر التاریخیة علی السواد کان شعار الدولة العباسیة، وکانوا یقولون: هذا السواد حداداً علی شهداء کربلاء(2) .

ومن الأخبار الغیبیة الأخری للرسول المصطفی (صلی الله علیه واله وسلم) هي إخباره عن مقتل محمد بن عبد الله المحض(3) ، علی ید الدولة العباسیة؛ إذ قال الرسول:

1- الخطیب البغدادي، تاریخ بغداد، 3/ 336

2- ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، 3/ 86؛ المجلسي، بحار الانوار، 31/ 530

3- محمد بن عبد الله المحض: هو محمد بن عبد الله بن الحس بن الحسن بن علي بن أبي طالب (علیه السلام)، یکنی أبا عبد الله، وأمه هند بنت أبي عبیدة بن عبد الله بن زمعة، کن أهل بیته یسمونه المهدي، ویعتقدون ان المهدي المنتظر وکان علماء آل أبي طالب یرون فیه النفس الزکیة، وانه المقتول بأحجار الزیت، کان یدعی النفس الزکیة لزهده ونسکه کان من أکبر أهل زمانه في علمه بکتاب الله وحفظه له، وفقهه بالدین وشجاعته وجوده وبأسه بعد نجاح الدولة العباسیة في دعوتها وتسلم مقالید الخلافة حرص السفاح والمنصور علی الظفر بمحمد وإبراهیم لما في أعناقهم من بیعة لمحمد النفس الزکیة، وبعد فترة من تواریهما عن الأنظار ظفر بهما رجال الدول العباسیة وقاموا بقتلهما وکان ذلك سنة145ه؛ ینظر: الأصفهاني، أبي الفرج، مقاتل الطالبین، ص206- 207؛ المسعودي، علي بن الحسین بن علي (ت346ه/ 257م)، التنبیه الاشراف، دار صعب، لبنان، د. ت، 295

«تُقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكية»(1) .

وفعلاً صدقت نبوءة رسول الله تحقق ما أخبر به عن شهادة محمد بن عبد الله المحض على يد الدولة العباسية سنة145ه(2) ، بعد أن ظل متخفياً مدّة من الزمن عن عيون السلطة العباسية، حتى خرج وعلم بأمره العباسيين فقاتل حتى قُتل، وكان حينها يقف على أحجار الزيت، وقد قال محمد لأحد أصحابه وهو يقاتل: تغشانا سحابة فإن أمطرتنا ظهرنا، وإن جاوزتنا إليهم فانظر دمي على أحجار الزيت، ثم قال: فوالله ما لبثنا أن اظلتنا سحابة فجالت وقعقعت حتي قلت تفعل، ثم جاوزتنا، فما كان حتى رأيته قتيلاً بين احجار الزيت(3) ، وصدق ما اخبر به الرسول (تقتل بأحجار الزيت من ولدي نفس زكية)؛ ولذلك كانت شهرته بالنفس الزكية(4) .

ومن الأحداث التي أنبأ الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) عنها هي واقعة فخّ واستشهاد الحسين بن علي بن الحسن(5) ، وعصابة من المؤمنين فيها على

1- ابن عنبة، جمال الدين احمد بن علي (ت828ه/ 1425م)، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، تحقيق: محمد حسن الطالقاني، ط2، منشورات المطبعة الحيدرية، العراق، د. ت، 91

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 219

3- الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، 364

4- ابن شهر اشوب، مناقب آل أبي طالب، 3/ 355

5- هو الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، كنيته أبا عبد الله، أمه زينب بنت عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، المعروف بصاحب فخ، خرج من المدينة هو ومجموعة من أهل بيته وصحبه بعد ان تحدوا الدولة العباسية جهاراً نهاراً وكان ذلك في زمن الخليفة العباسي الهادي، كان خروجهم بعد مشاورة الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام)، ويقال ان سبب خروجهم من المدينة كان بسبب إساءة والي المدينة اسحاق بن عيسى بن علي للطالبيين وإفراطه في التحامل عليهم، وقد كانت وفاته في واقعة فخ التي قتل فيها الحسين وأهله وأصحابه وحملت رؤوسهم للدولة العباسية، وكان موسى بن جعفر (عليه السلام) حينها هناك فقال: انا لله وإنا إليه راجعون، مشى والله مسلماً، صالحاً، صواماً، قواماً، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وكانت وفاته سنة169ه ينظر: الأصفهاني، أبي الفرج، مقاتل الطالبيين، 364- 380

يد العباسيين، فقد روي أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) انتهى إلى وضع فخ فصلى بأصحابه صلاة الجنازة، ثم قال:

«يُقترل هاهنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، ينزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم أجسامهم إلى الجنة»(1) .

وفعلاً صدق الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فقد ثار جمع من بني الحسن وعلى رأسهم الحسين بن علي فهرب والي المدينة منها وبويع الحسن على كتاب الله وسنته، وبعد السيطرة على المدينة خرج مع أصحابه نحو مكة فلما بلغوا موضع فخ تلقتهم جيوش العباسيين، وبعد قتال شديد قتل اغلب أصحاب الحسين، فعرض العباسيين الأمان على الحسين لكنه رفض وقاتل حتى قُتل في الموضع نفسه؛ لهذا سمي فخّ(2) ، وكان مقتله في سنة169ه(3) .

****

1- القاضي نعمان، شرح الأخبار، 3/ 328

2- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8/ 199

3- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8/ 199، أبو الفرج الأصفهاني، مقاتل الطالبيين، 364

الفصل الثاني الأخبار الغيبية عن الخوارج والدولة الأموية المبحث الأول: الأخبار الغيبية عن الخوارج.

المبحث الثاني: الأخبار الغيبية عن الدولة الاموية.

ص: 101

المبحث الأول: الأخبار الغيبية عن الخوارج

من خلال الاطلاع على كتاب نهـج البلاغـة، نجد أنَّ هذا الكتاب قد ثار حوله الكثير من اللغط والتشـكيك في مؤلف هذا الكتاب والحقيقة التي تتجلى أمامنا التي لابـد من ذكرها هنا أن الكتاب (نهج البلاغة) هو من ألفه الشـريف الرضـي(1) ، إذ جمع كلمـات الإمام علي (عليه السلام) و خطبه ورسائله وحكمه

ص: 103

1- هو محمد بن أبي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم المجاب بن الإمام الكاظم (عليه السلام)، ولد في بغداد عام359ه، كان الشريف الرضي شاعراً لامعاً وأحد ابرز علماء عصره في الدين واللغة والأدب، وقيل فيه انه أشعر قريش، لقب بالشريف الرضي لأنه كان نقيباً للأشراف العلويين، وقد تتلمذ على يد ابرز علماء عصره ومنهم الشيخ المفيد وابن جني والقاضي السيرافي وغيرهم، له العديد من المؤلفات أبرزها (نهـج البلاغـة)، (وحقائق التأويل)، و (معاني القرآن) وغيرها، توفي الشـريف الرضـي في بغداد سـنة406ه ودفن مبـدئياً في داره في الكاظمية وكانت وصـيته ان ينقل ليدفن إلى جوار جده الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء المقدسة، وقد وجد الباحث ان دار الشريف الرضـي في مدينـة الكاظميـة والتي دفن فيها كأمانـة قد تحولت إلى مرقد ومزار وليست مقاماً وهذا شائع، بينما وجدنا ان الروايات التاريخية تكاد تجمع على انه قـد نقل جثمانه إلى مدينة كربلاء المقدسة وهنالك روايتين في مكان دفنه الصـريح الأولى على بعد سـتة أقدام من رأس الإمام الحسـين (عليه السلام) والآخرى عند رأس جده إبراهيم المجاب، والشيء الملحوظ هنا انه لم تتم الإشارة إلى هذا الموضوع من قبل العتبة الحسينية المقدسة، بينما ان العتبة الكاظمية قد حولت بيت الشريف الرضي إلى مرقد ومزار وهذا خطأ شائع حيث ان مرقده الحقيقي في صـحن الإمام الحسـين. الثعالبي، أبي منصور عبـد الملك (ت429ه/ 1038م)، يتيمـة الـدهر في محاسن أهل العصـر، تحقيق: مفيد قميحـة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1803ه، 3/ 116؛ الخطيب البغـدادي، تاريخ بغداد، 2/ 246؛ ابن عنبة، جمال الدين احمد الحسـيني (ت828ه/ 1424م)، عمـدة الطالب في انساب آل أبي طالب، ط2، تحقيق: محمد الطالقاني، المطبعة الحيدرية، العراق، 1380ه، 207؛ الأميني، أعيان الشيعة، 9/ 216- 223

في هذا الكتاب بعد أن اختصـر بعضـها، وجمع بعضها في خطبة واحدة، ولعل السبب في ذلك انه أراد ان يتميز بأسلوب جديد، ومميز في التـأليف على غرار بعض المؤلفـات السائـدة في ذلك العصـر، وهو بعمله الفـذ هـذا حفظ ونقل لنا تراث أمير المؤمنين (عليه السـلام) من الضياع والاندثار حتى قيل في نهج البلاغة إنه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق(1) .

لقد أخبر الإمام علي (عليه السـلام) في مناسـبات عديدة، عن أحداث غيبية سوف تحدث في المسـتقبل، وقد حدث بعضها فعلاً، وبعضها بقي خبرها مختلفاً في حدوثه فقد يرى البعض ان هذا الخبر حدث فعلا بينما يرى البعض الاخر انه لم يحدث بعد فبعضـها حدث في زمن الإمام، مثل ما حل بالخوارج من مصـير واجهوه على يد الإمام وفي ما بعد، لقد تحدث الإمام علي (عليه السلام) عن علمه بالأخبار الغيبية في مناسبات كثيرة منها قوله:

«أَما بَعْدَ حَمْدِ اَللهِ واَلثَّناءِ عَلَيْهِ أَيُّها اَلنَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ اَلْفتْنة وَلَمْ يكُنْ

1- الأميني، الغدير، 1/ 32

«لِيَجْتَرِىَ عَلَيْها أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهبُها واشْتَدَّ كَلَبُهَا فَاسْأَلُوني قَبْلَ أَنْ تفْقِدُونِي فَو الّذي نفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُونَنِي تأَسْاَلُونِّي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ اَلسّاعَةِ ولاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً ونُضِلُّ مِائَةً إلاَّ أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِها وَقَائِدِهَا وسَائِقِهَا وَمُنَاخِ رِكَابهَا وَمَحَطَّ رِحَالِحهَا و مَنْ يُقْتَلُ مَنْ أَهْلِهـا قَتْلاً وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ اَلْآمُورِ وحوازِبُ اَلْخُطُوبِ لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ اَلسائِلِينَ وفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ اَلْمَسْئولِينَ وَذَلِكَ إِذَا قلَّصَتْ حَرْبُكُمْ و شَمَّرَتْ عَنْ ساقٍ وكَانَتِ ضَاقَتِ اَلدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً مَعَهُ أَيَّامَ اَلْنبلاَءِ عَلَيْكُمْ حتَّى يفْتح اَللهُ لِبَقِيَّةِ اَلْأَبْرارِ مِنْكُمْ»(1) . وحينما سمع بعض الناس كلام الإمام هذا قالوا له: لقد أعطيت علم الغيب يا أمير المؤمنين، فضحك الإمام وقال لهم:

«ليس هو علم الغيب وإنما هو تعلم من ذي علم وإنما علم الغيب علم الساعة وما عدده الله سبحانه بقوله:

«إِنَّ اَللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ اَلاَّسَّاعَةِ ويُنَزِّلُ اَلْغَيْثَ ويَعْلَمُ ما فِي اَلْأَرْحامِ وما تَدْرِي نَفْسٌ ما ذا تَكْسِبُ غداً وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ»(2) .

1- الشـريف الرضي، محمد بن الحسين (406ه- 1016م)، نهـج البلاغة، تحقيق: محمد عبده، دار الأندلس، لبنان، 1431ه، 1/ 161- 162، ابن عبد ربه، العقد الفريد، 4/ 74- 77، الكليني، أصول الكافي، 1/ 134

2- سورة لقمان: الآية (34)

اَلاَيَةَ فَيعْلَمُ اَللهُ سُـ بْحَانَهُ مَا فِي اَلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ وسَخِيّ أَوْ بَخِيلٍ وَشَقِيّ أَوْ سَعِيدٍ وَمَنْ يَكُونُ لِلنَّارِ فِي اَلنَّارِ حَطَباً أَوْ فِي اَلْجِنَانِ لِلنَّبِيِّنَ مُرافِقاً فَهَـ ذَا عِلْمُ اَلْغَيْبِ اَلَّذِي لاَ يعَلمُهُ أَحَدٌ أَلاَ اَللهُ و مَا سِوَى ذلكَ فَعلْمٌ عَّلمُهُ اَللهُ ننبيَّهُ (صَـ لّى اللهُ عَليهِ وآلِهِ وَسـلّمْ) فَعَلَّمنيه وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعيهُ صَدْرِي وتضْطَمَّ(1) عَلَيْهِ جَوَانِحِي»(2) ومن خلال إلقاء نظرة على كلمـة الإمام السابقة «فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تفْقدُونِي» نجد أن لهـذه الكلمة أهمية بالغة، إذ أجمع الناس انه لم يكن ليقول هذا الكلام غير الإمام علي بن أبي طالب (عليه السـلام)، فلم يجرؤ على قول ذلك أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء(3) ، وقد صدق ما تواتر عنه من الأخبار الغيبية التي ذكرها لا مرة ولا مائة مرة حتى زال الشك أنه اخبار عن علم(4) .

وعن ذلك أيضاً قيل: (لم يقل سلوني قبل أن تفقدوني أحد سواه، وأنه سيد في الدنيا والآخرة، وأنه خير البشر وأنه أول من يدخل الجنة)(5) .

وقيل إنّ ابن الجوزي قال يوماً على منبره: (سلوني قبل أن تفقدوني، فسألته

1- تضـطم: وهي بمعنى الضم والجمع، ينظر: الأـزهري، محمـد بن احمـد الهروي، (ت370ه- 981م)، تهـذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إتراث العربي، لبنان، 1401ه، 1/ 262

2- الشـريف الرضـي، نهج البلاغة، 2 / 213 - 214؛ الزمخشـري، جـار الله بن محمـد (ت583 ه- 1143م)، ربيـع الأـبرار، دار الكتب العلمية، لبنان، د. ت، 1/ 397

3- ابن عبد البر، الاستيعاب، 1/ 340

4- أبن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 79

5- ابن بطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار/ 295

امرأة عمّا روي أن علياً سار في ليلـة إلى سـلمان فجهزه ورجع، فقال: روي ذلك، قالت: فعثمان بقي ثلاثـة أيام لـم يدفن وعلي حاضـر، قال: نعم، فقالت: قد لزم الخطأ لأحدهما، فقال: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنة الله وإلا فعليه، فقالت: خرجت عائشـة لحرب علي بأذن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) أم لا؟ فانقطع ولـم يجرِ جواباً)(1) .

وفي موضع آخر من خطب نهج البلاغة تكلم الإمام علي (عليه السلام) على سعة علمه فيقول:

«بَلِ انْدمَجْتُ عَلى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ به لاَضْطَربْتُمْ اِضْطِرَابَ اَلْأَرْشِيَةِ(2) فِي اَلطَّوِيِّ(3) اَلْبَعِيدَةِ»(4) .

من الواضح من كلام الإمام هنا أن الآبار كلما كانت أعمق كان اضطراب الحبال فيها أكثر، وقد أورد شرّاح نهج البلاغة تفاسير عدة في كلام الإمـام السابق، ولعل الصـحيح هو قولهم أن كلام الإمام هـذا يعني معرفته بمختلف المسائل والقضايا إلى قيام الساعـة، بحيث لو بحت به لكم لما وسعكم

1- العاملي، زين الدين علي بن يونس (ت877ه/ 1472م)، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق: محمد باقر البهبودي، مطبعة الحيدري، إيران، 1384ه، ج1/ 163

2- الارشية: وهو الحبل الذي يمسك دلو البئر. ينظر: الفراهيدي، العين، 2/ 11

3- الطوى: البئر ينظر: ابن الأثير الجزري، غريب الحديث، 2/ 45

4- الشـريف الرضي، نهج البلاغة،1 / 40؛ الطبرسـي، الاحتجاج، 1 / 127؛ سـبط ابن الجوزي، تـذكرة الخواص، ص121؛ كمال الدين الشافعي، محمد بن طلحة، (ت652ه- 1254م)، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، تحقيق: ماجـد احمد العطية، المطبعة الحيدرية، العراق، 1371ه، ص 207- 208

الاستقرار ولعشتم الاضطراب(1) .

ويقول الإمام علي (عليه السلام) في موضع آخر:

«... وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رجُلٍ مِنْكُمْ بمخْرَجِهِ و مؤلجِهِ وجَمِيعِ شأْنِهِ لَفَعَلْتُ ولَكِنْ أَخَافُ أَنْ تنكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ اَللهِ ص أَلاَ وإِنِّي مفْضِيهِ إِلَى اَلْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذلك مِنْهُ واَلَّذي بَعَثَهُ بِالحَقَّ واصْطَفَاهُ عَلَى اَلْخلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلاَّ صادقاً ولَقَدْ عهِدَ إِلَيَّ بذلك كُلَّهِ وبمهْلِكِ مَنْ يهْلِكُ و مَنْجى مَنْ ينْجُو و مآلِ هَذَا اَلْأَمْرِ ومَا أَبْقَى شيْئاً يَمُرُّ رأْسي إِلاَّ أَفْرَغَهُ فِي أُذُنِي وأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ...»(2) .

وكذلك قال (عليه السلام) في موضع آخر:

«... أَيُّهَا اَلنَّاسُ لاَ يجْرِمنَّكُمْ شِقَاقِي ولاَ يَسْتَهْوِينَّكُمْ عِصْيَانِي ولاَ تَتَرَامَوْا بالْأَبْصارِ عِنْدَ ما تَسْمَعُونهُ منِّي فَوَ الَّذي فَلَقَ اَلْحَبَّةَ وبَرَأَ اَلنَّسَمَةَ إِنَّ اَلَّذي أُنَبِّئُكُمْ به عَنِ اَلنَّبِيِّ اَلْأُمِّيِّ (صلى الله عليه واله وسلم) وَاَللّهِ مَا كَذَبَ اَلْمُبلِّغُ ولاَ جَهِلَ اَلسَّامِعُ»(3) .

والذي يتضح لنا من هذه النصوص التي مر ذكرها سابقاً، أنّ الإمام أوضح

1- الراوندي، قطب الدين، أبو الحسن هبة الله (ت577ه/ 1178م)، منهاج البراعة في شرح نهج ابلاغة، تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام، إيران، 1406 ه، 2، 74؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة،1 / 28؛ البحراني، كمال الدين بن ميثم، شرح نهج البلاغة، تحقيق: مير جلال الحسيني، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة الدينية، إيران، د. ت، ص47

2- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 277

3- البرقي، أحمد بن محمد ب خالد، (ت274 ه- 887م)، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، إيران، 1370ه، 41

بأن علمه للأخبار الغيبيـة عن طريق رسول الله (صـلى الله عليه واله وسـلم)، وهو الذي علمه إياه، لا ادعاء من قبل الإمام بعلمه للغيب من دون الله.

وأيضاً تكلم الإمام عن علمه فيقول في خطبة أخرى:

«أَيْنَ اَلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ اَلرَّاسـخُونَ فِي اَلْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رفَعَنَا اَللهُ وَوَضَـعَهُمْ وأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَنهُمْ بِنَا يُسْـتَجْلَى اَلْعَمَى إِنَّ اَلْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هَذَا اَلْبَطْنِ مِن هَاشِمٍ لاَ تَصْلُحُ اَلْوُلاَةُ مِنْ غَيْرِهِمْ»(1) .

قام الإمام علي (عليه السـلام) من خلال كلامه هـذا على ردَّ الادعاءات في مجال العلم والمعرفـة الإسـلامية تجاه أهل بيت النبوة (عليهم السـلام)، إذ يقـدمهم على أنهم الأـعلم من غيرهم على الرغم من كـذب هؤلاء الـذين كانوا يثيرون تلك التخرصات بهـدف النيل من أهل البيت (عليهم السلام) بصورة عامة والإمام علي (عليه السلام) بصورة خاصة، ولعل قول الإمام (عليه السلام):

«أَيْنَ اَلَّذِينَ زَعَمَوا أَنَّهُمُ اَلرَّاسِـخُونَ فِي اَلْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وبَغْياً عَلَيْنَا»(2) فيه تحدٍ واضح لهؤلاء الكذابين(3) ، وأنَّ قول الإمام (الراسخون في العلم) يأخذنا لمضمون آيتين قرآنيتين فيهما المعنى نفسه وهو قوله تعالى:

1- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 228

2- المصدر نفسه، 2/ 249

3- المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، د. ت، 8/ 346

«لَكِن الرَّاسِخُون فِي الْعِلْم مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُون يُؤْمِنُون بِمَا أُنْزِل إِلَيْك وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِك وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَيوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا»(1) .

وكذلك قوله تعالى:

«... وَما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...»(2) .

والسؤال الـذي يتبادر هنا إلى الذهن سـريعاً (من هم الراسـخون في العلم؟) وهذه الإجابة أعطاها الإمام الباقر (عليه السـلام) حينما سُئل السؤال نفسه، وعن تأويل القرآن فأجاب قائلاً:

«لا يعلم تأويل القرآن إلا الله والراسـخون في العلم، فرسول الله أفضل الراسـخين، وقـد علمه جميع ما انزل عليه من التنزيل والتأويل، و ما كان الله منزلاً عليه شيئاً لم يعلمه تأويله وأوصياءه من بعده يعلمونه كله»(3) .

ومن هنا يتضح أن الراسـخين في العلم هم النبي وآله أئمة الهدى (صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين)، وليس مثلما قيل إن الراسخين في العلم هم

1- سورة النساء، الآية (162)

2- سورة آل عمران: الآية (7)

3- العياشـي، محمد بن مسـعود السـمرقندي (ت320 ه/ 932م)، تفسـير العياشـي، تحقيق: هـاشم الرسولي المحلاتي، المكتبـة العلمية الاسلامية، إيران، د. ت، 1/ 164؛ الكليني، الكافي، 1/ 213

العلماء والمفكرون على الاطلاق(1) .

إن السؤال الـذي يتبادر إلى الـذهن هو هل أن النبي (صـلى الله عليه واله وسـلم) قد أفضـى إلى الإمام علي (عليه السـلام) بكل حادثة من الحوادث المسـتقبلة بشـكل مفصل؟ ثم هل كانت المدة الزمنية التي جمعت النبي والإمام تسع ذلك مع افتراض أن الإمام قد قضى أغلب وقته مع النبي؟ والجواب عن هذه الأسـئلة هو أن هذا العلم واسع الأطراف ومهما كان الوقت الذي أمضاه النبي محمد (صلى الله عليه واله وسـلم) مع الإمـام علي (عليه السـلام) فإنه لايسع الإفضاء ببعض هـذا العلم على نحو التفصـيل، والراجـح أن النبي (صـلى الله عليه واله وسلم) لم يفض بتلك الأخبار على نحو التفصيل، والذي فيه إلمام بكل الجزئيات، لأن العقل لا يتحمل ذلك(2) .

كـذلك الواضـح هنا أن نشاط هـذه القوى الخفيـة المودعة في الإنسان والتي تصـله بالمجهول المحجوب في الزمان والمكان، يتوقف على الحالـة العقليـة والروحيـة والوجدانيـة التي يكون عليها الإنسان، فكلما كان الإنسان على حال رفيعـة من الصـفاء العقلي والطهارة الروحية والنقاء الوجـداني كانت هـذه التقوى أنشط وأبلغ في النفوذ إلى المغيب المحجوب(3) ، الـذي نراه بشأن الإمام علي (عليه السـلام) هو أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) قد أخبره بالغيبيات على نحو الإجمال، ثم هداه إلى أقوم السبل التي تؤدي به إلى أرفع درجات هذه

1- الشيرازي، تفسير الأمثل، 2/ 402

2- شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، ط2، دار الزهراء، لبنان، 1392ه، 230

3- المصدر نفسه، 231

الحالة الروحية التي تتيح لقواه الخفية أن تعمل الخارق فيعي بسببها تفصيل ما أجمله له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وبين الظرف الزماني الضيق نسبياً الذي جمع بينه (عليه السلام) وبين الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)(1) ، وشاهد هذا التفسير هو أن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) حينما خلا بالإمام علي (عليه السلام) وأدخله في ثوبه وناجاه في اللحظات الأخيرة التي قبض بعدها، فلما فرغ من نجواه خرج الإمام من عنده فسأله الناس عما أفضى به إليه فقال:

«إن رسول الله علمني ألف باب من العلم، ويفتح في كل باب ألف باب»(2) .

وهذا الكلام فيه أبلغ الدلائل على القول من أن علم الإمام على نحو الإجمال لا على نحو التفصيل، وأنه اتكل في معرفة الجزئيات والتفاصيل إلى ما يتمتع به الإمام من مواهب تسعفه في معرفة ما غاب وتهديه إلى طريق الصحيح(3) .

ومع ما تقدم ذكره فإن الأخبار الغيبية التي تكلم عليها الإمام علي (عليه السلام) قوبلت بالتكذيب، فحينما سمع الإمام اتهام البعض له بالكذب أجابهم قائلاً:

«... أَتَرَانّي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اَللهِ (صلى الله عليه واله وسلم) واَللهِ لَأَنَا أَوَّلُ

1- سبيتي، يوسف علي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، دار الهادي، لبنان، 1427ه، 241- 242

2- ابن عساكر، تاريخ دمشق/ 42/ 385؛ ابن طاووس، التحصين، 67؛ ابن كثير، البداية والنهاية، 7/ 396

3- محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 332

مَنْ صدَّقَهُ فَلاَ أَكُونُ أَوَّل مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ...»(1) .

كذلك يقول الإمام (عليه السلام) في خطبة أخرى:

«... ولَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اَللهُ تعالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ! أَعَلَى اَللهِ! فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَنْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ بِهِ كَلاَّ واَللهِ لَكِنَّها لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا ولَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا...»(2) .

وفي موضع آخر يبين الإمام (عليه السلام) لهؤلاء القوم منزلته من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حيث قال لهم:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اَللهِ ص بالْقَرَابَةِ واَلْمَنْزِلَةِ اَلْخَصِيصَةِ... وما وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ وَلاَ خطْلَةً فِي فِعْلٍ»(3) .

وقد علق ابن أبي الحديد على كلام الإمام هذا في شرحه لنهج البلاغة بالقول: ((هذا كلام قاله الإمام علي (عليه السلام) لما تفرس في قوم من عسكره انهم يتهمونه في ما يخبرهم عن النبي (صلى الله عليه واله وسلم) من اخبار الملاحم والغيبيات، وقد كان شك منهم جماعة في أقواله، ومنهم من

1- الصدوق، الامالي، 134؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 82؛ البيهقي، ابو بكر احمد بن الحسين (ت458ه/ 1066م)، المحاسن والمساوئ، مطبعة قم، ايران، 1402ه، 1/ 85

2- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 108- 109؛ وينظر: المفيد، محمد بن النعمان العكبري (ت413ه/ 1021م)، الارشاد، 1/ 116

3- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 326- 327

واجهه بالشك والتهمة))(1) .

وحقيقـة الأمر هنا أن هذه الاخبار الغيبية التي اخبر بها الإمام (عليه السـلام) هي من الله تعالى بوساطة رسوله الكريم (صـلى الله عليه واله وسـلم) وقـد علمه للإمام (عليه السـلام)، فكيف يفتري الإمام على أحـدهما وهو أو مؤمن صدقهما؟ ثم يقول الإمام (عليه السـلام) حقيقة واضـحة تفند مزاعمهم وهي انكم كنتم غائبين حينما كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) يخبرني بتلك الاخبار، والجدير بالذكر هنا ان الإنسان يهون عليه نسـبة الاخبار الكاذبـة إلى احـد ما، إذا كان غير معتقـد بذلك الشـخص وغير عزيز عنده، أما ان يكون عزيز عنده فلا ينسب إليه خبراً كاذباً، حيث إذا ظهر كذبه سقطت منزلته عن القلوب فلا أكون أول من كذب عليه(2) .

إذن فالواضـح هنا مما تقدم ذكره براءة أمير المؤمنين (عليه السـلام) من اتهام البعض له بالكذب ودحضه لادعاءاتهم تلك؛ لأن الإمام علي (عليه السـلام) هو ربيب رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) فهل من المعقول أو المنطق أن يربي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) شخصاً على الكذب؟ فضلاً عن أن هناك رواية للإمام علي (عليه السلام) نقلها عنه زيد بن علي (عليه السلام)(3) ، وفيها يوضح حينما كان رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)

1- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 3/ 106

2- التستري، محمد تقي، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، مطبعة ايران، 1418ه، 10/ 171

3- زيد بن علي: هو زيد بن علي بن الحسين علي بن أبي طالب، الملقب بزيد الشهيد، ولد سنة 79ه، كان من خطباء بني هاشم، كان ينقل ما بين الكوفة والمدينة، التف حوله اهل الكوفة وبايعوه سنة120ه وقيل ان عددهم بلغ40الف، حيث بايعوه على الدعوة الى الكتاب والسنة وجهـاد الظـالمين ونصـرة المظلومين، وفعلاً جرت المعركـة في الكوفـة بين زيـد ومن بقي معه ممن بـايعوه وبين جيش الأمويين وانتهت باستشهاده سنة122ه، وحمل رأسه الى الشام ثم الى المدينة لينتهي به المطاف إلى مصر ودفن اليدن الحلي، الحسين بن سليمان(ت القرن التاسع الهجري)، مختصر بصائر الدرجات، المطبعة الحيدرية، العراق، 1370ه، 197

يغيب عن الإمام امير المؤمنين وطريقة معرفة الإمام للآيات القرآنية التي تنزل على الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) حينما يكون غائباً عنه (عليه السلام)، إذ يقول زيد بن علي: قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«ما دخل رأسي يوماً ولا غمضنا غمضاً على عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) حتى علمت من جبرائيل في ذلك اليوم من حلال أو حرام أو سنة أو أمر أو نهي، فيما نزل فيه وفيمن نزل».

فسأل البعض زيد بن علي أن الأمر عظيم، كيف يكون هذا أو قد كان أحدهما يغيب عن صاحبه؟ فكيف يعلم هذا؟ فأجابهم زيد بن علي قائلاً:

(كان يتحفظ على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عدد الأيام التي غاب بها، فإذا التقيا قال له رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم): يا علي نزل عليّ في يوم كذا وكذا ويوم كذا وكذا وكذا يعدّها عليه إلى يومه الذي وافى فيه)(1) .

وبالعودة لأصل المبحث وهو الأخبار الغيبية عن الخوارج، فالمعروف أن ظهور هذه الفئة في حرب صفين لم يكن أمراً عفوياً أو وليد ساعته، بل كانت

1- عز الدين الحلي، الحسين بن سليمان (ت القرن التاسع الهجري)، مختصر بصائر الدرجات، المطبعة الحيدرية، العراق، 1370ه، 197

هنالك أجواء مناسبة، كذلك عوامل وأسباب أوجدت الأرضية الخصبة ليظورهم على الواقع، فالمعلوم أنهم فرقة ظهرت في حرب صفين(1) ، التي دارت رحاها بين أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) الخليفة الشرعي بكل ما لهذه الكلمة من معنى وبين معاوية بن أبي سفيان الذي رفض الانصياع لسلطة الخلافة الحق رافضاً طاعة أولي الأمر، وقد جاء ظهور الخوارج العلني بعد خدعة رفع المصاحف التي حدثت في تلك الحرب حينما عمد جيش معاوية لتلك الخدعة التي جاء بها عمر بن العاص(2) ، بعدما قربت هزيمة جيش الشام ومالت الكف لجيش الإمام علي (عليه السلام) والحق الذي يجب أن يقال هنا أن هذه الخدعة أحدثت زلزالاً مدوياً في جيش الإمام، إذ مالت الكفة الأكثر من هذا الجيش إلى حكم المصحف، بحسب قولهم، بينما بقي الإمام علي (عليه السلام) مع ثلة قليلة من أنصاره يواجهون تهديدات أولئك الانفصاليين بالمستوى نفسه أو أشد من التهديد الذي كان يواجههم به أهل الشام(3) .

ويعتقد أن أصل الخوارج لا يعود إلى حرب صفين؛ لأن ذلك يجافي الحقيقة والصحيح، إذ أن الخوارج أخرجتهم إلى الساحة العصبية القبلية التي كانت المحرك الأبرز لهم، والتي ربما تكون حدثت بفعل انضمام كثير من

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 4/ 55

2- الشهرستاني، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548ه- 1153م)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، 1404ه، 1/ 43

3- ظهير الدين البيهقي، أبو الحسن علي بن زيد، (ت565ه- 1170م)، معارج نهج البلاغة، تحقيق: محمد تقي دانش، مطبعة بهمن، ايران، 1409ه، 1/ 80

الموالي إلى الإسلام الذي نادى بالمساواة بين القبائل، وعارضوا حصر الخلافة في قريش(1) ، بينما هنالك رأي آخر يذهب الى أن الخوارج هم من البدو الذي استقروا في الكوفة والبصرة بعد فتح فارس(2) ، لا بل هنالك من ذهب إلى أنهم من قبائل تميم وحنيفة وربيعة التي كان لها مكانة مرموقة في الجاهلية(3) وهنا نقول: إن الخوارج كفكر وأشخاص كانوا موجودين منذ زمن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)، إلا أن الظروف أصبحت مؤاتية لإخراجهم إلى حيز الوجود في صفين، ولاسيما إذا ما علمنا أن رسول الله (صلى الله عليه واله) كان قد أخبر بهم، وذكر حكمهم(4) ، إذ أن بذرتهم الأولى تمثلت من خلال حديث ذي الخويصرة حرقوص بن زهير(5) ، الذي يعرف بحديث الخوارج، حينما رمى حرقوص بن زهير الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بالجور في القسمة قائلاً: يا رسول الله أعدل!، فقال رسول الله:

«ويلك! و من يعدل إن لم أعدل!؟ قد خبت وخسرت إن لم أعدل» فقال عمر بن الخطا: يا رسو الله إئذن لي فيه أضرب عنقه، فقال رسول

1- أبو الشباب، احمد بن عوض، الخوارج، دار الكتب العلمية، لبنان، 1426ه، ص15

2- أمين، احمد بن إبراهيم (ت1373ه/ 1954م)، فجر الإسلام، مكتبة النهضة، مصر، د. ت، 262

3- أبو الشباب، الخوارج، 16

4- ابن تيمية، تقي الدين احمد الحراني، (ت728ه/ 1328م)، الايمان الأوسط، تحقيق: محمود أبو سن، دار طيبة للطباعة، السعودية، 1422ه- 24

5- هو حرقوص بن زهير السعدي التميمي الملقب بذي الخويصرة، ممن رأى رسول الله، نزل بالأهواز، وممن شارك في صفين مع الإمام علي وبعد التحكيم صار من أشد الخوارج بغضاً للإمام وعداوة، قتل في معركة النهروان سنة37ه ينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 2/ 49

الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«دعة فإن لم أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامة مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية، يُنظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه(1) فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه،(2) ثم ينظر إلى قذذه(3) فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، احدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر(4) ، يخرجون على حين فرقة من الناس»(5) .

فقال أبو سعيد الخدري الذي روى الحديث وكان حاضراً فيها: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم)، وأشهد أن علياً بن أبي طالب (عليه السلام) قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، فأتي به حتى نظرت إليه، على نعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) الذي نعت(6) ، وفعلاً كان حرقوص هكذا، إذ كان له أثرٌ بارز في مجريات الأحداث

1- رصافة: تعني رصاف السهم وهي تلوى في موضع فوق الوتر وعلى أصل نصل السهم، ينظر: الفراهيدي، العين، 2/ 35

2- نضيه: هو السهم بلا ـ نصل ولا ريش، ينظر: الثعالبي، أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل (ت429ه/ 1038م)، فقه اللغة، مصطفى السقا، مطبعة مصطفى الحلبي، سوريا، 1395ه، 1/ 55

3- قذذه: أي الريش الذي يوضع على السهم؛ ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، 2/ 66

4- تدردر: أي تضطرب فتذهب وتجيء، ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 4/ 436

5- ابن كثير، السيرة النبوي، 3/ 688؛ الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، (ت942ه- 1535م)، سبل الهدى والرشاد، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، بلا. ت، 5/ 405

6- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 3/ 113

وظهور الخوارج على الساحة، إذ روي انه لم يكتفِ بإلزام أمير المؤمنين (عليه السلام) بقبول التحكيم، بل ذهب لأكثر من ذلك إذ طالب الإمام، قائلاً: تب من خطيئتك؛ وذلك ذنب يجب أن تتب منه(1) ، فكان حرقوص مثلما وصفه أحد المؤرخين حينما قال: أول الخوارج وأقبحهم حالة ذي الخويصرة(2) .

فمن خلال ما تقدم يتضح أن الظهور العلني للخوارج كان في صفين، وهم كانوا يتألفون من تركيبة غريبة من تشكلت من ثلاث فئات:

الفئة الأولى: كانت عناصر مدسوسة ترى أن مصلحتها تتم بتحريك الحوادث في هذا الاتجاه أو ذاك.

الفئة الثانية: فكانت من الجهال التي لم تستطع فهم الموقف الصحيح والرسالي لأمير المؤمنين (عليه السلام) ووقعت تحت تأثير خدمة رفع المصاحف، وشككت في صحة القتال بسبب ذلك(3) .

الفئة الثالثة: فهي التي قبلت التحكيم من موقع إحساسها بالضعف والتخاذل والسأم من الحرب، وبحجة حقن دماء المسلمين(4) ، وهنالك حقيقة مهمة عن هذه الفرقة يجب أن تذكر، مفادها أن الخوارج من أشد الفرق الإسلامية دفاعاً

1- البلاذري، انساب الأشراف، 1/ 339

2- ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن (ت597ه- 1201م)، تلبيس إبليس، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1405ه، 110

3- العاملي، جعفر، علي والخوارج، المركز الإسلامي للدراسات، لبنان، 1422ه، 1/ 171

4- الخصيبي، ابي عبد الله الحسين بن حمدان (ت334ه- 1043م)، الهداية الكبرى، ط4، مؤسسة البلاغة للطباعة، لبنان، 1411ه، 495

عن منصبها، وحماسة لآرائها، واشد الفرق تديناً في جملتها وأشد تدهوراً واندفاعاً، متمسكون بألفاظ قد أخذوا بظواهرها، مثلما فعلوا مع كلمة (لا ـ حكم إلا لله)، إذ اتخذوها شعاراً ينادون به، فكانوا كلما رأوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يتكلم رددوا هذا الشعار(1) .

أما فيما يخص الأخبار الغيبية التي ذكرها الإمام عن الخوارج ومصيرهم، فقد حملت خطب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكلماته في نهج البلاغة الكثير من الأخبار الغيبية عن الخوارج وعن مصيرهم القادم والجزء الأكبر من هذه الأخبار تكلم عليها أمير المؤمنين قبل معركة النهروان، ومن تلك الخطب التي أخبر فيها الإمام عن مصير الخوارج لما عزم على حربهم وقيل له: إن القوم عبروا جسر النهروان، فقال (عليه السلام):

«مَصَارِعُهُمْ دُونَ اَلنُّطْفَة(2) وَاَللهِ لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَلاَ يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ»(3) وكلام الإمام (عليه السلام) هذا حمل ثلاثة أخبار غيبية هي:

1- «مَصَارِعُهُمْ دُونَ اَلنُّطْفَة»: ومعنى هذا الكلام أنه مكان مصرعهم، سوف يكون دون هذا النهر أي لن يعبروا هذا الجسر.

2- «لاَ يُفْلتُ منْهُمْ عَشَرَةٌ».

1- الشهرستاني، الملل والنحل، 114

2- النطفة: وهنا قصد بها الإمام ماء النهر وهي أفصح كناية عن الماء ان كان كثيراً، ينظر : الطريحي، مجمع البحرين، 7/ 317

3- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 416. الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 98

3- «وَلاَ يَهْلكُ منْكُمْ عَشَرَة»(1) .

والملحوظ هنا أن هـذا الخبر الغيبي الـذي أخبر به الإمام علي (عليه السـلام) هو الوحيـد الـذي وجـدناه في نهج البلاغة قد تحقق في زمن الإمام، ثم تناقله المؤرخون والناس في ما بعـد، وسـنحاول في تناولنا لهـذه الخطب إلقاء جزء من الضوء على حقيقـة تلك الأحداث، فبعد الـذي حصـل في قصـة التحكيم المعروفـة وعودة كـل فريق إلى معسـكره، لم يـدخل بعض الخوارج مدينـة الكوفـة، حيث نزلوا في منطقة حروراء(2) ، وقد شـكلوا فيها جبهة معارضة للإمام علي (عليه السلام) بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي(3) ، وقرروا الذهاب إلى النهروان، ولعل السـبب في ذلك الرغبـة في الابتعاد عن الكوفـة مقر سـلطة الخلافة، ولأنهم يريدون من خلال سـيرهم الطويل إلى النهروان إسـماع صوتهم للقبائل الساكنة في طريقهم للانضـمام لهم، وحينما وصلوا إلى النهروان لم يعبروا جسرها بل استقروا في جانب النهر، بينما كانت قوات الإمام تتحرك

1- الشريف الرضي: نهج البلاغة، 1/ 98

2- حروراء: هي قريـة بظاهر الكوفـة وتبعد عنها ميلين، وقد نزل بها الخوارج فنسـبوا إليها وسـموا بالحرورية، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 2/ 74؛ المقريزي، تقي الـدين احمـد بن علي، (ت845ه- 1441م)، المواعـظ والاعتبـار في الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، مؤسس الفرقان، مصر، 1422ه، 2/ 93

3- هو عبد الله بن وهب الراسبي، منسوب إلى راسب بن جدعان بن مالك بن نصر بن الأزدي، عرف عنه علمه الواسع والفصاحة وكان كثير العبادة، كان أمير الخوارج في النهروان وقـد قتل في تلك المعركـة. ينظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، 2/ 420؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 4/ 267

باتجاههم قادمة من النخيلة(1) ، حتى وصلت وعسكرت في الجانب الآخر من النهر، وقد صلى الإمام ركعتين عند ذلك الجسر(2) .

ومن هنا يتضح قول الإمام علي (صلوات الله عليه) مصارعهم دون النطفة، أي قبل عبورهم الجسر إلى الجهه الأخرى من النهر، وإن السبب الذي دعا إليه أثد أفراد جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمجيء إلى الإمام والقسم أمامه أنه رأى الخوارج قد عبروا الجسر وهي حركة قام بها جيش الخوارج حينما علموا بوصول جيش الإمام، فكان حينها رد الإمام بالقول:

«والله ما عبروه ولن يعبروا»(3) .

ونجد أن الإمام هنا قد أقسم بتحقيق ذلك الخبر الغيبي وكان صادقا، إذ أن الخوارج لم يعبروا الجسر، أما إخبار الإمام (عليه السلام) عن عدد الناجين من جيشه ومن الخوارج فمن ذلك نقتبس كلام ابن أبي الحديد، إذ قال: ((هذا الخبر من الأخبار المواترة لاشتهاره بين الناس، وهو من معجزاته وإخباره المفصلة عن الغيوب، الذي لا يحتمل التلبيس لتقيده بالعدد المعين في أصحابه وفي الخوارج، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان؛ وذلك أمر إلهي عرفه من جهة رسول الله (صلى الله عليه و اله وسلم) الذي بدوره أطلعه الله عز وجل))(4) .

1- النخيلة: موضع قرب الكوفة، وهي من تصغير نخلة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 222

2- الشهرستاني، الملل والنحل، 2/ 59

3- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 361

4- ابن أبي الحديد، نهج البلاغة، 2/ 241

ومن خلال الرجوع إلى المصادر التاريخية نجد أنها متفاوتة في عدد قتلى الخوارج وعدد الناجين منهم، فقيل ان عدد قتلة الخوارج كان خمسة آلاف(1) ، وقيل: أربعة آلاف(2) ، وقيل: ستة آلاف، رجع منهم ألفان وقتل الباقون(3) وكذلك ذكر في رواي أخرى أن عدد التقلى كان ألفان وثمان مائة(4) ، وهناك من رأى أن عدد القتلى كان ألفاً وخمس مائة(5) ، بينما نجد أن هنالك رواية نصت على أن عدد قتلى الخوارج كان عشرة آلاف لم يخطئهم بالسيف(6) .

وسواء كانت هذه الرواية الأدق والأصح أم تلك في عدد قتلى الخوارج في النهروان، فهذا الموضوع، ليس موضع بحثنا الحالي؛ بل الموضوع الحقيقي هنا هو معرفة عدد من نجى من الخوارج في النهروان، وعدد القتلى من جيش الإمام (عليه اسلام) استناداً إلى قوله (عليه السلام):

«لاَ يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ ولاَ يهْلِكُ مِنْكُمْ عشرة»

1- ابن أعثم الكوفي، أبي محمد أحمد، (ت314ه- 926م)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للنشر، لبنان1411ه، 4/ 125؛ ابن حبان البستي، محمد بن احمد، (ت354 ه- 965م)، الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1391هن2/ 296؛ ابن المغازلي، علي بن محمد الشافعي(ت483ه/ 1091م)، مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام، دار الاضواء، لبنان، د. ت، 415

2- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 360

3- ابن أبي الحديد، نهد البلاغة، 4/ 279

4- ابن عبد ربة، العقد الفريد، 2/ 490

5- ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين، (ت626ه- 1229م)، معجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1399ه، 5/ 264

6- ابن المطهر، الطاهر المقدسي، (ت355ه- 966م)، البدء والتاريخ، مطبعة المعارف، العراق، بلا. ت، 5/ 136

وسنحاول في البدء ذكر عدد الخوارج، فهنالك روايات اختلفت في عدد الناجين أيضاً، فقيل: أربعة(1) ، وقيل: خمسة(2) ، وقيل تسعة(3) ، وقيل إن الذين نجوا كانوا عشرة أشخاص(4) ، وهذا القول ذهب إليه نزر قليل هدفه واضح المعالم هو التشكيك بكلام الإمام (عليه السلام).

وهنا نقول: إن هذا الكلام مردود ولا يمكن قبوله؛ لأنه مخالف لما اتفقت عليه كلمة المؤرخين، والهدف من هذا الكلام هو الإيحاء بأن كلام الإمام هذا من قبيل الكهانة، ولا يستند إلى أساس، أو من قبيل التوقعات المستندة إلى التحليلات الشخصية التي تكون قابل للصحيح أو الخطأ، والحقيقة هي عكس ذلك تماماً، فكلام الإمام هو علم من ذي علم وهو غيب اختص به ليكون دليلاً على إمامته، ودليل إثبات على أنه الإمام الحق، وأن أعداءه الذين حاربوه هم الباطل والبغاة الخارجين على إمام زمانهم، وعليه فالراجح أن عدد الناجين ولم يصابوا بأي أذى كانوا تسعة ولعلها الرواية الأقرب للصحيح، وقد حددت أماك الناجين التي لجأوا إليها، وقد ذكرها ابن أعثم(5) قائلاً: (فاختلط القوم،

1- المسعودي، علي بن الحسين، (ت346- 957م)، اثبات الوصية، دار الأضواء، لبنان، بلا. ت، 147

2- المبرد، ابو العباس محمد بن يزيد، (286ه- 899م)، الكامل في اللغة والأدب، دار الكتب العلمية، لبنان، 1400ه، 1/ 250

3- قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، 1/ 227

4- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 362

5- هو أحمد بن محمد بن علي بن اعثم الكوفي، أبو محمد، مؤرخ من أهل الكوفة، له كتاب الفتوح الذي أرخ فيه إلى ايام الرشيد العباسي، وله أيضاً كتاب التاريخ عن الدولة العباسية من زمن المأمون إلى المقتدر، أما وفاته فكانت في سنة314ه، ينظر: الحموي، معجم الأدباء، 2/ 230؛ اغابزرك الطهراني، (ت1389ه- 1969م)، الذريعة، ط3، دار الأضواء لبنان، 1403ه، 3/ 220

فلم تكن إلا ساعة حتى قتلوا بأجمعهم، وكانوا أربعة آلاف فما فلت منهم إلى تسعة نفر، فهرب منهم رجلان إلى خراسان، ورجلان بأرض سجستان، وفيهما نسلهما إلى الآن، ورجلان إلى بلاد الجزيرة إلى موضع يقال له سوق التوريخ(1) ، وإلى شاطئ الفرات هرب رجلان فهناك نسلهما إلى الساعة، وصار رجل إلى تل يقال له تل موزن(2))(3) .

أما عدد الشهداء من جيش الإمام (عليه السلام) فقد اختلفت الروايات التاريخية أيضاً في ذلك، فقد ذهب بعض المصنفين والمؤرخين للقول: إن العدد هو اثنان(4) ، وقيل إنهم كانوا سبعة(5) ، أما ابن أعثم فقد ذكر أن عددهم

1- سوق التوريخ: هي منطقة في نواحي تكريت شمال العراق، سماها البعض (البوازيح) أو (البوارنج) وهي تقع عند الزاب الأسفل الذي يصب في دجلة وهي الآن تابعة للموصل، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1 / 366؛ البكري، عبد الله ب عبد العزيز الأندلسي(ت487ه/ 1094م)، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة عالم الكتب، لبنان، 1403ه، 82؛العلامة الحلي، الحسن بن يوسف (ت726ه/ 1326م)، كشف اليقين في فضائل أمير المنؤمنين، تحقي: حسين الدركاهي، مطبعة طهران، إيران، 1411ه، 159

2- تل موزن: هو بلد قديم مبني بالحجارة يقع بين منطقة رأس عين وسروج، وبينه وبين رأس عين عشرة أميال، وقد فتحه ابن عياض سنة17ه، وتل موزن يبعد عن الفرات عشرة أميال وفي منطقة الجزيرة، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 1/ 424؛ الشريف الإدريسي، ابو عبد الله محمد، (ت560ه- 1165م)، نزهه المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة عالم الكتب، لبنان، 1409ه، ص214

3- ابن أعثم الكوفي، الفتوح، 4/ 132

4- ينظر: ابن كثير، البداي والنهاية،7/ 291؛ الصنعاني، عبد الرزاق بن همام، (ت211ه- 837م)، المصنف، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، لبنان، بلا. ت، 1/ 184

5- ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت709ه- 1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدو الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1385ه، 95

كان تسعة، وقد ذكرهم في كتابه الفتوح(1) .

وكالعادة استغلّ أصحاب المآرب والنفوس الضعيفة كلمة الإمام (عليه السلام)، وجاءوا بمذهب مزيف مفاده أن عدد الشهداء كان من اثنتي عشر أو ثلاثة عشر، وكان هدفهم من ذلك اتهام الإمام بالكهانة، وقوله هذا مبني على التوقعات التي قد تخطئ أو تصيب؛ لأنها مبنية على أرقام وحسابات حسية، ولو افترضنا جدلاً صحة ادعاءاتهم تلك عن أمير المؤمنين، فلماذا يتكهن (عليه السلام) عن قتلى النهروان فقط، ولماذا لا يتكهن عن نتائج الجمل أو صفين؟ إذن فهذا كلام باطل يهدف إلى إضعاف شخص الإمام (عليه السلام)، متناسين أن هذه الأخبار الغيبية التي قالها الإمام (صلوات الله عليه) هي علم من ذي علم، وعلي هو باب علم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وما تلك الأخبار إلا عن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) من الله سبحانه وتعالى، ودليل واضح على إمامة علي وبغي كل من ناوؤه وخالفه(2) ، كيف لا وهو قاصم أعداء الإسلام ومحقق نسبه ونيابته الموافق والمخالف، مما علم دليله، واتضح سبيله وكان لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) ناصراً، ولشريعته مجيباً، ولدعوته ملبياً، ومختارة للإخاء يوم مؤاخاته؛ فلذلك كان علي (عليه السلام) غصناً طيباً من شجرة رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) المباركة(3) .

1- ابن اعثم الكوفي، الفتوح، 4/ 127- 128

2- جعفر العاملي، الخوارج وعلي، 1/ 199

3- العارف الموصلي، شرف الدين عمر بن شجاع، مناقب آل محمد، تحقيق: علي عاشور، مؤسسة الأعلمي، لبنان، 1424ه، 54

ومن خلال ما تقدم ذكره يظهر صدق الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في تحديده لعدد الناجين من الخوارج وهلاك الباقين، وكذلك في تحديده لعدد الشهداء من أتباعه، وهنا يبرز البرهان الواضح في أن الإمام (عليه السلام) لم يكن مثل باقي القادة الذين يعمدون إلى رفع معنوياتهم بالكلام، والقول إن العصر سيكون حليفهم، بل امتد لأكثر من ذلك؛ إذ كان يبشر بالنصر، ويخبر عن عدد القتلى من الطرفين(1) .

لم يقتصر ذكر الخوارج ومصيرهم من قبل الإمام علي عليه السلام على هذه الخطبة فقط، بل أشرنا سابقاً إلى أن معركة النهروان كانت ميداناً لعدد من الأخبار الغيبية عن الخوارج ومصيرهم؛ إذ أخبر الإمام علي (عليه السلام) عن مصيرهم بعدما سمع قول أتباعه له بهلاك الخوارج جميعهم في النهروان فأجابهم قائلاً: «كَلاَّ وَاللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ في أَصْلاَبِ الرِّجَالِ وقَرَارَاتِ النِّسَاء وكُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخرُهُمْ لُصُوصاً سلاَّبِينَ»(2) .

الذي يتضح لنا من كلامه (عليه السلام) هذا أنه جاء مباشرة بعد نهاية معركة النهروان، وأراد (صلوات الله عليه) من خلاله إيصال رسالة إلى الخوارج ومستقبلهم، فحتى لو قتلوا جميعهم فسوف يولد مستقبلاً من يسير على نهجهم وطريقهم، وفعلاً ظهر هؤلاء الأفراد في ما بعد، وساروا على الطريق نفسه الذي سلكه أجدادهم، فضلاً عن ذلك ما ذكرناه سابقاً عن بقاء

1- جعفر العاملي، علي والخوارج، 1/ 202

2- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 426؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 98

تسعة أفراد منهم نجوا من حرب النهروان وتفرقوا في البلاد، ولعل الإمام أراد أن يشير إلى ان من حضر النهروان، لم يكن من الخوارج جميعهم(1) ، ثم اتجه في كلامه ليميط اللثام عن خبر غيبي آخر وهو قوله (عليه السلام):

«كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ»(2) .

وهذه إشارة إلى وحشية هؤلاء القوم، وتشبيههم بالحيوان الذي له قرون، ثم أن هذا الكلام له معنى آخر؛ إذ إن الإمام أراد الإشارة من خلاله إلى حجم الهزائم والانتكاسات التي سوف يتعرضون لها مستقبلاً(3) ، وأخيراً ختم الإمام كلامه في هذه الخطبة ليبين مستقبلهم الأسود، بقوله:

«آخِرُهُمْ لُصُوصاً سلاَّبِينَ»(4) .

وفعلاً هكذا كانوا، فقد خرج العديد من اللصوص المشهورين الذين كانوا ينتمون إلى الخوارج(5) ؛ إذ نقل أن أبرز هؤلاء اللصوص هو الوليد ب طريف الشيباني(6) ، الذي عاش في زمن الدولة العباسية في عهد خلافة هارون الرشيد

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 2/ 42

2- الشريف الرضي: نهج البلاغة، 1/ 99

3- مغتية، محمد جواد، في ظل نهج البلاغة، تحقيق: سامي الغريري، مطبعة ستار، إيران، 1425ه، 1/ 316

4- الشريف الرضي: نهج البلاغة، 1/ 99

5- ابن ابي الحديد، نهج البلاغة، 1/ 208

6- الوليد بن طريف الشيباني: من بني تغلب، احد أمراء العرب، كان له جيش من اللصوص وقطاعي الطرق وذاع صيته في الجزيرة في زمن هارون الرشيد، وتمكن من احتلال منطقة نصيبين وقتل فيها خمسة آلاف شخص، تمكن يزيد بن مزيد من قتله سنة178ه وارسل رأسه إلى الرشيد، ينظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، 6/ 327؛ اليافعي، عبد الله بن أسعد، (ت768ه- 1367م)، مرآة الجنان في معرفة حوادث الزمان، مطبعة طهران، بلا. ت، 1/ 215

الـذي أمر جنوده بقتله, وجلب رأسه له(1) ، أيضـاً من هؤلاء اللصوص ابن عمرو الخثعمي(2) ، الـذي كان أحد أبرز اللصوص، وقاطعي الطرق في عهـد المتوكل العباسـي، الـذي تمكن من الهرب من الجيش العباسـي وقتل العباسـيون العديد من أتباعه(3) ، فضـلاً عن ذلك ظهرت عصابـة من الخوارج في منطقة كرمان(4) ، وكانت تقطع الطرق، وتقتل، وتسـلب، وظهرت بدعهم في المناطق التي كانوا موجودين فيها(5) .

ومن الخطب الأخرى للإمام أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) عن الخوارج قوله:

«أَصابَكُمْ حَاصِبٌ(6) وَلاَ بقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ(7) أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللَّه وجِهَادِي مَعَ رَسُولِ

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 209

2- هو حزم بن عمرو الخثعمي، خرج مع مجموعـة كبيرة من أتباعه اللصوص وقطاعي الطرق في زمن المتوكل العباسـي في منطقة الجزيرة وأعلن نفسه خليفـة على أتباعه في تلك المنطقة، حينما وصل امره للعباسـيين ارسـلوا إليه القائد محمد بن يوسف الطائي، إذ تمكن من قتل عـدد كبير من اصـحاب عمرو الخثعمي وأسـر عـدد آخر وتمكن الخثعمي من الهروب والنجـاة بنفسه، ينظر: ابن أبي الحديـد، شـرح نهج البلاغة، 1/ 210

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 210

4- كرمان: إقليم يقع في بلاد فارس بين اوبين وبين مكران شرقاً، والخليج العربي جنوبا، ينظر: الاصطخري، المسالك والممالك، 60

5- الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 114

6- حاصب: كلمة كانت تدعو بها العرب على أعدائهم، وهي الريح التي تحمل صغار الحصى، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 1/ 318

7- آبر: هو الشخص الذي يقوم بتأبير النخل وإصلاحه وهي كناية عن العمل الصالح، ينظر: الطريحي، مجمع البحرين، 1/ 17

اَللّٰهِ صلى الله عليه واله وسلم أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذاً ومَا أَنَا مِنَ اَلْمُهْتَدِينَ فَأَوبُوا شَر مَآبٍ وإِرْجِعُوا عَلَى أَثَرِ اَلْأَعْقَابِ أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلاً شَالِاً وسَيْفاً قَاطِعاً وأَثَرَةً(1) يَتَّخِذُهَا اَلظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً»(2) .

الواضح هنا من كلمات امير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته هذه أنها كانت في أيام صفين حين نادى الخوارج (لا حكم إلا لله) بعد أن فرضوا التحكيم عليه (صلوات الله عليه) ثم رجعوا عنه، وقرروا اعتزال حكومته متهمينه بالخروج من الإسلام لقبوله التحكيم(3) ، ولعل الحقيقة الواضحة هنا أن الإمام (عليه السلام) أراد من خلال خطبته أن يخبر هؤلاء عن المستقبل المظلم للخوارج، لاسيما بعد أن كان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد وضح لهم حقيقة الخدعة التي قام بها جيش معاوية حينما رفعوا المصاحف قائلين: إن بيننا وبينكم كتاب الله، هذه مجرد خدعة يراد منها تشتيتكم وإبعادكم عن النصر الذي أصبح بمتناول اليد، وإنما فعلوا ذلك لهذا السبب، إلا ان الخوارج كانوا يرفضون كلام الإمام (عليه السلام) هذا، ثم بعدها قال لهم تحتكمون للقرآن، أنا القرآن، أنا القرآن الناطق، أولست من قال عنه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

1- أثرة: وهي تعني الاستبداد بفوائد الملك وحرمان الآخر منه، وكذلك هي جاءت بمعنى لا بقي أحد منكم يخبر هذا الكلام. ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 1/ 441

2- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 97

3- ابن قتيبة، الإمام والسياسة، 1/ 121

«إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتوا بهم لن تضعوا بعدي أبداً»(1) .

وكان كلام الإمام علي (عليه السلام) هذا لا يجد فيهم آذاناً صاغية، بل يستمعون إلى شيطانهم الذي أضلهم سبيلا(2) ، وفعلاً كانوا مثلما وصفهم رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لعائشة حينما قال لها:

«إنهم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة، وأقربهم عند الله وسيلة»(3) .

وبالعودة لخطبة امير المؤمنين عليه السلام نجد أنه بدأ كلامه بالدعاء عليهم «أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ وَلاَ بَقِيَ مِنْكُم آبِرٌ» ومعنى هذا الكلام أرسل الله عليكم ريحاً شديدة، حتى تقتلعكم من جذوركم حتى لا يبقى أحد منكم، ثم يبين الإمام فضائله بعد أن طلبوا منه أن يشهد على نفسه أنه كفر، فرد عليهم، أنا أول من آمن بالله ورسوله، وكنت معه في جميع حروبه- إلا تبوك حيث خلفني الرسول على المدينة- وبسيفي جندلت صناديد الشرك والظلالة وبعد هذا كله تقولون كفرت(4) ، ثم قال بعدها (فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ) وهذا دعاء ثانٍ دعاه عليهم الإمام مخاطباً الله أن ينزل على هؤلاء القوم الذل والهوان في الدنيا والآخرة، ثم

1- النعماني، الغيبة، 1/ 56؛ ابن حجر الهيثمي، أبو الفضل أحمد بن علي، (ت852ه- 1448م)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1405ه، 2/ 437

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 2/ 419

3- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، 12/ 286

4- البيهقي، معارج نهج البلاغة، 1/ 142؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 1/ 275

يختم الإمام كلامه بنبوءة تكشف عن مصيرهم المحتوم، ومستقبلهم المظلم وهي قوله «أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدي ذُلاّ شَامِلاً...»، وفعلاً هذا ما حدث فقد تحققت نبوءة الإمام وكانت السيوف تتلقفهم من كل حدب وصوب وضرب عليهم الذل والهوان(1) .

والحقيقة التي تتجلى من كلام الإمام علي (عليه السلام) أنه كان يرى الخوارج ظاهرة حية وفكر منحرفاً موجوداً مدى الدهر، وليس مثلما يرى بعض الباحثين أنهم مجرد فرقة، كذلك أشار بعضهم إلى أن هذا الفكر كان موجوداً حتى في عهد رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وقيل إن الآية الكريمة:

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ»(2) .

قد نزلت بعدما قام الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بتقسيم الغنائم بين أفراد جيشه بعد الانتهاء من غزوة حنين(3) ، والحق إن أصحاب هذا الفكر الظلامي المنحرف موجودون في كل عصر ومصر، وإن كان مسقط رأسهم في صفين، وشهادة ميلادهم صدرت من التحكيم، فقد عرف عنهم تمسكهم

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 2/ 420

2- سورة التوبة: الآية (58)

3- الزمخشري، جار الله محمد بن عمر، (ت538ه- 1143م)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سوريا، 1385ه، 2/ 436

بالقشور وترك اللب، إذ كانوا يأخذون بظاهر النص من غير التحري والتمعن في باطنه، كما عرف عنهم تعطشهم للقتل وسفك الدماء، فكانوا يقتلون الرجال، والنساء، والأطفال، والشيوخ، على حد سواء، لتعصبهم الأعمى لآرائهم المختلفة(1) ، فكانوا يحاججون القرآن الناطق علي بن أبي طالب (عليه السلام) ظناً منهم أنهم أعلم منه، وما يجب أن يقال هنا أن ورثة مدرسة الخوارج الظلامية تتجسد اليوم في بعض الجماعات المنحرفة أخلاقياً ودينياً والمتمثلة بالفكر السلفي والتكفيري الوهابي، فهما يعدان وجهان لعملة واحدة، إذ يوزعان صكوك الغفران على وفق أهوائهما، لاسيما النوع الآخر المتمثل بالتكفيرين الذين يهدرون دماء الأبرياء لأتفه الأسباب، وبقطع النظر عن انتمائهم الديني أو المذهبي، بل إنهم يرون أنفسهم أفضل من غيرهم، وهم بذلك يمثلون الامتداد التاريخي للخوارج الذين كانوا يرون أنفسهم الحق المطلق، وغيرهم هو الباطل بعينه، ومن الجرائم التي اقترفها الخوارج، وتستحق الوقوف عليها؛ لأنها تكشف عن مدى انحراف هذه الفئة العقائدي، والفكري وابتعادهم كل البعد عن الإسلام، قيامهم بقتل الصحابي عبد الله بن الخباب(2)

1- الدينوري، الإمامة والسياسة، 1/ 120

2- عبد الله بن الخباب بن الأرث من أوائل الصحابة الذين أسلموا، عد البعض عبد الله بن الخباب من الصحابة بينما عده البعض الآخر من التابعين، كان عامل الإمام علي (عليه السلام) على النهروان قتله الخوارج هو وزوجته الحامل حينما كان في طريقه إلى الحج سنة38ه، ينظر: ابن عدي، احمد بن عبد الله الجرجاني، (ت365ه- 976م)، الكامل في ضعفاء الرجال، ط3، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1409ه، 4/ 226؛ العيني، بدر الدين محمد بن احمد، (ت855ه- 1451م)، مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار، مطبعة السعادة، مصر، بلا. ت، 3/ 79

وزوجته الحامل، إذ قتلوهما بطريقة بشعة لا لذنب اقترفاه إلا؛ لأنهما رفضا البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حينما طلب الخوارج ذلك منهما، فعمدوا إلى قتلهما ومثلوا بهما(1) ، وهم بأفعالهم هذه يصبحون مثلما وصفهم الإمام علي (عليه السلام) في إحدى خطبه حينما قال عنهم: «أَنْتُمْ شِرَارُ اَلنَّاسِ و مَنْ رَمَى بِهِ اَلشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ»(2) .

ذكر البيهقي أن الإمام أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بين أن الخوارج شر الناس الذين أضلهم الشيطان عن الطريق القويم وأصبحوا بأفعالهم تلك سالكين في بادية الظلالة(3) ، مجسدين بأفعالهم تلك، قوله تعالى:

«قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا»(4) .

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل فعلاً الخوارج هم شرار الناس؟ والحق أن وصف الإمام (عليه السلام) لهم بهذه الصفة أمراً لا مبالغة فيه، ففعلاً هم شر الناس، لا لأنهم خرجوا على الإمام الحق وبغوا على من هو بالإتباع أحق، فأضلهم الشيطان بوساوسه(5) ، ولعل أبرز العقائد المتناقضة التي جاءوا بها هي

1- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 360

2- الطبري، تاريخ الرسل والأمم، 5/ 84085؛ الكليني، الكافي، 4/ 31؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 212

3- معارج نهج البلاغة، 2/ 57

4- الكهف، الآية (103- 104)

5- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1/ 199

قيـامهم بتكفير عثمان، والامام امير المؤمنين (عليه السـلام) وبراءتهم من التحكيم، بعـد ان كانوا هم المطالبين به، وتكفير معاويـة وأتباعه، ووجوب القيام ضد الإمام الجائر وكذل تكفير من ارتكب الكبيرة(1) .

وكلام الإمام علي (عليه السلام) عن الخوارج كثير في كتاب نهج البلاغة ومن الكلمة التي قالها عنهم التي تستحق الوقوف عندها هي قوله:

«لاَ تُقَاتلُوا اَلْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ اَلْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ اَلْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ»(2) .

والملحوظ من كلامه (عليه السـلام) هـذا أنه ينهى عن قتـال الخوارج بعـده؛ لأنه صاحب تجربـة معهم ويعرفهم حق المعرفـة، فهو خبير بأساليبهم القـذرة والمنحرفـة، حتى كانوا هم من قتله غـدراً، ولعل الشـيء الـذي يثير الاسـتغراب والدهشة هو لماذا نهى الإمام عن قتالهم بعده؟ والمرجح هنا أن أمير المؤمنين (عليه السـلام) أراد أن يجنب أصـحابه فتح جبهتين في آن واحد وهما الخوارج ومعاوية في الشام؛ بل أرادهم لتكريس قوتهم في هذا الوقت نحو جبهة الشام المنحرفة عقائدياً وفكرياً ولأنهم الأخطر على الإسـلام وأهله لأنهم كانوا يسيرون عن عمد نحو طريق الباطل، بينما الخوارج فئة من الجهال المنحرفة ظلت عن طريق الحق بسبب تعصبها الأعمى فانتهى بها الأمر إلى الحيرة

1- الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 28

2- المبرد، الكامل في اللغة والأدب، 2/ 120؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 99

والضلال(1) ، وقطعاً فالمراد من كلام الإمام علي (عليه السلام) قتال الفئة الثانية المتمثلة بمعاوية وأهل الشام أولاً ثم بعد الفراغ من أمرها التوجه لقتال الفئة الأولى أي الخوارج(2) ، وأخيراً فأن الملاحظ كلمة أمير المؤمنين (عليه السلام) السابقة أن الخوارج كانوا يطلبون الحق فأخطاؤه، أما أتباع معاوية، فكانوا يلهثون وراء الباطل عن قصد وعمد، وهذا هو الفرق بينهما، والحقيقة هنا أن هاتين الفئتين موجودتان في كل زمان ومكان، ويجب مجابهة الفرقة الثانية بكل الوسائل المتاحة للقضاء عليها؛ لأن وجودها يمثل تهديداً مباشر لبيضة الإسلام ووجوده، بينما الفئة الأولى تعد أخطر على الإسلام، ويمكن احتواءها من خلال الوعظ والإرشاد، لهدايتها لطرق الحق، وهذا ما فعله أمير المؤمنين بنفسه مع الخوارج في معركة النهروان؛ إذ إن كلام الإمام معهم ووعظه لهم أسهم بشكل كبير في توبة عدد كبير منهم، ورجوعهم للطريق القويم(3) ، إذ تشير الروايات التاريخية إلى أن عدد الخوارج الذين تراجعوا وعادوا عن طريق الضلال ثمانية آلاف شخص، بينما الذين رفضوا التوبة والعودة لطاعة قائدهم هم أربعة آلاف قتل أغلبهم في النهروان(4) .

وهنالك حقيقة مهمة ذكرت في نهج البلاغة، هي أن كلام الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) عنهم لم يقتصر على خطبة أو خطبتين أو حتى ثلاثة، بل

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 3/ 6

2- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 1/ 278

3- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 3/ 10

4- المسعودي، مروج الذهب، 2/ 360

امتد ليصل إلى أكثر من ثماني عشـرة خطبة ذكر فيها الخوارج في نهج البلاغة؛ إذ كان يبين حقيقة هؤلاء القوم والأسباب الحقيقية التي دعته إلى قتالهم؛ لأن بعض الأفراد ضـعيفو الإسلام بدأوا يترددون في قتال هؤلاء القوم؛ لأنهم مسلمون؛ لأنهم كانوا كثيري العبادة، لاسيما قراءة القرآن والصـلاة؛ إذ كان الرجل منهم يبدأ صـلاته ليلاً ولا ينتهي منها إلا صباحاً(1) ، فقـد ذكر أن ابن عباس حينما ذهب إليهم رسولاً من قبل الإمام علي (عليه السـلام)، رأى منهم جباهاً قرحة لطول السـجود، وأيدي كثفنات الإبل، قمصاً مرحضـة(2) ، ومع ذلـك لم يكونوا قد اتخذوا طريق الله بل أغواهم الشيطان وسقطوا في حبائله وقد أضاعوا بذلك دينهم ودنياهم(3) .

****

1- الهاشمي، علي بن الحسين، وقعة النهروان، مؤسسة المفيد، لبنان، 1396ه، 301

2- قمصاً مرحضة: وهي من رخص الثوب، أي منع غسـله فهو رخيص ومرحوض، والمرحاض خشـبة يضـرب بها الثوب والمغتسل، ينظر: الفيروزآبادي، مجـد الـدين محمد (ت807ه/ 1405م)، القـاموس المحيـط، تحقيق: إبراهيم شـمس الـدين، الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1433ه، 2/ 331

3- المبرد، الكامل، 3/ 1132؛ ابن عبد ربة، العقد الفريد، 1/ 233

المبحث الثاني: الأخبار الغيبية عن الدولة الأموية

أولاً:- سيطرة الأمويين على الخلافة:

كثيرة هي الأخبار الغيبيـة التي جاءت في نهـج البلاغـة عن الدولة الأموية؛ إذ فاقت غيرها من الأخبار الغيبية التي أخبر عنها أمير المنؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السـلام)، ومن الجـدير ذكره هنا أنه عليه السـلام كان في بعض خطبه يـذكرهم بالاسم أي كان يقول بني أمية وكان يصـفهم بالفتنة العمياء المظلمة؛ لعل السبب في ذلك يعود لحجم الخطر الذي يمثله الأمويون على الأمة الإسلامية؛ إذ إنهم أحيوا أعراف الجاهلية تاركين تعاليم الدين الإسلامي الحنيف وما جاء بها خاتم الرسل والأنبياء محمد بن عبد الله.

ومن خطبة للإمام علي (عليه السلام) يذكر فيها سيطرة الأمويين على الخلافة بعده فيقول:

ص: 138

«فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ اَلسّاعَةِ ولاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِلَّ مِائَةً إِلاّ أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وقَائِدِهَا وسَائِقِهَا و مُنَاخِ رِكَابِهَا و مَحَطَّ رِحَالِهَا و مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلاً، ويَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ اَلْأُمُور وَحَوَزِبُ اَلْخُطُوبِ لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ اَلسّائِلِين وفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ اَلْمَسْؤولِينَ وَذَلِكَ إِذا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ وشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ وضَاقَتِ اَلدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ اَلْبَلاَءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يفْتَحَ اَلله لِبَقِيَّةِ اَلْأَبْرَارِ مِنْكُم.... أَلاَ وإِنَّ أَخْوَفَ اَلْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُم فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فتْنَةٌ عَمْياءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا وَخَصَّتْ بليَّتُهَا وَأَصَابَ اَلْبَلاَءُ مَنْ اَبْصَرَ فِيهَا وأَخْطَأَ اَلْبَلاَءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا، واَيْمُ اَللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُم أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ اَلضَّرُوسِ تَعْذِمُ(1) بِفِيهَا وتَخْبِطُ بِيَدِهَا وتَزْبِنُ(2) بِرِجْلِهَا وتَمْنَعُ دَرَّهَا لاَ يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لاَ يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلاَّ نَافِعاً لَهُم أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ، ولاَ يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ انْتِصَارُ أَحدِكُمْ مِنْهُمْ إِلاَّ كَانْتِصَارِ اَلْعَبْدِ مِنْ ربِّهِ واَلصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِه تَرِدُ وعَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وقِطَعاً جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى ولاَ عَلَمٌ يُرَى...»(3) .

1- تعذم: تأكل بخفاء وتعض. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 12/ 394

2- تزبن: تضرب، ينظر: ابن الانباري، ابو بكر محمد بن القاسم (ت328ه/ 945م)، الزاهد في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1412ه، 2/ 257

3- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2 / 182؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1 / 159 - 160؛ أبو نعيم الاصبهاني، احمد بن عبد الله (ت430ه/ 1038م)، حلية الاولياء وطبقات الاصفياء، ط4، دار الكتاب العربي، لبنان، 1405ه، 1/ 68

قال الإمام علي (عليه السلام) خطبته هذه بعد انقضاء حرب النهروان(1) ، ويبدأ الإمام خطبته هذه بعبارة «فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَنفْقِدُونِي» و هي ما لم يجرؤ على قولها أحد غيره ثم يقسم (سلام الله عليه) فيقول: «فَو الَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لاَ تَسأَلُونِي عَنْ شَيْ ءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ اَلسَّاعَة» وهذا كلام فيه أدل واضحة على أن الإمام علياً (عليه السلام) له ارتباط بمصادر الوحي وقد استند إلى المدد الإلهي، والعلم المطلق من خلال رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، والعجيب في الأمر هنا أن أبا الحسن (عليه السلام) أكد في عبارته هذه انه يستطيع أن يخبر بكل الحوادث القادمة إلى يوم القيامة من جانب، ومن جانب آخر أشار إلى جزيئات هذه الحوادث وتفاصيلها، الأمر الذي لا يتيسر إلا للنبي (صلى الله عليه واله وسلم) ومن يستقي علومه ومعارفه منه(2) .

أما العبارة: «وَ لاَ عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِل مِائَةً» فقيها أدلة واضحة بأن لا يخبر عن الجماعات الكثيرة والوقائع الخطيرة فحسب، بل يستطيع الاخبار عن صغائر الحوادث وكبارها على حد سواء، وببركة ذلك التعليم الإلهي الذي علمه له الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)(3) .

ثم يشير الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته إلى مسألة مهمة

1- سليم بن قيس، كتاب سليم بن قيس، 97؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 182؛ أبو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء، 1/ 68

2- التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، 2/ 225

3- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2/ 55

وهي: «وَ لَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأمور..»، وهنا يذكر (صلوات الله عليه) لهم اسألوني ما دمت بينكم فليس لأحد بعدي أن يرد على ما يدور في أذهانكم وحينها سوف تندمون، ومن الواضح أن هذا الكلام تشجيعهم للسؤال، ثم يحذرهم الإمام (عليه السلام) من الأزمات المرتقبة؛ ليستعدوا لها(1) ، وأما قوله: «وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ وشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ...» فهنا الإشارة إلى سيطرة بني أمية على مقدرات الأمة الإسلامية وتفردها بالسلطة من غير مسوغ قانوني أو شرعي، ويصف حالة الناس بقوله: «وَضَاقَتِ اَلدُّنْيا عَلَيْكُمْ ضِيقاً» و هي عبارة غاية في البلاغة، التي تصور من خلالها ما سيفعله الأمويون بالناس(2) .

أما قوله: «حَتَّى يَفْتَحَ اَللهُ لِبَقِيَّةِ اَلْأَبْرَارِ مِنْكُمْ...» فكلام الإمام (عليه السلام) يحتمل معنيين:

1- يمكن أن يكون هو تنبؤ الإمام (عليه السلام) بزوال الدولة الأموية ليتنفس المسلمون الصعداء مع مجيء العباسيين الذين لم يشتد عودهم بعد(3) .

2- قد يكون إشارة إلى قيام الإمام المهدي (عج) الذي يقضي على الظلم والجور، ويرسي قواعد العدل والقسط(4) .

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال مهم وهو لماذا حذر الإمام علي (عليه السلام)

1- التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، 5/ 189

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 139

3- المصدر نفسه، 4/ 139

4- التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، 5/ 190

من فتنة بني أمية؟ وجواب هذا السؤال أن الإمام (عليه السلام) كان يدرك مدى خطورة حكومة بني أمية؛ إذ كانت من أعظم الفتن التي عصفت بالمسلمين منذ انبثاق الدعوة الإسلامية، حيث تميز حكمهم بالاستبداد، والغطرسة، والتسلط، ونصرة الظالم على المظلوم(1) ، فأبو سفيان لم يدخر جهداً في محاربة الدين الإسلامي عامة ورسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) خصوصاً، حيث بذل قصارى جهده من اجل القضاء على الإسلام؛ إذ أن أغلب الحروب ضد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) كانت من تدبيره، وفي ذلك رُوي أنه حينما ولي الخلافة عثمان بن ابي عفان، اجتمع بنو أمية في داره فأغلقوا الباب، وكان حينها أبو سفيان قد كف بصره فالتفت إليهم، وسألهم: هل فيكم غيركم؟ قالوا:لا، فقال عبارته الشهيرة: (يا بني أمية تلقفوها تلقف الكرة فو الذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنة ولا نار ولا بعث ولا قيامة)(2) ، وهي ذات العبارة التي كررها معاوية ثم أعادها يزيد على رأس الإمام الحسين (سلام الله عليه).

إذن فالمعادلة واضحة و هي:

1- أن رسول الله محمد (صلى الله عليه واله وسلم) عدوه اللدود أبو سفيان.

2- ووصي رسول الله الإمام علي (عليه السلام) عدوه معاوية بن أبي سفيان.

1- المصدر نفسه، 5/ 191

2- المسعودي، مروج الذهب، 1/ 310

3- وسبط الرسول الحسين (عليه السلام) عدوه يزيد بن معاويه.

إذن فالعداء بين البيت الهاشمي والأموي عداء سرمدي عداء الإيمان والكفر، وعداء الخير والشر عداء الحق والباطل.

وبالعودة إلى خطبة الإمام (عليه السلام) نجد في قسمها الثاني إشارة واضحة إلى الفتن، خاصة فتنة بني أمية والتي يذكرها بالاسم ويحذر الناس من خطورتها(1) فيقول:

«أَلاَ وَإِنَّ أَخْوَفَ اَلْفِتَنِ عِنْدي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْياءُ..» وقد شبهها الإمام (عليه السلام) بالعمياء؛ لأنها لا تبقى أمامها قيم ومفاهيم ومثل، بحيث تتجاوز الأشخاص من غير الالتفات إلى سوابقهم ومواقفهم، وفعلاً صدق الإمام علي (عليه السلام)، فقد كانوا كذلك حيث أعيدت أعراف الجاهلية في عهدهم، وتمكن رجالهم من التسلط على رقاب المسلمين واشغال مواقع مهمة في الدولة، ومارسوا أبشع أنواع البطش والتعذيب بحق أولئك الذين عارضوا هذه الدولة(2) .

ثم يتكلم (عليه السلام) على فتنة بني أمية فيصف حكومتها بالعامة والشاملة التي يخضع لها الجميع وتكون عادلة من حيث توزيع ظلمها على بالناس بالتساوي، ثم يتطرق لتلك الفتنة، فيكشف حقيقة مهمة هي أن الذي كان بصيرً في تلك الفتنة ووقف بوجهها، شمله ذلك البلاء، بينما يسلم من كان

1- التستري، بهج الصباغة، و 2/ 252

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 142

أعمى، بحيث ستشمل آثار هذه الفتنة، القوم كافة(1) .

ثم أشار الإمام إلى أمر مهم هو«عَمَّتْ خُطَّتُها» لتأكيد وجود الفتنة التي سوف تطال المؤمنين الأشداء، بينما يكون الجهال من عديمي الشعور بالمسؤولية في أمان من بلائها(2) ، وهي أيضاً إشارة إلى شمولية أمرها واختصاص بلائها بأهل البيت (عليهم السلام)؛ لأنها اغتصاب لحقهم(3) ، ثم يتكلم الإمام علي (عليه السلام) على فتنة بني أمية تلك بالتخصيص فيقول:

«وَايْمُ اَللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي...» وفي كلام الإمام (عليه السلام) هذا بلاغة وتشبيه غاية في الروعة، فبعد أن يقسم بالله يخبرهم أن بني أمية سيكونون أربابكم بعدي، ثم يذكر الإمام (عليه السلام) حالهم بتشبيههم بالناقة التي يستفيد صاحبها من لبنها، وركوبها، ليصل إلى المكان الذي يريد(4) ، و أن الإنسان ينتظر من الحكومة أن تساعده وتحل مشاكله وان تكون سنده في الحياة، بعكس حكام بني أمية الذين كان ديدنهم الحفاظ على السلطة، وتحقيق المنافع الشخصية على حساب مصالح الناس، لذا كانت نبوءة الإمام (عليه السلام) صحيحة لا تقبل الشك؛ لذلك يذكر الشيرازي إذ كان يرى من خلال بصيرته الثاقبة كل تلك الأحداث وعظم البلاء

1- المحمودي، نهج السعادة، 2/ 316

2- التستري، بهج الصباغة، 3/ 253

3- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 2/ 85

4- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/ 253

الذي جنته هذه الفئة على المسلمين(1) .

ثم يشير الإمام (عليه السلام) إلى أنه في خضم هذه الفتنة لا يسع الناس إلا أن يشكوا ذلك الظلم إلى أنفسهم؛ لأنه لا يوجد من يسمع شكواهم، فيتجهوا للشكوى من هذا الظلم لأنفسهم، ثم يقول:

«وَلاَ يَزَالُ بَلاَؤُهُمْ حَتَّى لاَ يَكُونَ اِنْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ...» وفي هذا الكلام إشارة إلى تلك السلطة الجائرة التي تقطع ألسن دعاة الحق كافة؛ إذ تقوم بمحاصرة العلماء وتعز الذليل وتذل العزيز، ثم يقول الإمام بإعطاء أدق التفاصيل والجزئيات لتلك الفتنة، فيقول:

«تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً...» ومن خلال هذا الكلام يكون الإمام (عليه السلام) قد رسم بهذه الخصائص ملامح الصورة القاتمة لظروف حكومة بني أمية وأوضاعها وكأنه كان قد عاش تلك المدة المظلمة التي جاوزت التسعين عاماً (40- 132ه) ورآها بأم عينيه(2) ، وقد روّي أن بني أمية كانت تعامل طائفة من الناس كعبيد، كذلك ذكر أنهم كانوا يأخذون الجزية ممن أسلم من أهل الذمة، ويقولون فروا من الجزية، ويأخذون الصدقة من الخيل، وكانوا يختمون في أعناق المسلمين مثلما توسم الخيل(3) .

1- نفحات الولاية، 4/ 143

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/ 253

3- المصدر نفسه، 4/ 254

وفي خطبة ثانية للإمام علي (عليه السلام) وقد تطرق فيها لتسلط الأمويين على الحكم، ذكرها (عليه السلام) بعد تمرد جيشه على أوامره حينما طلب منه الاستعداد لمواجه أهل الشام بعد فراغه من النهروان(1)، وجاء فيها:

«وَلَئِنْ أَمْهَلَ اَلظَّالِمَ فَلَنْ يفُوتَ أَخْذُهُ وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلى مَجَازِ طَرِيقِهِ وَبِمَوْضِعِ اَلشَّجَا(2) مِنْ مَسَاغِ(3)، رِيقِهِ أَمَا وَاَلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمُ عَلَيْكُمْ لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ، وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صاحِبِهِمْ وإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ اَلْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي...»(4).

أشار الإمام علي (عليه السلام) في خطبته هذه إلى حقيقة مهمة وهي أن إمهال الظالم لمدة من الزمن لا يعني خلاصه من عذاب الله؛ لأنه له بالمرصاد، محذراً من تسرب الشك إلى قلوب أتباعه بسبب إمهال الله لهؤلاء الظالمين، والمقصود بهم معاوية، وأهل الشام، ثم ينتقل الإمام في حديثه إلى حقيقة مهمة، وهي التنبؤ بمصير هؤلاء القوم إزاء عدوهم الطامع، قائلاً:

1- الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 68؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 822

2- الشجا: ما يعترض في فم الإنسان من العظام وما شابه ذلك، ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص807

3- مساغ: هو الشيء الذي يسهل شربه، ينظر: ابن سيدة، علي بن إسماعيل (ت458ه- 1066م)، المحكم والمحيط الأعظم، مطبعة إحياء التراث العربي، لبنان، 1394ه، 1/ 411

4- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 164؛ الجاحظ، البيان والتبيين، 2/ 68؛ ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، 156- 157؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 822

«أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلاَءِ اَلْقَوْمُ عَلَيْكُمْ...» وهذه نبوءة تحققت؛ فقد تسلط أهل الشام على مقاليد الدولة الإسلامية، وقد أشار الإمام (عليه السلام) إلى ذلك من خلال بيان أن هذا سيكون مصير أتباعه آخر الأمر، ولا يكون ذلك لأن أهل الشام على حق، بل هم على باطل وعلى الرغم من ذلك فهم عاقدون العزم عليه ومطيعون طاعة عمياء لسيدهم معاوية، أما أتباع الإمام (عليه السلام) فعلى الرغم من كونهم على حق إلا أنهم كانوا ضعفاء خانعين لا يطيعون قائدهم(1).

ثم أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى مسألة مهمة وهي:

«وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ اَلْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا وأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي».

لعل الذي ينظر إلى هذا الكلام يجد أن حكم الإمام علي (عليه السلام) ومدة خلافته كانت قمة الديمقراطية، وقد كان ذلك قبل ما يقارب من ألف وأربعمائة سنة، بينما نجد المنظمات الدولية بمختلف مسمياتها وجنسياتها تطالب في هذا العصر بتطبيق تلك المبادئ التي طبقها علي بن أبي طالب (عليه السلام) منذ ذلك الوقت، والإمام (عليه السلام) يشير من خلال كلامه إلى الظلم والجور الذي تلاقيه الأمم والشعوب من حكوماتها المستبدة، بحيث أصبح هذا الأمر طبعياً، وهنا يوضح الإمام أن هذه المسال مقلوب لديه لأنه كان يعيش حالة من القلق والاضطراب، من كثرة غدر أتباعه ومكائدهم، ثم ينبه أتباعه على أنهم سوف يكونون صيدً سهلاً للطغاة والظالمين ما لم يغيروا

1- المحمودي، نهج السعادة، 2/ 448

حالهم وفعلاً فقد حدث ذلك وتسلط عليهم الأمويون وأذاقوهم أنواع العذاب والظلم(1) .

وفي خطبة أخرى للإمام علي (عليه السلام) وفيها يتحدث أيضاً عن حكم الأمويين وفيها يقول:

«لاَ يزالُونَ حَتَّى لاَ يَدَعُوا للهِ مُحَرّماً إِلاَّ اِسْتَحلُّوهُ وَلاَ عَقْداً إِلاَّ حَلُّوهُ وَحَتَّى لاَ يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ(2) وَلاَ وَبَرٍ(3) إِلاَّ دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ وَنَبَا بِهِ سُوءُ رِعْيِهِمْ»(4) .

وهذه خطبة أخرى وقد حملت الخبر الغيبي نفسه عن مجيء الأمويين للحكم وتسلطهم على رقاب الناس وظلمهم لهم؛ وهذا ما قاله الإمام عنهم:

«لأَنَّهُمْ لاَ يتركون مُحَرّماً إِلاَّ اِرتكبوه» ثم يدخل ظلمهم هذا إلى بيوت المسلمين جميعها على اختلاف أشكالها، وألوانها، وأماكنها، وكلام الإمام هذا يعكس شمولية الظلم الذي مارسه الأمويون، وفعلاً كشفت الأيام صدق كلام الامام علي (عليه السلام) بشأن تلك الدولة السيئة التي لم تدخر جهداً في سبيل ترسيخ دعائم سلطتها مستعملة بذلك سياسة البطش، والعنف، وسفك الدماء وملئ السجون بالمؤمنين

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 187

2- مدر: وهي البيوت المبنية من الطوب والحجر وما سواهما، ينظر: الفراهيدي، العين، 2/ 119

3- وبرٍ: وهو صوف الناقة والمراد به هنا بيت الوبر أي الخيام، ينظر: ابن الأثير الجزري، غريب الحديث، 5/ 311

4- ابن قتيبة، الإمام والسياسة، 158؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 166؛ المفيد، الإرشاد، 157

الأبرياء(1) .

وفي خطبة أخرى للإمام علي (عليه السلام) وهو يتكلم فيها عن أتباعه، ويحذرهم من أخطار المستقبل المحدقة بهم إذا بقوا على حالهم ولاسيما تحذيره لهم من الأمويين وما سيفعلوه بهم وفيها يقول الإمام:

«مَا لِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحاً بِلاَ أَرْوَاحٍ وأَرْوَاحاً بِلاَ أَشْبَاحٍ ونُسَّاكاً بِلاَ صَلاَحٍ وتُجَّاراً بِلاَ أَرْبَاحٍ وَأَيْقَاظاً نُوَّماً وَشُهُوداً غُيَّباً وناظِرَةً عَمْيَاءَ وَسَامِعَةً صَمَّاءَ ن وَنَاطِقَةً بِكْمَاء رأَيْتُ ضلاَلَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا وَتَفَرَّقَتْ بِشَعَبِهَا تَكلِيلُكُمْ بِصَاعِهَا(2) وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا(3) قَائِدُهَا خَارِجٌ مِن اَلْمِلّة قَائِمٌ عَلَى اَلضَّلَّة فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ(4) كَثُفَالَة اَلْقِدْرِ أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضة اَلْعكْمِ(5) تعْرُكُكُمْ عَرْكَ اَلْأَدِيمِ(6) وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ اَلْحَصِيدِ وَتَسْتَخِصُ اَلْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمُ اِسْتِخْلاَصَ اَلطَّيْرِ اَلْحَبَّةَ اَلْبَطِينَةَ مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ اَلْحَبِّ...»(7) .

1- الأميني، الغدير، 4/ 289

2- بصاعها: أي تعمل بكم أي شيء تشاء وتقال أيضاً عن سوق الإبل ومعنى الصاع الرجل، ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 1/ 334

3- بباعها: الباع هو قدر مد اليدين، ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت393ه ت/ 1003م)، الصحاح في اللغة، تحقيق: أحمد عبد الغفور العطار، ط4، دار العلم للملايين، 1406ه، ج، 58

4- ثُفالة: هي الشيء الذي يستقر أسفل القدر، ينظر: الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل، (ت385ه- 995م)، المحيط في اللغة، مطبعة وزارة الثقافة والفنون، العراق، د. ت، 2/ 412

5- العكم: المكان الذي تضع فيه المرأة حاجياتها، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 12/ 15

6- الأديم: الجلد المدبوغ، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 1/ 202

7- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 180- 181؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 553- 554

يخاطب أمير المؤمنين (عليه السلام) أتباعه في هذه الخطبة، ويحذرهم من المستقبل القريب، ومن حجم الأهوال القادمة إليهم، إذا لم يعيروا حالهم هذا ويبين لهم راية الظلال القادمة إليهم وهي بنو أمية وتسلطهم عليهم في قادم الأيام، وتحذير الإمام لأتباعه جاء؛ لكي يتأهب الناس لهذه الفتنة ومحاولة للتقليل من أضرارها الجسيمة وخسائرها الفادحة، كذلك وضح الإمام لهم أن راية الظلال ستكون ثابتة وراسخة بأيدي أرباب السوء من بني أمية ولا يمكن الإطاحة بها بسهولة على الرغم من تفرق فروع هذه الراية(1) ، ثم يبين أمير المؤمنين (عليه السلام) سيطرة هذه الطغمة على مقدرات الأمة وتفردها بتوزيع العطاء على وفق أهوائها الشخصية، وبعدها يقول الإمام (عليه السلام):

«قَائِدُها خَارِجٌ مِن اَلْمِلَّةِ قَائِمٌ عَلَى اَلضَّلَالَةِ» وهذه العبارة تشير إلى كلّ حكام بني أمية ونهجهم طريق الضلال ليكون أساساً لعملهم، وطريق حكمهم للبلاد الإسلامية، وخروجهم عن طريق الحق وشرع الله(2) ، ثم يخاطب الإمام علي (عليه السلام) أتباعه بقوله:

«فَلاَ يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلاَّ ثُفَالَةٌ...» وهذا الخطاب معناه أن الحكام الأمويين هؤلاء لن ينجو من بطشهم وظلمهم إلا القلة القليلة من المؤمنين بحيث يتفوقوا عليكم مثلما تلتقط الطيور

1- الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1422ه، 1/ 265-266

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 340

الحبوب القوية من الضعيفة(1) .

ثانياً:- معاوية بن أبي سفيان:

تطرق الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية في نهج البلاغة؛ إذ ذكر صفاته وما سيفعله بعده وكيف سيغلب على الحكم ويتسلط على رقاب الناس من غير ذكر اسمه الصريح، وقد اتفق أغلب شُراح نهج البلاغة ان هذا الرجل الذي ذكره الإمام بصفاته هو معاوية بن أبي سفيان(2) ، وقد جاء في خطبة الإمام علي (عليه السلام):

«أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ(3) عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ اَلْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ اَلْبَطْنِ(4) يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَا لاَ يَجِدُ فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ أَلاَ وإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُم بِسَبِّي وَاَلْبَرَاءةِ مِنِّي فَأَمَّا اَلسَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ وَأَمَّا اَلْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّءُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى اَلْفِطْرَةِ وسَبَقْتُ إِلَى اَلْإِيمَانِ واَلْهِجْرَةِ»(5) .

والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: من هو هذا الرجل، الذي تنبأ الإمام

1- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1/ 72

2- البيهقي، معارج نهج البلاغة،1/ 179، الراوندي، منهاج البراعة، 1/ 105، ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 175، ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 1/ 99، محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1/ 3- 8، محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 1/ 208

3- سيظهر: سيغلب، وسيكشف، الصاغاني، العباب الزاخر، 2/ 5

4- مندحق البطن: عظيم البطن بالرزة كأنه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين عنه، ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة،3/ 445، الزبيدي، تاج العروس، 2/ 630

5- البلاذري، أنساب الأشراف، 2/ 119؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 96- 97؛ الحاكم النيسابوري، المستدرك، 2/ 385

بظهوره؟ ولم يقل بوجوده وخروجه، مما يعني أنه موجود وسوف يظهر أي سيغلب على الحكم بعدي(1) .

وقد ذهب ابن أبي الحديد إلى القول أن هذا الرجل الذي ذكره الإمام هو معاوية بن ابي سفيان وليس مثلما زعم بعض الناس أنه زياد بن أبيه أو الحجاج والأرجح أنه معاوية؛ لأنه كان موصوفاً بالنهم، وكثرة الأكل، وكان بطيناً يقعد بطنه إذا جلس على فخذيه(2) .

وفي رواية نقلها الجاحظ أن أبا ذر قال لمعاوية: سمعت رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) قال:

«إذا ولي الأمة الأعين الواسع البعلوم الذي يأكل ولا يشبع فلتأخذ الأمة حذرها منه»(3) . وفي قول آخر للرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بحق معاوية أنه قال:

«إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه، أو فأضربوا عنقه»(4) .

وكلمات رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وتشابهها من حيث المعنى مع خطبة الإمام علي (عليه السلام) فيه أشهر الدلائل على أن الرجل المشار

1- الخوئي، منهاج البلاغة، 1/ 341

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 176

3- المصدر نفسه، 177

4- نصر بن مزاحم، بن سيار المنقري (ت212ه- 827م)، وقعة صفين، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة المدني، مصر، 1382ه، 216؛ المحب الطبري، المسترشد، 456؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب، التهذيب، 5/ 110

إليه في هـذه الخطبـة معاوية من غير سواه، كذلك تتجلى حقيقة تاريخية غاية في الأهمية أن معاوية هو أول من أمر بسب الإمام علي بن أبي طالب (عليه السـلام)، إذ أمر الناس بالعراق والشام وغيرهما بسب الإمام والبراءة منه، وخطب بذلك على منابر المسـلمين وصار ذلك سُـنة أيام الأمويين، وقـد اسـتمرت تلك السـنة السـيئة التي أوجدها معاوية حتى سـنة99ه حينمـا تـولى الخلافـة عمر بن العزيز وأمر بمنع تلك السنة(1) .

وبالعودة لشرح خطب الإمام (عليه السلام) فقد بدأ كلامه بالقول:

«أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ اَلْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ اَلْبَطْنِ» فهذا الكلام معناه أنه معاوية سيغلب عليكم أي سوف يستولي على مقاليد السـلطة وقد وصـفه الإمام برحب البلعوم أي بلعومه واسع ويأكل ولا يشـبع، وفعلاً كان كذل فهعاك روايا تشـير إلى كيرة أكله وعدم شـبعه بسـبب دعوى رسول الله (صـلى الله عليه واله وسـلم) عليه، إذ روي أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) أرسل عليه ثلاث مرا وهو يأكل فقال في الثالثة:

«لا أشبع الله بطنه أبداً»(2) .

وقـد ورد في الأخبار أن معاوية لم يشـبع بعدها أبداً فكلما كان يؤتى له بالطعام فيأكل ولا يشـبع وقال فيها قولته الشـهيرة: (والله ما شـبعت ولكن كلت

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 177

2- المزي، جمـال الـدين يوسـف بن عبـد الرحمن، (ت742 ه- 1341م)، تهـذيب الكمال في أسـماء الرجال، ط4، تحقيق: بشـار عواد محسن، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1406ه، 1/ 338

أسناني)(1) ، ومن كلمات رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) عن معاوية فهناك حديث رواه أنس بن ملك، أن رسول الله قال:

«سيظهر على الناس رجل من أمتي عظيم السيرة واسع البعلوم يأكل ولا يشبع، يحمل وزر الثقلين يطلب امارة يوماً، فإذا أدركتموه فابقروا بطنه»(2) .

وفي حديث آخر قال الرسول (صلى الله عليه واله وسلم):

«إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه»(3) .

ومن هنا يتضح أن كلام رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) متوافق بشكل مطلق مع كلام الإمام علي (عليه السلام) في ظهور الرجل واسع البلعوم وهو معاوية بن أبي سفيان(4) .

ومن الصفات الأخرى التي أطلقها الإمام علي (عليه السلام) على معاوية هي (مندحق البطن) أي بطنه واسع كانت تطرح إلى الخارج لكبر حجمها، ثم يخاطب الإمام أتباعه بقوله لهم: (اقتلوه ولن تقتلوه) وكلام الإمام هذا قطعاً موجه إلى أهل العراق، وكان على علم أنهم مع ما عرف عنهم من ضعف وخنوع وخضوع غير قادرين على قتل معاوية بل إنهم غير قادرين على مجرد

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 8/ 187؛ ابو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 1/ 183

2- الخوارزمي، مقتل الحسين، 1/ 184؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 179

3- ابن حبان البستي، محمد بن احمد بن معاذ، (ت354ه- 965م)، المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم، دار الصميعي، السعودية، 1/ 175؛ ابن عدي، الكامل في ضعفاء الرجال، 2/ 146

4- مجمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2/ 307

التفكير بذلك، أما السبب الذي دعا الإمام (عليه السلام) الى إطلاقه الحكم بهدر دم معاوية، فهو بسبب الفساد الذي أشاعه بين المسلمين وسلبه لأمن البلاد الإسلامية، فضلاً عن إثارته الفتن التي شقت وحدة الصف الإسلامي وسفكت فيها الدماء الكثيرة(1) .

ثم ينتقل الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في خطبته إلى جزء مهم فيها، فيقول:

«أَلاَ و إِنَّهُ سَ يَامُرُكُمْ وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي فَاَمَّا اَلسَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ وَأَمَّا اَلْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّءُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى اَلْفِطْرة وَسَ بَقْتُ إِلَى اَلْإِيمَانِ وَاَلْهِجْرَةِ».

وكلام الإمام هذا يحمل معاني عظيمة: الأول خبر غيبي وهو البدعة التي جاء بها معاوية متجاهلاً قول رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم):

«من سب علياً فقد سبني»(2) .

وقيام معاوية بفعلته تلك يكشف عن حقده وضغينته لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وتجاهله لما يملكه الإمام من العلم وفضائل تناطح عنان السماء، وقد صرح بها رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وسمع بها القاصي والداني، وينقل التاريخ أن أوامر سب الإمام علي (عليه السلام) التي صدرت من معاوية لاتباعه، كانت تجري على المنابر، وفي

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 1/ 177

2- احمد بن حنبل، مسند أحمد، 6/ 323؛ المحب الطبري، الرياض النضرة، 249

خطب صلاة الجمعة حتى قال قائلهم: (وخير ما نختتم به خطبتنا سب أبي تراب)، وقد ظن معاوية بفعلته تلك يستطيع الحط من شأن علي ومكانته، فما زاده ذلك إلا شموخاً ورفعة، وما زاد معاوية إلا انحطاطاً ودنواً، وكأن أميرالمؤمنين (عليه السلام) كالشجرة المثمرة كلما ترمى بالحجارة تساقط ثمراً طيباً.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو، هل تمكن معاوية بفعلته من الحط من شأن الإمام علي (عليه السلام)؟ والجواب على ذلك سهل جداً فمجرد القول أين علي وأين معاوية الآن؟ تتجلى الحقائق بأبهى صورة لتوضح للسائل جواب سؤاله فهذا علي (عليه السلام) شامخاً وقد ركع على أعتابه الذهب والياقوت، وذلك معاوية تسكم الأنوف رائحة قبره وقد اتخذ من المزابل ضريحاً له، وعن ذلك نقل الحموي(1) في ترجمته لمدينة سجستان(2) ، قائلاً: «لعن علي بن أبي طالب (عليه السلام)

1- هو ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين، مؤرخ وجغرافي وعالم باللغة والأدب، أصله من الروم، ولادته سنة574ه، أسر من الروم صغيراً وابتاعه تاجر ببغداد فرباه وعلمه وشغله بالأسفار في تجارته ثم اعتقه سنة574ه، وأكمل حياته في التجارة والأسفار وكتابة الكتب، له العديد من المؤلفات أبرزها، معجم البلدان ومعجم الأدباء وغيرها، توفي في حلب سنة626ه؛ ينظر: ابن كثير البداية والنهاية، 6 / 22؛ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، (ت874 ه- 1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1375ه، 3/ 19

2- سجستان: هي المنطقة التي تشمل اليوم القسم الغربي من أفغانستان وبعض إيران، وكانت ولاية واسعة ومن مدنها (بست) و (زرنج)، ينسب إليها كثير من العلماء؛ الأصطخري، إبراهيم بن محمد الكوفي، (ت346 ه- 957م)، المسالك والممالك، لبنان، د. ت، 82؛ الحميري، الروض المعطار، 286

على منابر الشرق والغرب، ولم يلعن على منبرها إلا مرة واحدة، وقد امتنع أهلها على بني أمية حتى زادوا في عهدهم ألا يعلن علي منبرهم أحد إلا قال: وأي شرف وأعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) على منبرهم وهو يلع على منابر الحرمين مكة والمدينة»(1) .

ومما قيل في تلك السنة السيئة التي جاءت بها بنو أمية: «إن السب واللعن أصبح سنة جارية، ودعمت في أيام الأمويين سبعون ألفاً منبر يلعن فيها أمير المؤمنين واتخذوا ذلك كعقيدة راسخة أو فريضة ثابتة أو سنة متبعة يرغب فيها بكل شوق»(2) .

وبالعودة لخطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) تبرز حقيقة مهمة وهي قوله:

«فَأَمّا اَلسّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ وَأَمّا اَلْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرَّءُوا مِنِّي».

وقد ميز الإمام (سلام الله عليه) هنا بين السب له والبراءة منه في ما اذا عرضا على احد، بسماحه بالأول ونهيه عن الثاني، وقد قال ابن أبي الحديد عن ذلك: إن الإمام الباقر (عليه السلام) قال:

«خطب علي (عليه السلام) على منبر الكوفة فقال: سريعض عليكم سبي، وستذبحون عليه، فان عرض عليكم سبي فسبوني، وإن عرض عليكم البراءة من، فإني على دين محمد (صلى الله عليه واله وسلم)»(3) .

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 5/ 38

2- الأميني، الغدير، 2/ 102

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 3/ 179

ثم ذكر ابن أبي الحديد رواية أخرى عن الإمام الصادق (عليه السلام)، إذ قال:

«قال علي (علي السلام) ليذبحن على سبي- أشار بيده إلى حلقه- ثم قال فإن أمروكم بسبي فسبوني، وإن أمروكم أن تتبرأوا مني فإني على دين محمد (صلى الله عليه والم وسلم) ولم ينههم عن إظهار البراءة».

ومعنى ذلك أن الإمام أمير المؤمنين قد أباح سبه عند الإكراه؛ لأن الله تعالى قد أباح عند الإكراه التلفظ بكلمة الكفر كما في الآية المباركة:

«إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»(1) .

بينما البراءة تعني التبرئة من الدين الإسلامي ومعتقداته بدليل قوله تعالى:

«بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»(2) .

وعليه فمفهوم البراءة من الإمام (عليه السلام) هو البراءة من الإسلام ومن هنا منع أمير المؤمنين البراءة منه حتى ولو كانت باللسان(3) .

وأما قوله (عليه السلام):

«فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ وَأَمّا اَلْبَرَاءَةُ فَلاَ تَتَبَرّءُوا مِنّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى اَلْفِطْرةِ وَسَبَقْتُ إِلَى اَلْإِيمَانِ واَلْهِجْرَةِ».

فمعناه هنا أنه (صلوات الله وسلامه عليه) يقول لهم أنه ولد مسلماً ولم

1- سورة النحل: الآية (106)

2- سورة التوبة: الآية (1)

3- التستري، بهج الصباغة، 1/ 583

يعبد غير الله، وأنا أول من اسلم والسابق إلى الإيمان(1) .

وقد ذكر أن معاوية كان يقول: (اللهم إن أبا تراب ألحد في دينك وصد عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً(2) ، وعذبه عذاباً أليماً)((3))، وقد كتب بذلك إلى الآفاق والأمصار، وقد روي في ذلك: أن قوماً من بني أُمية طلبوا من معاوية الكف عن لعن أبي تراب وسَبَه فأجابهم قائلاً: (لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكراً فضلاً(4) .

والواضح أن عملية السب والشتم هذه لم تقتصر على معاوية بن أبي سفيان، بل امتدت لباقي حكام الدولة الأموية وولاتهم، إذ ذكر أن خالد القسري(5) حينما كان أميراً على العراق، كان يلعن علياً (عليه السلام) على المنبر فيقول:

(اللهم العن علياً بن ابي طالب بن عبد المطلب صهر رسول الله على ابنته وأبا

1- الراوندي، منهاج البراعة، 1/ 85

2- وبيلاً: أي شديد وكثير، ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، 2/ 265

3- الجاحظ، البيان والتبيين، 1/ 266

4- المصدر نفسه

5- هو خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، ابو الهيثم، من بجيلة، ولد سنة66ه وهو يماني الأصل من أهل دمشق، ولي مكة سنة89ه، ثم تولى العراق في زمن هشام بن عبد الملك سنة105ه، حيث استقر بالكوفة، عرف عنه بقسوته الشديدة وظلمه وقمعه الشديد لمعارضيه، عزله هشام سنة120ه، أما وفاته فكانت سنة126ه، ينظر: ابن ابي حاتم الرازي، عبد الرحمن محمد بن إدريس، (ت327ه- 938م)، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، الهند، 1371ه، 357؛ السمعاني، الانساب، 3/ 207؛ ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 3/ 88

الحسن والحسين، ثم يقبل على الناس فيقول هل كنيت؟)(1) .

وعن ذلك قال الشاعر(2) :

أعلى المنـابر تعلنون بسـبه وبسـيفه نصـبت لكم أعوادهـا وغير ذلك هنال العديـد من الروايات التي تشـير إلى سب الإمام علي وآل البيت (عليهم السـلام) من قبل رجالات الدولـة الأموية التي أوجزنا بنقلها لكثرتها، و غالباً ما اتخذت كلمة أبي تراب ذريعة للسب ظناً منهم أنها كلمة سية متناسين أن رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) هو من كناه بها(3) ، وقد تمثل قولهم ذلك بهذه الأبيات(4) :

وأراك أكبر من حديث خلافة يسـتامها مروان أو هارون لك بالنفوس إمامة فيهون لو عصفت بك الشورى أو التعيين فدع المعاول تزبئر قساوةً وضـراوةً أن البنـاء متين أبـا تراب وللتراب تفـاخر إن كـان من أمشاجه لك طين والناس من هـذا التراب كلهم في أصـله حمأ به مسـنون فإذا استطال بك التراب فعازم فلأنت من هذا التراب جبين ولئن رجعت إلى الترا فلم فالجذر ليس يموت وهو دفين

1- المبرد، الكامل، 187

2- الأميني، عبد الحسين، شعراء الغدير في القرن التاسع، المطبعة الحيدري، العراق، 1389ه، 4/ 6

3- الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 205

4- أحمد الوائلي، ديوان الوائلي، تحقيق: سمير شبح الأرض، دار سلوني، لبنان، 1428ه، 82

ثالثاً:- مروان بن الحكم:

بعـد أن ألقي القبض على مروان بن الحكم في معركـة الجمل وقد استشـفع بالإمامين الحسن والحسـين (عليهما السـلام) عند الامام علي (عليه السـلام) لأخلاء سبيله، وأخلى الإمام (عليه السلام) سبيله، لذلك وحينها قالا لأبيهما: ألا يبايعك يا أمير المؤمنين؟ فقال الإمام علي (عليه السلام):

«أَوَ لَمْ يُبَايِعْنحي بَعْدَ قَتْلِ عُثْمَانَ لاَ حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ يَهُودِيَّةٌ لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَتِّ بَيْتِهِ أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً(1) كَلَعْقَةِ اَلْكَلْبِ أَنْفَهُ وَهُوَ أَبُو اَلْأَكْبُشِ اَلْأَرْبَعَةِ وَسَتَلْقَى اَلْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ»(2) .

لقـد أشار الإمام علي (عليه السـلام) في خطبته هـذه إلى غدر مروان وبنيه ويشـبه خيانته بخيانة اليهود الذين وقفوا بوجه الدعوة الإسـلامية، كذلك أخبر الإمام عن تولي مروان للحكم وأبنائه وما ستلاقيه الأمة الإسلامية من ذلك الحكم من ظلم وويلات(3) .

ومما يتضـح من كلام الإمام (عليه السـلام) أنه ابرز ما يمتلكه مروان بن الحكم من طباع وميول غلب عليها طابع الغـدر، والمكر، وخبث السـريرة، فقد بايع الإمام علي (عليه السـلام) بعد قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ولكنه سرعان ما نكث بيعته، وأن مروان لم يتمتع بأي نزعة أو خصلة كريمة، فقد

1- إمرة: الحكوم والإمارة، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 4/ 26

2- البلاذري، أنساب الأشراف، 2/ 361؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 112؛ ابن الجوزي، تذكرة الخواص، 78

3- الراوندي، منهاج البراعة، 6/ 91

عرف عنه انغماسه في الباطل والمنكرات، وقد لعنه رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) وهو في صلب أبيه، فقد روّي أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) لعن أبا مروان ومروان في صلبه(1)، وجيء به بعد ولادته إلى النبي (صلى الله عليه واله وسلم) فقال:

«هو الوزغ بن الوزغ الملعون ابن الملعون»(2).

وفي حديث آخر لرسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنه قال للحكم(3):

«ويل لأ متي مما في صلب هذا»(4).

والحقيقة التي تتضح هنا من كلمات رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) أنه استشف من وراء الغيب ما سوف تعانيه الأمة الإسلامية من الأحداث الجسام والأهوال من مروان وأبنائه(5).

1- القرطبي، تفسير القرطبي، 16/ 197

2- الحاكم النيسابوري، المستدرك، 4/ 497؛ الدميري، محمد بن موسى بن عيسى، (ت808ه- 1405م)، حياة الحيوان الكبرى، مطبعة السعادة، مصر، د. ت، 1/ 61

3- هو الحكم بن ابي العاص بن أمية بن عبد شمس، القرشي الأموي، ولد ونشأ في مكة ثم انتقل إلى المدينة وادعى دخوله الإسلام بعد فتح مكة، عرف عنه إفشاء سر رسول الله" فطرده الرسول إلى الطائف وعرف ب (طريد رسول الله) وأمر بعدم إدخاله للمدينة، وقد أعاده الخليفة عثمان بن عفان، اب أخيه إلى المدينة في مدة خلافته، كف بصره في آخر أيامه ومات في المدينة سنة32ه، وينظر: ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة؛ 2/ 28؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، (ت764ه- 1363م)، نكت الهميان في نكت العميان، مطبعة البراق، لبنان، د. ت، 146

4- ابن الأثير، الكامل، 2/ 34

5- الخوئي، منهاج البراعة، 1/ 220

ومن خلال إلقاء نظرة على خطبة الإمام علي (عليه السلام) في وصفه يد مروان (بالكف اليهودية) وهذا كلام فيه إشارة واضحة إلى خيانة مروان وغدره الذي ورثه في الواقع من أبيه الحكم، عم عثمان بن عفان الذي كان يتجسس على رسول الله (صلى الله عليه واله وسلم) لصالح الكفار والمشركين، إلى جانب سخريته واستهزائه بالنبي (صلى الله عليه واله وسلم) وقد نفاه بعدها الرسول إلى الطائف، وقد عفا عنه الخليفة عثمان بن عفان حينما تولى الخلافة(1) .

ولعل الشيء الذي يلفت الانتباه إليه في هذه الخطبة أنَّها حملت ثلاثة أخبار غيبية هي:

1- قول الإمام (عليه السلام): «إن لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ اَلْكَلْبِ أَنْفَهُ»:

وهنا أشار الإمام (عليه السلام) إلى تولي مروان بن الحكم للحكم لمدة قصيرة شبهها الإمام بلعقة الكلب، وقد ذُكر أن خلافة مروان بن الحكم كانت ستة أشهر(2) ، وفي رواية اخرى أنها كانت تسع أشهر(3) .

2- قول الإمام: «أَبُو اَلْأَكْبُشِ اَلْأَرْبَعَةِ»

1- ابن المطهر، البدء والتاريخ، 317؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، 1/ 25 9؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، 1/ 35

2- ابن الجوزي، المنتظم، 2/ 215؛ ؛ ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، 3/ 134

3- الدينوري، ابو حنيفة احمد بن داود، (ت281ه- 894م)، الأخبار الطوال، المكتبة العربية، العراق، 1385ه، 285؛ اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 180

والكبش في اللغة هو الحيوان الهائج وقد اختلف شـراح نهج البلاغة في تفسير هؤلاء الأكبش، فقد ذهب قسم إلى القول بأن هؤلاء الاكبش هم أبناء مروان بن الحكم الأربعـة عبد الملك، وعبد العزيز(1) ، وبشر(2) ، ومحمد(3) ، إذ تولى عبـد الملك الخلافة وولي في الجزيرة، وولي عبد العزيز مصر وولي بشر العراق(4) ، وقد لقي المسلمون منهم يوماً احمر، ولعل هذه إشارة إلى لون الدم الكثير الذي سفكوه(5) .

بينما ذهب قسم آخر إلى القول أن هؤلاء الأكبش هم أحفاد مروان بن

1- هو عبد العزيز بن مروان بن الحكم، ولد في المدينة وتاريخ الولادة غير معلوم، جعله أبوه والياً على مصـر سنة65ه حينما تسلم الخلافة، توفي في حلوان في مصر ودفن بالفسطاط سنة85ه،ينظر: الكندي، أبو عمرو محمد بن يوسف، (ت35ه- 966م)، تسمية ولاة مصر، مطبعة القاهرة، مصر، بلا. ت،49؛ المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران، (ت384ه- 994م)، الموشح، مطبعة الأعراف، تونس، بلا. ت، 143

2- هو بشـر بن مروان بن الحكم، أصـبح والياً على العراق (البصرة والكوفة) سنة74ه، إذ ولاه أخيه عبد الملك، اما وفاته فكانت في البصـرة سنة75ه، عن نيف وأربعين سنة، ابن قتيبة، المعارف،121، ابن عساكر، تاريخ دمشق، 3/ 248

3- هو محمـد بن مروان بن الحكم، تولى ولاية الموصل والجزيرة وأرمينيا وأذربيجان كانت له حروب كثيرة جداً مع الروم، وهو والد مروان الحمار، آخر لخلفاء الأمويين، ينظر: البخاري، محمـد بن إسـماعيل بن إبراهيم، (ت256ه- 80م)، التاريـخ الكبير، تحقيق: محمد أزهر، مطبعـة ديـار بكر، تركيا، د. ت، 1/ 231؛ ابن حجر العسـقلاني، أبو الفضـل احمـد بن علي، (ت852ه- 1448م)، لسـان الميزان، ط2، مؤسسة الأعلمي، لبنان، 1390ه، 5/ 375

4- ابن ابي الحديـد، شـرح نهـج البلاغة، 2/ 54؛ الـدميري، حيـاة الحيوان، 71؛ ابن طولون، شـمس الـدين محمـد بن علي (ت953ه- 1546م)، أعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الكبرى، مطبعة دمشق، سوريا، 1394ه، 35

5- المجلسي، بحار الأنوار، 41/ 355

الحكم من ابنه عبد الملك، وهم الوليد(1) ، وسليمان(2) ، ويزيد(3) ، وهشام(4) ، ولم يتولى الخلافة من بني أمية، ولا من غيرهم أربعة أخوة غير هؤلاء(5) ، ولعل هذا الرأي هو الأرجح لتناسبه مع الخبر الغيبي الثالث كما يأتي بيانه.

3- قول الامام: «وَسَتَلْقَى اَلْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ» وفعلاً هذا ما تحقق فقد تولى هؤلاء الأكبش الخلافة الواحد تلو الآخر فأراقوا الدماء وهو ما قصده (يَوْماً أَحْمَرَ) من خلال حجم ما اقترفت أياديهم من جرائم لاسيما في عهد عبد الملك، ووالية الحجاج الثقفي الذي اختاره

1- هو الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، ولد سنة48ه، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه عبد الملك سنة86ه، شهد عهده حملات عسكرية وفتوحات كثيرة وامتدت حدود الدولة الإسلامية إلى الهند والصين، عرف عنه ولعه بالعمران، إذ بنى العديد من المساجد أبرزها المسجد الأموي، توفي في دمشق سنة96ه، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 454

2- هو سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو أيوب، ولد في دمشق سنة54ه، تولى الخلافة بعد أخيه الوليد سنة96ه، وكان حينها في الرملة، أما وفاته فكانت في دابق سنة99ه، ينظر: البلاذري، أنساب الأشراف، 2/ 72

3- هو يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، أبو خالد، ولد في دمشق سنة71ه، تولى الخلافة بعد وفاة عمر ب عبد العزيز سنة101ه، شهدت آخر أيامه غزوات عديدة، أبرزها مع الترك، مات في إربل في الأردن وفي فخ دمشق سنة105هن ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 8/ 348؛ ابن تغزي بردي، النجوم الزاهرة، 1/ 25

4- هو هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم (ولد سنة72ه) كان يلقب بالسراق والمتفلت لأنه قطع عطاء أهل المدينة سنتين، ثم أعطاهم قبل موته عطاماً واحداً فسموه المتفلت، تولى الخلافة سنة105ه، وقد حدثت خلال مدة حكمه عدة أحداث أبرزها ثورة زيد بن علي والذي أمر هشام بقمعها وقتل زيد، أما وفاته فكانت سنة125ه، ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 417

5- محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 247

لتوطيـد حكمه في العراق والحجاز وغيرها، فأخـذ يسـفك الدماء من أجل تدعيم حكم عبد الملك، وقد كان للحجاج مكانة سامية عند عبد الملـك بن مروان، إذ أشـركه في حكم العراق وبلاد فارس، وعُمان وقـد أكرمه بشـكل كبير وأوصـى أولاده به حينما حضـرته المعني قائلاً: (أوصيكم بإكرام الحجاج فأنه الذي وطد لكم المنابر ودوخ البلاد وأذل الأعداء)(1) ، ومن خلال ما تقدم ذكره يتضح السبب الحقيقي الذي دعا الإمام علي (عليه السلام) إلى الأخبار عن مروان وأكباشه الأربعة، لتحذير الناس من حجم الخطر المحدق بهم في قادم الأيام.

رابعاً- عبد الملك بن مروان:

تطرق أمير المؤمنين (عليه السـلام) إلى مجيء عبـد الملك بن مروان لحكم الدولـة الأموية من غير أن يسـميه بالاسم بل كناه ب (ضـليل الشام)؛ إذ عرف أن المراد من هذه الكنية هو عبد الملك بن مروان لانطباق وصف الإمام (عليه السلام) بصورة تامة(2) .

وقد تناول الإمام علي (عليه السلام) أيضاً ذلك العصر وما سوف يجري فيه بقوله:

«أَيُّهَا اَلنَّاسُ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقاقِي وَلاَ يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي وَلاَ تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي فَوَالَّذِي فَلَقَ اَلْحَبَّةَ وَبَرَأَ اَلنَّسَمَةَ إِنَّ اَلَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ اَلنَّبِيِّ

1- ابن عساكر تاريخ دمشق، 63/ 171؛ اب خلـدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت808ه- 1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ط4، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بلا. ت، 3/ 58

2- الراوندي، منهاج البلاغة، 3/ 92؛ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 99؛ النصر الله، جواد كاظم، شرح نهج البلاغة، 3/ 92؛ ابن أبي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الإمام علي عليه السلام، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامع البصرة، 1422ه- 2002م، 148

اَلْأُمَيِّ (صلى الله عليه وآله) مَا كَذبَ اَلْمُبَلِّغُ وَلاَ جَهِلَ اَلسّامِعُ وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلّيلٍ قَدْ نَعقَ بِالشّامِ؟ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ(1) وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ وثُقِلَتْ فِي اَلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ عَضَّتِ اَلْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا وَمَاجَتِ اَلْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا وَبَدَا مِنَ اَلْلَّيَالِي كُدُوحُهَا فَإِذَا اَيْنَعَ زَرْعُهُ وَقَامَ عَلى يَنْعِهِ وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ(2) وَبرَقَتْ بَوَارِقُهُ عُقِدَتْ رَايَاتُ اَلْفِتَنِ اَلْمُعْضلَةِ وَأَقْبَلْنَ كَاللّيْلِ اَلْمُظْلِمِ واَلْبَحْرِ اَلْمُلْتَطِمِ»(3) .

لقد تطرق أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته هذه إلى فتنة مهمة محدقة بالأمة الإسلامية، وقد مهد لهذا الكلام بقوله لهم إن الذي سوف أخبركم به من حوادث المستقبل هو ما سمعته من رسول الله، ثم يتكلم بعدها الإمام (عليه السلام) عن الضليل الذي سوف يعنعق في الشام، ويرى ابن أبي الحديد ان المقصود من هذا الكلام هو عبد الملك بن مروان؛ لأن هذه الصفات والإمارات فيه أتم منها في غيره؛ لأنه قام بالشام ودعا إلى نفسه، وهو معنى نعيقه، وقول الإمام لاحقاَ «نفَ نِصن بح ن حانياتحمح فحي ضنونا ح حي كُوفَانن «وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ» فمعناه حينما شخص بنفسه إلى العراق وقتل مصعب بن الزبير(4) ثم عين ولاته الظالمين

1- فغرت فاغرته: أي فتح فمه بشكل كبير، ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 3/ 73

2- هدرت شقاقه: صاح في هيجانه مثل البعير الهائج، ينظر: ابن سيدة، المخصص، 2/ 69

3- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 169- 170

4- هو أبو عبد الله، مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، ولد في المدينة سنة26ه، كان اليد الضاربة لأخيه عبد الله بن الزبير، إذ ولاه البصرة سنة67ه، وقام بعدها بالقضاء على ثورة المختار الثقفي وقتله، وقد ضمت الكوفة إلى سلطته، قتل قرب شاطئ الدجيل سنة71ه، وحمل رأسه إلى دمشق إلى عبد الملك بن مروان، وبمقلته نقلت بيعة أهل العراق إلى الشام، ينظر: اب سعد، الكبرى، 5/ 135؛ الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 13/ 105

عليها وأبرزهم الحجاج وهو زمان اشتداد عبد الملك وثقلِ وطأته، وحينئذ صعب الأمر جداً وتفاقمت الفتن، لاسيما مع الخوارج، الذي نجح في القضاء على حركتهم لاحقاً(1) ، وقول أمير المؤمنين (عليه السلام):

«فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ وقَامَ عَلَى يَنْعِهِ...» وهذا الكلام فيه إشارة واضحة إلى حجم الفتن المحيطة بتلك الحكومة؛ إذ لن تدوم طويلاً (لكثرة معارضيهم وأعدائهم)(2) ، أو لعل الإمام يشير إلى كلمة الحجاج الشهيرة حينما خطب في الكوفة قائلاً:

«أرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها»(3) .

وعلى العموم فأن ظهور حركات عديدة، منها عودة ظهور الخوارج وحركة زيد بن علي، فضلاً عن الفتن الكثيرة التي عصفت بالكوفة أيام الولاة الذين عينوا عليها بعد عبد الملك بن مروان(4) .

وفي خطبة أخرى من نهج البلاغة نجد أن الإمام علي (عليه السلام) أشار ضمنياً إلى حكم عبد الملك بن مروان أيضاً، إذ قال:

«أَيْنَ اَلَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ اَلرّاسِخُونَ فِي اَلْعِلْمِ دُونَنَا كَذِباً وَبَغْياً عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا وَوَضَعَهُمْ وأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ آثَرُوا عَاجِلاً وَأَخَّرُوا آجِلاً وَتَرَكُوا صَافِياً وَشَرِبُوا

1- الطبري، تاريخ الرسل والملوك، 6/ 104

2- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة/ 7/ 101

3- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 124؛ أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، 15/ 199

4- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 158- 159

آجِناً(1) كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ اَلْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ وَبَسِئَ(2) وَبِهِ وَوَافَقَهُ حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ(3) وَصُبِغَتْ بِهِ خَلاَئِقُهُ(4) ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِداً(5) كَالتَّيَّارِ لاَ يُبَالِي مَا غَرَّقَ أَوْ كَوَقْعِ اَلنَّارِ فِي اَلْهَشِيمِ(6) لاَ يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ...»(7) .

أشار الإمام علي (عليه السلام) في بداية خطبته إلى التخرصات التي كانت تصدر هنا وهناك عن علم الإمام وآل بيته (عليهم السلام) ومدى معرفتهم وأعلميتهم دون غيرهم؛ لأنهم أهل القرآن والوحي والسنة النبوية(8) ، ثم ينتقل الإمام (عليه السلام) في القسم الآخر من الخطبة ليشير إلى الأشخاص الذي ناصبوا أهل البيت العداء وولوا وجوههم عن الحق بقوله لهم:

«آثَرُوا عَاجِلاً وَأَخَّرُوا آجِلاً...» ولا يخفى أن المقصود من هذا الكلام بنو أمية(9) ، إما قوله (عليه السلام):

«كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ».

1- آجناً: هو الماء المتغير اللون والطعم والرائحة، ينظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الأثر 1/ 44

2- بسئ: أستأنس وفرح، ينظر: الزبيدي، تاج العروس، 1/ 79

3- مفارقه: وسط الرأس الذي يفرق فيه الشعر، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، 3/ 239

4- خلائقه: أي طبائعه، ينظر: ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، 2/ 275

5- مزبداً: وهي كناية عن البحر الذي يقذف بالزبد، ينظر: الرازي، مختار الصحاح، 3/ 230

6- الهشيم: النبات اليابس المتكسر أو الحطب، ينظر: الزمخشري، جار الله محمد بن عمر، (ت538ه- 1143م)، أساس البلاغة، مطبعة البابي الحلبي، مصر، 1388ه، 2/ 91

7- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 228

8- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 401

9- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9/ 89

فـالمراد منه هو عبـد الملـك بن مروان، إذ أنه كـان من أشـد عناصـر الدولـة الأمويـة وأقساهم، وقـد ارتكب في عصـره الكثير من الجرائم، والأحـداث الجسـام التي لاـ تمت بصـلة للإسـلام، سواء التي ارتكبهـا بنفسه أم مارسـها واليه الحجاج اليقفي، فقـد كان كالنار التي تحرق الأخضـر واليابس، ولا يقف أمامها شـيء، وقول الإمام هنا فيه إشارة واضحة الى شخص سوف يظهر في المستقبل وقدانطبقت صفاته تماماً على عبد الملك بن مروان(1) .

خامساً- الحجاج بن يوسف الثقفي:

تنبأ امير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السـلام) بولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على الكوفة، وما سـيحل بها خاصة، والعراق عامة من بلاء.

وقـد جاء كلام الإمام (عليه السـلام) هـذا في خطبـة طويلة القاها لتشـجيع جيشه على الجهاد، والوقوف بوجه أهل الشام، ومحذراً لهم من حجم الأخطار المحدقة بهم(2) ، وقد قال في خطبته:

«لَوْ تعْلَمُونَ مَا أَعَلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى اَلصُّعُدَاتِ(3) تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ وَتلْتَدِمُونَ(4) عَلَى أَنْفُسِكُمْ ولَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لاَ حَارِسَ لَهَا وَلاَ

1- الراونـدي، منهاج البراعـة 2 / 137؛ ابن أبي الحديـد، شـرح نهـج البلاغة، 9 / 89؛ ابن ميثم البحراني، شـرح نهـج البلاغـة، 3 / 494؛ التستري، بهج الصباغة، 2/ 245

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 278

3- الصـعدات: الطرق. ينظر: ابن سـلام الهروي، أبي عبيد القاسم (ت224ه/ 837م)، غريب الحـديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، الهند، 1384ه، 2/ 125

4- تلتدمون: أي يضربون صدوركم كالنساء في النياحة. ينظر: الفراهيدي، العين، 2/ 120

خَـالِفَ عَلَيْهَـا وَلَهَمَّتْ كُـلَّ اِمْرِئٍ نَفْسُهُ لاَـ يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَـا وَلكِنَّكُمْ نَسِـيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ وأَمِنْتُمْ مَا حُـذِرْتُمْ فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ وَتشَـتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُم... أَمَا وَاَللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلاَمُ ثَقِيفٍ اَلذَّيَّالُ(1) الْمَيَّالُ(2) يَأْكُلُ خَضِرتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُم إِيهٍ؟ أَبَا وَذَحَةَ؟(3) »(4) .

بـدأ الإمـام خطبته هـذه محـذراً أفراد جيشه الـذين كـانوا يتهربون من المسؤوليـة من خلاـل اللجوء إلى بعض الحجـج والاعـذار تهرباً من المواجهـة المباشـرة للعـدو المتربص بهم، هو جيش الشام(5) ، ثم يحـذرهم الإمام من المسـتقبل المظلم الـذي ينتظرهم وتّسـلط العدو عليكم، وقد خاطبهم بعبارات غاية في البلاغة قائلاً:

«لو تعلمون ما اعلم مما طوي عنكم غَيْبَـة...» ومما يتضـح من هذا الكلام أن الإمام علي (عليه السـلام) كان يعلم ما لا يعلمون من أخبار المستقبل ورَدَة فعلهم تجاه هذه الأحداث الجسام، حيث ان

1- الذيال: هو الذي يجر ذيله على الارض تبختراً. ينظر: الطريحي، مجمع البحرين، 1/ 300

2- الميال: من تميلت المرأة في مشيتها، أي تدللت، وهي تعني أيضاً الظالم. ينظر: الخليل، العين، 1/ 138

3- ابـا وذحـة: أي الخنفسـاء، وهي ايضـاً ما يتعلق بأصواف الغنم من البعر والبول، ابن الأثير النهايـة في غريب الأثر، 5/ 373، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 2/ 632

4- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 150، الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 198؛.

5- محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 253

الشـخص الذي يبتلى بمصائب عظيمه ينسى كل شيء سوى انقاذ نفسه(1) ؛ ولعل أمير المؤمنين (عليه السـلام) كان يقصد من كلامه هذا حجم الجرائم التي سوف تحدث للكوفة وأهلها، بسبب تقاعسهم عن جهاد عدوهم(2) ، ثم أشار في خطبته إلى حقيقة واضحة وهي قوله:

«وَلكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ...» وفي هـذه الكلمة بين لهم أمير المؤمنين (عليه السـلام) أنَّ هذه الحوادث لا تأتيهم فجأة، فقد حذرتكم مراراً وتكراراً من غير أن تأخـذوا النهـج، فقـد كشـفت لكم أحـداث المسـتقبل لكنكم لم تعيروا كلامي أي عنايـة فاسـتعدوا للمسـتقبل المظلم القادم(3) .

ثم ينقل أمير المؤمنين ليكشف لهم عن خبر غيبي غاية في الأهمية هو:

«أَمَا وَاَللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلامُ؟ ثَقِيفٍ؟ اَلذَّيَّالُ اَلْمَيَّالُ يَأْكُلُ خَضِرَتَنُمْ وَيُذِبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ؟ أَبَا وَذَحَةَ؟» وقد ذكر بعض شراح نهج البلاغة ان المقصود بهذا الكلام هو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي ينسب الى قبيلة بني ثقيف، وقد وصفه الإمام (عليه السلام) بغلام ثقيف، الذي أصبح والياً على الكوفة في زمن عبد الملك بن

1- الخطيب، عبد الزهراء الحسيني، مصادر وأسانيد نهج البلاغة، ط3، مطبعة الاضواء، لبنان، 1405ه، 2/ 259

2- التستري، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، 3/ 120- 121

3- الخوئي، منهاج البراعة، 3/ 256

مروان(1)، وبعدها أخبر الإمام عما سيحل بأهل الكوفة من هذا الرجل فقال:

«يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ» وهو كناية عن أنه لن يبقى لكم سوى العظم والجلد، وهذا مصير من لا يسمع نصح إمامه وقائده(2)، وفي نهاية خطبته وصف الإمام علي (عليه السلام) وصف الحجاج ب (ابي وذحة) وقد أورد بشأنها ابن أبي الحديد معاني عدة إلا أن الأرجح أنها تعني البعر الملتصق بشعر الشاه، وقد شبهه أمير المؤمنين (عليه السلام) بذلك التعبير لأنه كان يعلم بحال الحجاج بنجاساته بالمعاصي والذنوب(3)، حتي يتفاخر بما تقترف يديه من سفك الدماء والإتيان بالأفعال التي لا يقوم بها الآخرون(4)، وقد كان حجم ما اقترفه الحجاج من جرائم لا يصدق حتى قيل ان عدد قتلاه بلغ الآلاف كذلك ملئت السجون بأعداد كبيرة من الأبرياء إذ كان يضع الرجال والنساء معاً في السجن(5)، وهنالك رواية تاريخية جاء فيها إنّ: حرس سجن الحجاج كانوا يرمون السجين بالحجر إن لاذ بالجدار من شدة حرارة الشمس، لأن ذلك السجن لم يكن فيه سقف، وكان طعام السجناء عبارة عن قليل من الخبز المخلوط بالملح والرماد، فكان يّسود

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 280؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 241؛ الخطيب، مصادر وأسانيد نهج البلاغة، 2/ 259

2- الخوئي، منهاج البراعة، 8/ 94

3- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 279- 281

4- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 125

5- ابن كثير، البداية والنهاية، 9/ 136

وجه من يـدخل السـجن بحيث لاـ تعرفه أمه حين تأتي لرؤيته(1) ؛ ولعـل ابلغ كلاـم قيل في الحجاج ما ذكره الشـعبي(2) ؛ إذ قـال: (لو أخرجت كل أمة خبيثها وفاسقها، واخرجنا الحجاج بمقابلتهم لغلبناهم)(3) .

سادساً- سقوط الدولة الأموية:

تحـدث أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السـلام) كثيراً عن نهاية بني أمية وأن الأمر سوف ينتقل إلى أعدائهم بعدهم في الوقت الذي يحسب النـاس أنهم خالـدون في حكمهم؛ ولعـل السـبب في ذلـك الشـعور، لشـدة حكمهم وقسوته وحجم القوة التي كـانوا يتمتعون بها حينذاك، ومن تلك الخطب التي تناول فيها الإمام (عليه السلام) نهاية الأمويين قوله:

«...حَتَّى يَظُنَّ اَلظَّانُّ أَنَّ اَلـدُّنْيَا مَعْقُولَـةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا(4) وتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا ولاَ يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلاَ سَيْفُهَا وَكَذِبَ اَلظَّانُّ لِذَلِك بَلْ هِيَ مَجَّةٌ(5) مِنْ لَذِيذِ اَلْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً»(6) .

1- ابن الجوزي، المنتظم، 6/ 329

2- هو عامر بن شـراحيل بن عبد ذي كبار الشـعبي، الحميري، أبو عمرو، ولد سنة19ه، وهو رواية من التابعين يضـرب المثل بحفظه ولادته كانت في الكوفـة اتصل بعبـد الملك بن مروان وكان نـديمه واحـد مقربيه وكان رسوله إلى الروم، جعله عمر بن عبد العزيز قاضـياً، توفي في الكوفة سنة107ه ينظر: أبو نعيم الاصبهاني، حلية الاولياء، 4/ 310؛ اب حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، 5/ 65

3- ابن عساكر، تاريخ دمشق، 12/ 185؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، 3/ 350؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، 242

4- درها: لبنها، وهي بمعنى تغدق عليهم بالمال والسلطان، ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 122

5- مجة: مصدر من مج الشراب من فيه اذا رمى به. ينظر: ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، 3/ 241

6- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 137- 138

بـدأ الإمام كلامه مخاطباً الذين يعتقدون أن دولة بني أمية خالدة أبد الدهر مفنداً هذا الكلام ومشـيراً إلى سـرعة زوال هذه الدولة، ثم ينتقل الإمام ليوضح طريقة وصول بني أمية للحكم وعبر عنها بالمجة وهي إشارة إلى أنهم سوف يستحوذون على الحكم تدريجياً ثم يفقدونه دفعة واحـدة وهـذه إشـارة فيهـا معنى آخر إلى ان الأـمويين سـيذوقون حلاـوة السـلطة والحكم لفترة بسـيطة لم تخلُ من المشاكل، والثورات، والحركات(1) ، فحكومة الأمويين حكمت ما يقارب التسـعين عاماً، كانت مليئة بالنزاعات، وغلب عليها عدم الاسـتقرار(2) ، فقد شهدت قيام حركات عـدة للخوارج بلغت أكثر من اثنتي عشـرةَ حركـة اسـتنزفت طاقـة الدولة، فضـلاً عن الحركات، والثورات الأخرى التي قضّـت مضاجع السـلطة الأمويـة وأبرزها ثورة الإمام الحسـين (عليه السـلام) وعبد الله بن الزبير وثورة أهل المدينة التي قمعها الأمويون، وعرفت بواقعة الحرة وحركة التوابين التي رفعت شـعاراً ((يا لثارات الحسـين))، وحركة المختار الثقفي الذي رفعَ الشـعار نفسه وغيرها من الحركات التي وقفت بوجه الدولة الأموية(3) .

ومن خطبة أخرى لأمير المؤمنين (عليه السلام) وقد اشار فيها إلى نهاية الأمويين أيضاً قوله:

«لتجدنّ بني اميّة لكم أرباب سوء بعدي... ترد عليكم فتنتهم شوهاء(4) مخشيّة

1- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 441

2- الشهرستاني، الملل والنحل، 1/ 117- 119

3- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 71، 95- 98، 195

4- شوهاء: قبيحة المنظر: ينظر: اب دريد، جمهرة اللغة، 1/ 494

وقطعا جاهليـة ليس فيها منار هدى ولا علم يرى... ثمّ يفرّجها الله عنكم كتفريج الأديم بمن يسومهم خسـفا ثُمَّ يُفَرَّجُهَا اَللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ اَلْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسّ فاً ويَسُوقُهُمْ عُنْفاً ويَسـقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لاَ يُعْطِيهِمْ إِلاَّ اَلسّيْف ولاَ يُحْلِسُهُم(1) إِلاَّ اَلْخَوْفَ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بالدُّنْيَا و مَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً ولَوْ قَدْ جَزْرِ جَزُورٍ(2) لِأَقْبَل مِنْهُمْ مَا أَطلُبُ اَلْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلاَ يُعْطُونَنِى»(3) .

جاء في القسم الأول الخطبة ذكر مجي الدولة الأموية للحكم، وقد ذكر هذا القسم من الخطبة وشـرحناه في بداية هذا المبحث، أما القسـم الآخر فحمل في مضامينه أخبار غيبيـة أخبر بها أمير المؤمنين (عليه السـلام) عن زوال حكم الأمويين، وقـد خطب الإمام هذه الخطبة بعد انقضـائه من النهروان وقضائه على الخوارج، والملحوظ من هـذه الخطبـة بيان الإمام لسوء العاقبـة التي سوف تحل بالأمويين قبل أعـدائهم العباسـيين، إذ قـال الإمـام (عليه السـلام) «يَسُومُهُمْ خسّ فاً ويَسُوقُهُمْ عُنْفاً ويَسـقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبّرَةٍ لاَ يُعْطِيهِمْ إِلاَّ اَلسَّيْفَ ولاَ يُحْلِسّ هُمْ إِلاَّ اَلْخَوْفَ» فيه دلالـة على حجم المرارة والذل الذي سوف يعيشه بنو أمية من العباسـيين الذين سوف يضـعون السـيف على رقابهم، أما الباقي منهم لم يقتل

1- ولا يحلسهم: لا يلبسهم الحلس وهو كساء خفيف. ينظر: الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، 1/ 148

2- جزر جزورا: مدة نحر الإبل، ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، 1/ 332

3- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، 2/ 182؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 160- 161؛ أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء، 1/ 68

فستكون حياته مليئة بالخوف والرعب(1) ، ويختتم أمير المؤمنين كلامه بقول:

«فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً...» ومراد الإمام من (قريش)، هم بنو أمية، فهم أي الأمويون مستعدون لإعطاء كل ما يملكون في الدنيا من أجل الإذعان لأمري، ولو لمدة قصيرة وقد شبه الإمام تلك المدة بذبح الناقة، وهذه عادة العرب في التشبيه بكل ما يتعلق بالناقة ولعل سبب ذلك الرئيس اعتمادهم الأساس على الناقة في حياتهم(2) .

وفعلاً تحققت نبوءة أمير المؤمنين (عليه السلام) بزوال الدولة الأموي على يد العباسيين وقد كل أنواع وسائل القمع والتعذيب للقضاء على الأمويين، وهنا يتضح كلام الإمام لهم وموازنة حكمه لهم أيام خلافته وحكم العباسيين وما فعلوه بهم حينما تولوا الخلافة، فالتاريخ ينقل لنا صوراً متنوعة من صنوف العذاب الذي سامه العباسيون لهم، ولعلهم أذاقوهم من الكأس نفسه الذي أذاقه الأمويون لأعدائهم(3) ، وهنالك خطبة أخرى للإمام علي (عليه السلام) حملت تلك المعاني نفسها، إذ قال فيها مخاطباً الأمويين:

«فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَا بَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ»(4) .

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 5/ 22- 224؛ التستري، بهج الصباغة، 6/ 114

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 3/ 356

3- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 3/ 48

4- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 175

وفعلاً تحققت أخبار أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم تدم حكومة الأمويين سوى تسعين عاماً حتى تلقفها العباسيون(1) ، ومن الروايات التي ذكرت حجم العذاب الذي لاقاه الأمويون من أعدائهم العباسيين، الذين قاموا بنبش قبور الخلفاء الأمويين في بداية خلافتهم وإخراج جثثهم وقيامهم بإحراق ما تبقى منها(2) ، حتى قيل إنهم حينما أرادوا إخراج جثة معاوية بن أبي سفيان لم يجدوا سوى التراب(3) ، وفي رواية أخرى إن الخليفة العباسي السفاح(4) أحضر إلى مجلسه تسعين من زعماء الدولة الأموية وأمر بضرب أعناقهم في وسط مجلسه، ثم قام بتناول الطعام فوق جثثهم(5) .

وفي خطبة أخرى يشير الإمام علي (عليه السلام) إلى مصير بني أمية بقوله:

«...وَسَيَنْتَقِمُ اَللهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلاً بِمَأْكَلٍ و مَشْرَباً بِمَشْرَبٍ مِنْ مَطَاعِمِ اَلْعَلْقَمِ

1- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 224

2- ابن الأثير، الكامل، 5/ 430

3- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 207

4- هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، أبو العباس، ولد سنة104ه، في الشرارة وهي بين الشام ودمشق، وهو أول خلفاء الدولة العباسية، إذ تولى الخلافة سنة132هن بعد مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين، كان شديد العقوبة وعظيم الانتقام، إذ تتبع بقايا الأمويين بالقتل والصلب والاحراق حتى لم يبق منهم غير الأطفال والذين هربوا إلى الأندلس، ولقد لقب بالسفاح لكثرة الدماء التي سفكها، كانت عاصمة دولته الهامشية وهي في الأنبار وقد بناها بنفسه، مرض بالجدري وتوفي شاباً بالأنبار سنة136ه، ينظر: الكتبي، ابن شاكر محمد بن احمد، (ت764ه- 1363م)، فوات الوفيات، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1421ه، 2/ 217؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 3/ 129

5- ابن الأثير، الكامل، 5/ 430

وَمَشَّ ارِبِ اَلصَّبِرِ وَاَلْمَقرِ وَلِبَاسِ شِ عَارِ اَلْخَوْفِ وَدِثَارِ اَلسَّ يْفِ وَإِنَّمَا هُمْ مَطَايَا اَلْخَطِيئاتِ وَزَوَامِلُ اَلاثَامِ فَأَقْسِمُ ثُمَّ أَقْسِمُ لَتَنْخَمَنَّهَا(1) أَمَيَّةُ مِنْ بَعْدِي كَمَا تُلْفَظُ اَلنُّخَامَةُ ثُمَّ لاَ تَذُوقُها وَلاَ تَتَطَعَّمُ تَتْطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَداً مَا كَرّ اَلْجَدِيدَانِ»(2) .

في هذا الكلام إشارة واضحة وصريحة إلى بني أمية، إذ سيجرعهم الله عز وجل كل بلاء يصبوه على الناس وسيذيقهم مرارة الذل على كل لذة حصلوا عليها من مناصبهم، وقد شهروا سيوفهم على رقاب الناس وسيسلط الله عليهم من يضع السيف في أعناقهم(3) ، وفعلاً فقد انتقم الله سبحانه منهم أشد انتقام بحيث دب الرعب والهلع في صفوف من تبقى منهم، كذلك شبههم بالمطايا لجهلهم وافتقارهم للعقل، وأخيراً اختتم الإمام كلامه بنبوءة حاسمة وعجيبة عن الدولة الأموية، إذ إنهم شوهوا الحكومة بأفعالهم التي غلب عليها الادناس والقذارة والظلم والفساد، فأصبحت كالمواد المخاطية التي يدفعها الصدر والرأس؛ إذ سينتهي الأمر إلى ما لا يطيقونه، على غرار الذي يطرح تلك المواد، فسيفقدون تلك السلطة ولا يظفرون سوى لعنات الناس نتيجة أفعالهم المشينة التي نجسوا بها الدولة الإسلامية(4) .

****

1- لتنخمها: النخام ما يدفع من الصدر أو الدماغ من المواد المخاطية، ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 111

2- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 249- 250؛ المفيد، الإرشاد، ص 173

3- ناصر الشيرازي، منهاج البراعة، 6/ 138

4- المحمودي، نهج السعادة، 1/ 191

الفصل الثالث الأخبار الغيبية عن العراق وفتن آخر الزمان وعصر ظهور الإمام المهدي المبحث الأول: الأخبار الغيبية عن العراق.

المبحث الثاني: الأخبار الغيبية عن فتن آخر الزمان وعصر ظهور الإمام المهدي

ص: 181

المبحث الاول: الأخبار الغيبية عن العراق

كثيرة هي أخبار أمير المؤمنين (عليه السلام) عن العراق سواء تلك التي قصد بها البصرة أو الكوفة، حيث أن تلك الغيبيات كانت تصدر أغلبها عن الإمام قبل أو بعد إحدى معاركه التي كان يخوضها ضد أعدائه سواء في معركة الجمل أم صفين أم النهروان؛ ولعل ذلك أحد الأسباب التي جعلت تلك الأخبار متواترةً ويشهد الجميع بصحتها لكثرة من كان حاضراً وسمع بها، من جيش الإمام أو من الطرف الآخر.

أولاً- البصرة:

أخبر الإمام علي الكثير من الأخبار الغيبية عن مدينة البصرة، ولعل أغلب هذه الأخبار كانت على هامش معركة الجمل التي كانت أرض البصرة مسرحاً لها، وفي هذه الأخبار حاول إلقاء الضوء على مستقبل هذه المدينة وما سيجري عليها من أحداث جسام، فضلاً عن ذلك نجد أن الإمام كان يخاطب أهل البصرة بألفاظ قاسية وهذه إشارة إلى أهل ذلك الزمان الذين كانوا

يستسلمون لمخططات طلحة والزبير، فكانت كلمات الإمام وتوبيخه لهم لا يقصد به أهل البصرة على مر العصور، ومن خلال خطب الإمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) وكلماته في نهج البلاغة، وجدنا الكثير من الأخبار الغيبية عن مستقبل البصرة وهي كالآتي:

1- غرق البصرة:

من الخطب التي تطرق بها الإمام إلى البصرة كان ذلك بعد حرب الجمل، قوله: «كُنْتُمْ جُنْدَ اَلْمَرْأَةِ وَأَتْبَاعَ اَلْبَهِيمَةِ رَغَا(1) فَأَجَبْتُمْ وَعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ(2) وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ(3) وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ(4) وَاَلْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ وَاَلشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِن رَبِّهِ كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُم كَجُؤْجُؤِ(5) سَفِينَةٍ قَدْ بَعَثَ اَللهُ عَلَيْهَا اَلْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرَّقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا»(6) ، بدأ الإمام علي (عليه السلام) خطبته بذم أهل البصرة الذين اتبعوا طلحة والزبير واصفاً إياهم ب (جُنْدَ اَلْمَرْأَةِ) والمقصود بها عائشة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ استخدمها طلحة والزبير كورقة ضغط، وعامل معنوي لضم الناس إليهم لقتال أمير المؤمنين (عليه السلام) بصفتها أم

1- رغا: هو صوت البعير، ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 174

2- اخلاقكم دقاق: أي أخلاقكم دنيئة وذميمة، وهي تقال عن الرجل القليل الخير، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 1114

3- شقاق: تفكك واختلاف، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 363

4- زعاق: شديد الملوحة، ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 183

5- جؤجؤ: تقال عن الطائر وعن السفينة، وهي بمعنى الصدر، ينظر: الصاغاني، العباب الزاخر، 1/ 351

6- ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 217؛ المسعودي، مروج الذهب، 2/ 277. الشريف الرضي، نهج البلاغة1/ 45- 46؛ ابن عبد ربة الأندلسي، العقد الفريد، 4/ 81

المؤمنين، ثم خاطبهم الإمام بعد ذلك ب (أَتْباعَ اَلْبَهِيمة) والمقصود بالبهيمة الجمل الذي ركبته عائشة في تلك المعركة، وكان جيش أهل البصرة يلتف حوله، حتى نادى الإمام: (أعقروا الجمل) فعمدوا إليه أصحابه فعقروه وسقط أرضاً، وكانت هزيمة أهل البصرة بعد ذلك مباشرة(1) .

أما قوله (عليه السلام): «أَخْلاَقُكُمْ دِقَاقٌ وَعَهْدُكُمْ شِ قَاقٌ وَدِينُكُم نِفَاقٌ» فهذا الكلام وجهه الإمام إلى أهل البصرة الذين شاركوا في الجمل أولئك عبدة الأهواء الذين نكثوا بيعة أمير المؤمنين والتحقوا بركب الشيطان، ثم خاطبهم الإمام قائلاً: «مَاؤُكُمْ زُعَاقٌ» والمقصود هنا المام الملون والمالح والواقع هو ذم لأخلاقهم من خلال وصف الماء(2) ، أما قول الإمام: «وَاَلْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُم مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ)، من خلاله أراد الإمام أن يوصل فكرة فحواها، الدور المؤثر للمكان والبيئة على أخلاق الإنسان وهو بهذه الحالة أمام خيارين لا ثالث لهما، أما أن يقوم الإنسان بتغيير بيئته ومكانه الذي يعيش فيه لاسيما إذا ساده الانحراف الأخلاقي والديني من خلال محاولة إصلاحه، وإذا عجز عن ذلك يهجره(3) ، وفي ختام كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) يشير إلى ما ينتظره البصرة مستقبلاً، وهو خبر غيبي، إذ أشار إلى ذلك بقوله: «كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينةٍ قَدْ بَعثَ اَللهُ عَلَيْهَا اَلْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تحْتِهَا وَغَرّقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا»، وفعلاً قد حدث ما أخبر به أمير المؤمنين (عليه السلام)، إذ نقلت

1- التستري، بهج الصباغة، 3/ 233

2- الحائري، محمد حازم القزويني، شرح نهج البلاغة، مطبعة النعمان، العراق، 1378ه، 2/ 236

3- الخوئي، منهاج البراعة، 1/ 192

المصادر التاريخية أن البصرة غرقت مرتين، الأولى سنة409ه في خلافة القادر بالله(1) ، إذ فاض البحر وغرقت منازل البصرة ليومين(2) ، أما الغرق الآخر فكان سنة426ه، في أيام خلافة القائم بأمر الله(3) ، فقد فاض نهر دجلة وأغرق مزارع البصـرة وبيوتها لمدة ثلاثة أيام حتى سقـط نحو ألفي منزل من جراء ذلك(4) ، وعن هـذين الغرقين قال ابن أبي الحديـد: (إن أخبار الإمام (عليه السـلام) أن البصـرة تغرق عـدا المسـجد الجامع بها، فقد رأيت أن كتب الملاحم تدل على أن البصـرة تهلك بالماء ولا يبقى سوى مسـجدها، والصحيح أن الخبر قد وقع، فأن البصرة غرقت مرتين مرة ايام القادر بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله، غرقت فلم يبق سوى مسجدها بارزاً بعضه كجؤجنؤ الطائر، بحسب ما أخبر أمير المؤمنين (عليه السـلام) خربت دورها وغرق كل ما في ضـمنها وهلك كثير من أهلها، وأخبار هذين الغرقين معروفٌ عند أهل البصرة يتناقلها

1- القادر بالله: أبو العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر، ولد سنة336ه، بويع بالخلافة في رمضان من سنة381ه، واستمر بالخلافة إلى أن توفي في ذي الحجة سـنة422ه، ينظر: ابن دحيـة الكلـبي، عمر بن حسن الأندلسـي، (ت633ه- 1236م)، النبراس في تاريـخ خلفاء بني العباس، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، د. ت، ص127؛ الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسن (ت966ه/ 1559م)، تاريخ الخميس، مطبعة قم، إيران، 1399ه، 2/ 355

2- الذهبي، تاريخ الإسلام، 28/ 29

3- القائم بأمر الله: أبو جعفر عبـد الله بن القادر، بويع بالخلافـة في ذي الحجـة سـنة422ه، واسـتمر بها لغاية سنة467ه، ينظر السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (911ه- 1505م)، نظم العقبان، دار البيارق، السـعودية، 1395ه، ص108؛ الديار بكري، تاريخ الخميس، 2/ 385

4- ابن كثير، البداية والنهاية، 12/ 34

خلفهم عن سلفهم)(1) .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن حادثتي غرق البصرة وقعا بعد وفاة الشريف الرضي، إذ أنه توفي سنة406ه، أي قبل ثلاث سنوات من الغرق الأول وقبل عشرين سنة عن الغرق الآخر، مما يبعد احتمال الوضع لهذه الخطبة، سواء من الرضي أم من غيره، وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن البصرة لا يقف عند هذا الحد، ففي خطبة مشابهة للخطبة السابقة، أو لعلها كانت خطبة مكملة لها إلا أن الشريف الرضي فصلهما، وفيها قال الإمام عن البصرة أيضاً:

«أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ اَلْمَاءِ بَعِيدَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ خَفَّتْ عُقُولُكُم وَسَفِهَتْ حُلُومُكُم فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ(2) وَأُكْلَةٌ لآكِلٍ وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ(3) »(4) .

ويلاحظ من هذه الخطبة أن الإمام يذم أهل البصرة مرة آخرى ويتحدث عن تخلفهم الفكري الذي جعلهم يتحولون إلى إلعوبة بيد المنافقين من أصحاب المطامع الدنيوية، المتمثلين بطلحة والزبير، ومن ثم حذرهم في ختام كلمته من مواصلة هذا الطريق المنحرف؛ لأنه سوف يقودهم إلى الهزيمة

1- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 84

2- نابل: تقال لرامي السهام وهي حرفة النبال، ينظر: الفراهيدي، العين، 2/ 188

3- صائل: الفحل الكثير الصولة وتقال عن البعير الذي يحمل على بعيراً آخر، ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 2/ 13

4- ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، 1/ 217؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 46؛ المفيد، محمد بن النعمان بن عبد السلام (413ه/ 1023م)، الجمل، مطبعة الداوري، إيران، 13398ه، 107

المنكرة والفضيحة التي لا ينفع معها الندم والحسرة(1) ، وقد أشرنا سابقاً الى أن هذا الذم من قبل الإمام كان بشأن أولئك الذين أصبحوا آلة رخيصة بيد المنافقين بحيث سلموا أنفسهم وعقولهم للشيطان الذي أضلهم عن طريق الحق، وعلى الرغم من هذا فإن البصرة آنذاك وما تبعه من أزمان كانت ملاذاً للأفراد والأخيار الذين اثنى عليهم الإمام في إحدى خطبته حينما سئل عن البصرة، فقال: (قراؤهم أفضل القراء، وزهادهم أفضل الزهاد، وعبّادهم أفضل العبّاد، وتجارهم أفضل التجار- إلى أن قال- ونساؤهم أفضل النساء))(2) .

وبالعودة لتلك الخطبة في قوله: «أَرْضُكُم قَرِيبَةٌ مِنَ اَلْمَاءِ بَعِيدَةٌ مِنَ اَلسَّمَاءِ» وقرب البصرة من الماء أمر مفروغ منه ومعروف للقاصي والداني، أما بعدها عن السماء، فهنالك تفسيران في ذلك، الأول ذهب أصحابه إلى القول أن المراد من قول الإمام هذا هو أن تلك الأرض بعيدة عن رحمة الله(3) ، ويجب على أهلها الاستعداد لنزول العذاب(4) ، أما الرأي الآخر، الذي تمثل بكلام ابن أبي الحديد وسار عليه العديد من شُراح نهج البلاغة، الذي جاء فيه: وأما (بَعِيدةٌ مِنَ اَلسَّ مَاءِ) فإن أرباب علم الهيأة وصناعة التنجيم يذكرون أن ابعد موضع في الأرض عن السماء الأبلة(5) ؛ وذلك موافق لقوله (عليه السلام) ومعنى البعد عن

1- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1/ 144

2- المجلسي، بحار الأنوار، 32/ 256

3- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1/ 144

4- الخوئي، منهاج البراعة، 1/ 212

5- الأبلة: هي إحدى قصبات البصرة، ذكرها ابن بطوطة في رحلته قائلاً:" بينها وبين البصرة عشرة أميال في بساتين متصله ونخيل مظلة عن اليمن واليسار وهي مدينة عظيمة يقصدها تجار الهند، وفارس، فخربت وهي الآن قرية بها آثار قصور وغيره، والأبلة مطلة على دجلة عند فم نهر البصرة من الشمال وهي تبعد أربع فراسخ البصرة"، ينظر: ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، (ت779ه- 1277م)، رحلة ابن بطوطة، مطبعة الدار البيضاء، المغرب،د. ت، 1/ 86؛ الحميري، الروض المعطار، 105

السماء هنا هو بعد تلك الأرض المخصوص عن دائرة معدل النهار والبقاع تختلف في ذل وقد دلت الأرصاد والآلات النجومية على أن ابعد موضع في المعمورة عن دائرة معـدل النهار هو الأبلة والأبلة في قصـبة البصـرة، وهذا الموضع من خصائص أمير المؤمنين (علينه السـلام)؛ لأنه أخبر عن أمر لا تعرفه العرب ولا تهتـدي إليه وهو مخصوص بالمـدققين من الحكماء، وهـذا من أسـراره وغرائبه البديعة"(1) ، والراجح عنـدنا هنـا أن كلاـم ابن أبي الحديـد هو الأدق ولعله الأصـح؛ لأنه تفسـير علمي دقيق، وليس مثلما ذهب البعض للقول أن المراد من هـذا الكلام أن لا يسمع دعام أهلها ولا يستجاب(2) ، أو أن كلام الإمام هذا كناية عن شيوع الفساد وهو المانع من رفع العلم وصعوده إلى الملأ الأعلى(3) .

2- فتنة الزنج:

قال أمير المؤمنين (عليه السـلام) في إحدى خطبه، وهو يشـير إلى الحوادث الصـعبة، وأهوال يوم القيامة ويشـير إلى الفتن التي تهجم على الناس وتكون البصرة مسرحاً لها، إذ قال:

«وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اَللهُ فِيهِ اَلْأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقَاشِ اَلْحِسَابِ وَجَزَاءِ اَلْأَعْمَالِ

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 168

2- الراوندي، منهاج البراعة، 1/ 163

3- المحمودي، نهج السعادة، 1/ 271

خُضُوعـاً قِيَاماً قَـدْ أَلْجَمَهُمُ اَلْعَرَقُ وَرَجَفَتْ بِهِمُ اَلْأَرْضُ فَأَحْسَـنُهُمُ حَالاً مَن وَجَـدَ لِقَـدَمَيْهِ موْضِـعاً وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَـعاً... وَمِنْهَا فِتَنٌ كَقِطَعِ اَللَّيْلِ اَلْمُظْلِمِ لاَ تَقُومُ لَهَا قَائِمَـةٌ وَلاَ تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ تَأْتِيكُمْ مَزْمُونَةً(1) مَرْحُولَةً يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ(2) قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اَللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ اَلْمُتَكَبِّرِينَ فِي اَلْأَرْضِ مَجْهُولُونَ وَفِي اَلسَّـمَاءِ مَعْرُوفُونَ فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْـرَةُ عِنْدَ ذَلِكِ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اَللهِ لاَ رَهَجَ(3) لَهُ وَلاَ حِسّ وَسَـيُبْتلى أَهْلُكِ بِالْموْتِ اَلْأَحْمَرِ وَاَلْجُوعِ اَلْأَغْبَرِ»(4) ، بـدأ الإمـام خطبته بالإشارة إلى وضع الناس يوم القيامة وبيان حقيقـة مهمـة، وهي أن الحساب سوف يشـمل على كل الناس جميعهم يوم القيامـة حتى يكاد أحـدهم لا يجد لقدمه موضـعاً لشدة الزحام يوم المحشـر، ثم ينتقل أمير المؤمنين ليتكلم عن الفتن المحدقـة بالعراق عامـة وأهل البصـرة خاصة، لعلهم يسـتعدون جيداً لها؛ إذ يتمكنون من التقليل من خسائرها، ومن شدة هذه الفتن التي لا يقف في طريقها شـيء، شـبهها الإمام بالليل المظلم ولم يكتف الإمام بهذا التشبيه، فقد شـبهها لاحقاً بالناقة، إذ أن قوله: «مَزْمُومَةً(5) مَرْحُولَةً يَحْفِزُهَا قَائِدُها» هذه صـفات الناقة التي تكون معدة للركوب(6) ، ثم بيّن الإمام بعد ذلك صفات القوم الذين يجاهدون أصحاب تلك الفتنة، ويتمكنون من

1- مزمومة: تقال للدابة التي يجعل فيها زمام لقيادتها، ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 202

2- شديد كلبهم: الكَلَب داء يصيب الإنسان يؤدي به للموت المحتم، ينظر: الفراهيدي، العين، 1/ 444

3- رهج: الغبار، ينظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الأثر، 2/ 67

4- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 170- 171؛ الكليني، الكافي، 4/ 31

5- مزمومة: تقال للدابة التي يجعل فيها زمام لقيادتها، ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 202

6- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 258

القضاء عليها وإخماد نارها في ما بعد، وفي نهاية هذه الخطبة يوجه الإمام كلامه إلى البصـرة محذراً؛ إذ قال: «فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذلِكِ» ولعل الـذي يطلع على هذا الكلام يجد أن تلك الفتنة وآثارها لن تعم البصـرة وحدها، بل هي سـتكون إحدى أشد المناطق تعرضاً لآثارها وتبعاتها، وأيضاً من كلام الإمام أن تلك الفتنة القادمة انتقام إلهي أو من جزاء أعمال الناس المنحرفة(1) .

وثمـة سؤال يطرح نفسه هنا هو من هم هؤلاء القوم وتلك الفتنـة، التي حذر منها الإمام؟ والحقيقة هناك اختلاف بين شُرّاح نهج البلاغة في بيان من هم هؤلاء القوم، فقيل أنهم المغول، وهـذه هي فتنتهم التي عمت طويلاً بعـد أن عاثوا في الأرض فساداً(2) ، بينما قيل إنهم الزنج، وهو الأرجح، فالكلام هنا عن فتنة الزنج، وقائدهم علي بن محمد(3) الذي تمكن من جمع عدد الزنج حوله؛ إذ نهض سنة255ه، وأثار فتنة عظيمة في البصرة وعرف فيها ب (صاحب الزنج)(4) وقد روي أنّه قتل عدداً كبيراً من الناس وصل إلى ثلاثمائة

1- بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة، ط3، مركز النشر الإسلامي، إيران، 147ه، 107

2- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 14

3- هو علي بن محمد الورزنيني الملقب بصاحب الزنج، من كبار أصـحاب الفتن في العصـر العباسـي وقد لقب بصاحب الزنج، حيث أن أغلب أتباعه منهم، ولد ونشأ في ورزنين، إحدى قرى الري، ظهر في أيام المهتدي العباسـي سـنة255ه، اختلف في عدد جيشه حتى أوصله البعض إلى ثمانمائة ألف شخص، كان شاعراً له أبيات جميلة تناولها العرب، قتله الموفق العباسي سنة270ه، ينظر: المرزباني، أبو عبيد الله بن عمران، (ت384ه- 994م)، معجم الشعراء، دار صادر، لبنان، د. ت،، 29؛ ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 4/ 18

4- التستري، بهج الصباغة، 3/ 2374

ألف حين دخوله البصـرة، وعلى الرغم من هـذا الرقم فهو مبالغ فيه بشـكل كبير ولا يخضع للمنطق، إلا أننا نجـد أن المؤرخين حينما كانوا يذكرون واقع البصـرة كانوا ينقلون أن ما عاشـته المدينة في تلك الفتنة من ظروف صـعبة لم تمر بها سابقاً، إذ جعلت الناس يقتلون الكلاب والقطط ويأكلونها، مثلما كانوا أحياناً يأكلون ميتة الإنسان(1) ، وهذا ما عبر عنه الإمام في خطبته بقوله:

(وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكُ بِالْمَوْتُ اَلْأَحْمَرِ وَاَلْجُوعِ اَلْأَغْبَرِ)، هناك خطب أخرى تطرق فيها الإمام علخ)عليه السلامي إلى صاثب الزنج, إذ قال فيها: « يَا أَحْنَفُ(2) كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ اَلَّذِي لاَ يَكُونُ لَهُ غُبارٌ وَلاَ لَجَبٌ(3) وَلاَ قَعْقَعةُ لُجُمٍ وَلاَ حَمْحَمِةُ خَيْلٍ يُثِيرُونَ اَلْأَرْضَ بأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّها أَقْدَامُ اَلنَّعَامِ»(4) ، فقد ذكرنا سابقاً أن حركة الزنج قامت في البصرة سنة255ه، إذ قام بها العبيـد بقيادة علي بن محمد الذي نسب نفسه لزيد بن علي السـجاد (عليه السلام)، وهذا كلام مشكوك فيه، إذ أن جمهور النسابين يشكون في نسبه وعلى الأرجح أنه من عبد القيس، إذ قيل إن أفعاله لا تنم عن كونه علوياً، وأنه على الأرجح كان على مذهب

1- المسعودي، مروج الذهب، 4/ 119

2- هو الاحنف بن قيس من أشـراف البصرة وأحد صحابة رسو الله"، أرسله إلى البصرة لنشر الإسلام فيها، شارك في معركة صفين مع الإمام علي بن أبي طالب (عليه السـلام)، كان سيد تميم، أصبح والياً لخراسان في عهد الأمويين، كانت له مكانة عند مصعب بن الزبير، وقد توفي في الكوفة سنة72ه، ينظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7/ 66؛ البلاذري، انساب الأشراف، 206

3- لجب: تقال عن الجيوش وكناية عن كثرة أصوات المقاتلين وصهيل الخيل، الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 418

4- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 213

الأزارقة إحدى فرق الخوارج(1) ، ومن هنا يتضح أن انتساب صاحب الزنج للإمام السجاد (عليه السلام) كان هدفه إعطاء الشرعية لحركته اللاشرعية، والاستفادة من مكانة آل البيت، في هذا الصدد، وقد ورد حديث عن الإمام العسكري حينما سئل عن صاحب الزنج؛ لأنه ظهر في عصر الإمام (عليه السلام)، وقد قال عنه: (صاحب الزنج ليس منا أهل البيت)(2) ، والحقيقة التي يجب أن تقال هي هنا أن فتنة الزنج تلك كانت من أشد الفتن خطورة، لاسيما على أهل البصرة، إذ يذكر المؤرخون أنها كادت تسقط الدولة العباسية لولا نجاح الجيش العباسي سنة270ه، في القضاء عليها، إذ قتل أغلب قادتها بما فيهم علي بن محمد، فضلاً عن قتل أعداد كبيرة، وتفرّق الباقون وفروا إلى الأمصار(3) .

أما في ما يخص الأوصاف التي ذكرها الإمام علي (عليه السلام) عن جيش الزنج الذي لا يكون له غبار، والمعروف هنا ان حركة الجيوش تثير الغبار الشديد، بينما نجد أن هذا الجيش لا غبار له؛ والسبب في ذلك أن جنوده كانوا حفاة، إذ أنهم لم يكونوا يملكون خيولاً لركوبها؛ لأنهم من العبيد الحفاة، وقد بين الإمام ذلك بقوله:«وَلاَ لَجَبٌ وَلاَ قَعْقَعَةُ لُجُمٍ وَلاَ حَمْحَمَةُ خَيْلٍ»، وقد شبه أمير المؤمنين أقدام الزنج بأقدام النعام بقوله:« يُثِيرونَ اَلْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا

1- المسعودي، مروج الذهب، 4/ 24

2- المجلسي، بحار الأنوار، 63/ 197

3- ابن الجوزي، المنتظم، 3/ 451؛ ابن الأثير، الكامل، 10/ 312؛ ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية، 93

أَقْدَامُ اَلنَّعَامِ»؛ لأنها اتسعت بسبب سيرهم حفاة(1) .

أما في القسم الآخر من خطب الإمام (عليه السلام) عن البصرة فقد قال:

«وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ اَلْعَامِرَةِ مِن واَلدُّورِ اَلْمُزَخْرفَةِ اَلَّتِي لَهاَ أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَة اَلنُّسُورِ وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ اَلْفِيلَة مِنْ أُولَئِكَ اَلَّذِينَ لاَ يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ وَلاَ يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ أَنَا كَابٌ(2) اَلدُّنْيَا لِوَجْهِهَا وَقَادِرُها بِقَدْرِها ونَاظِرُها بِعَيْنها...»(3) والذي يتضح من هذا الكلام أن البصرة كانت عامرة؛ إذ كانت بيوتها كالقصور مزودة بالشرفات وخراطيم المياه، وكل هذا العمران دُمرَ على يد الزنج لاحقاً، أما عبارة الإمام عن الزنج «لاَ يُنْدَبُ قَتلُهُمْ وَلاَ يُفْقَدُ غَائِبُهُمْ»، هذه إشارة إلى أنهم لم يكونوا لديهم زوجات وأولاد؛ وذلك لعدم زواجهم ونتيجة ذلك أذا ما قتلوا فلا يوجد من يندبهم، أو يبكي عليهم، وفعلاً كانوا كذلك، لأن هؤلاء العبيد الذين كانوا يُجلبون اغلبهم من أفريقيا لغرض العمل الجائر، وامتهان كرامتهم وحقوقهم بعيداً عن تعاليم الإسلام مما كان السبب الرئيس لقيامهم ضد الدولة(4) ، وأخيراً أختتم الإمام علي كلامه بالقول: «أَنَا كَابُّ اَلدُّنْيَا لِوجْهِهَا» وهو بهذه الكلمات يشير إلى تفاهة الدنيا بكل متاعها وزينتها عنده؛ إذ جعلت الناس يتجهون إلى متاع الدنيا وبهرجها الخداع تاركين حقوق العبيد الذين حولوهم لمجرد خدم

1- الخوئي، منهاج البراعة، 2/ 206

2- كابٌ: تقال عن الشيء الذي يكب ويرمى، ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، 2/ 106

3- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 213

4- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 226

يأتمرون بأوامرهم حتى انقلبوا عليهم وساموهم مر العذاب(1) ، وهذه الكلمة تشبه إلى حد بعيد كلام النبي عيسى بن مريم (عليه السلام)، حينما قال: (أنا الذي كببت الدنيا على وجهه ليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرّب، وسادي الحجر، وفراشي المدر)(2) .

وفي ختام كلامنا عن هـذه الخطبة التي أخبر بها عن مسـتقبل البصـرة نقول: أن هنالك تفسـير جديد ظهر حاول أن يطبق كلام الإمام (عليه السـلام) هذا على العصـر الحالي من خلال الاحتلال الأمريكي على العراق عام (1425ه. 2003م)؛ لأن الدبابات والجند يسـيرون على الإسـفلت ولا يثيرون الغبار، كذلك لـم تعد الخيول تسـتخدم في هذا الوقت بحيث لا تثير الخيول أي أصوات، فضلاً عن حداثة العمران وما مسـتخدم فيه في الوقت الحاضـر من زخارف وقصور مرتفعـة تسـتند إلى الأعمدة الخراسانية التي تشـبه إلى حد كبير خراطيم الفيلة، وسواء أخـذنا بالقول القائل ان المراد من هذا الكلام صاحب الزنج أو الرأي الآخر، فان تطبيق كلام أمير المؤمنين (عليه السـلام) على هذه أو تلك يبقى في دائرة الاحتمال والتخمين لقطع الشك باليقين والمعرفة الحقيقية والواضحة للمقصود بهذا الكلام مع القول هنا ان عدم صحة تطبيق هذه الحادثة لا يسري على كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يقبل الشك والقطع(3) .

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 226- 227

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 8/ 126

3- علي سبيتي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، 264- 265

3- ظهور المغول:

تنبأ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بخبر غيبي آخر وهو ظهور المغول وسيطرتهم على بلاد المسلمين بصورة عامة والعراق بصورة خاصة، إذ كان التأثير السلبي الأكبر على ذلك البلد كونه عاصمة الخلافة العباسية في ذلك الوقت، وتعرضه لأكبر الأضرار، لاسيما البصرة، إذ لقيت منهم أعظم البلاء وأشنعه، فقد تكدست الجثث في الطرقات والأزقة وحل بالناس منهم خوف عظيم(1) ، وقد جاء في كلام الإمام علي (عليه السلام) قوله: «كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ اَلْمَجَانُّ اَلْمُطْرَقَةُ(2) يَلْبَسُونَ اَلسَّرَقَ(3) وَالدِّيبَاجَ(4) وَيَعْتَقِبُونَ اَلْخَيْلَ اَلْعِتَاقَ وَيكُونُ هُنَاكَ اِسْتِحْرَارُ قَتْل حَتَّى يَمْشِيَ اَلْمَجْرُوحُ عَلَى اَلْمَقْتُولِ وَيَكُونَ اَلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ اَلْمَأْسُورِ»(5) .

من خلال هذه الخطبة يتضح الخيط الأبيض من الخيط الأسود ولاسيما للمشككين بنهج البلاغة الذين زعموا أن هذا الكتاب قام بوضعه الشريف الرضي، وأنهَّ ليس كلام أمير المؤمنين (عليه السلام)، بينما المتتبع للحقائق التاريخية بدون أي تعصب أعمى يجد أن الشريف الرضي قد فرغ من جمع

1- محمد مهدي شمس الدين، دراسات في نهج البلاغة، 236- 237

2- المجان المطرقة: وتعني طرق الحديد حتى يعرض وهي كناية عن عرض وجوه المغول، ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، 2/ 286

3- السرق: هو أحد أجود أنواع الحرير، ينظر: الفراهيدي، العين، 3/ 381

4- الديباج: أحد أنواع الثياب الثمينة، ينظر: ابن سيدة، المخصص، 1/ 333

5- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 213- 214؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 397

نهج البلاغة سنة400ه، بينما وفاته كانت سنة406ه(1) ، أما الهجمات المغولية بدأت سنة617ه، على البصرة وغيرها من الأمصار الإسلامية(2) أي بعد أكثر من مائتي سنة من وفاة الرضي، فكيف أمكنه وضع هذه الخطبة ونسبها إلى الإمام علي (عليه السلام) والتي اخبر فيها عما سيحدث في مستقبل البصرة؟ ولو جزمنا أصلاً أن الرضي بلغ هذا المستوى العلمي والعقلي الذي يؤهله إلى التنبؤ بالأخبار المستقبلية وهو أحد أحفاد أمير المؤمنين فكيف يكون علم علي (عليه السلام) الذي قال عنه حبر الأمة عبد الله بن عباس: (والله لقد أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وايم الله لقد شارككم في العشر العاشري)(3) ، ومن خلال تلك الخطبة وما تقدم ذكره تظهر الحقيقة الساطعة كالشمس في عنان السماء، لتخرس كل ألسن المشككين بنهج البلاغة والشريف الرضي الذي قام بجمع كلام الإمام ووضعه في هذا الكتاب، ومن خلال العودة لكلام الإمام في تلك الخطبة نجد انه قد بدأ بإعطاء صفة المغول، إذ شبه وجوههم بالدروع بعد ان تدق بالمطرقة إذ تصبح عريضة وكبيرة، وقد نقل ابن أبي الحديد الذي عاصر المغول وشاهدهم بأم عينيه، إذ قال في شرحه لهذه الخطبة: (واعلم ان هنذا الغيب الذي أخبر به (عليه السلام) قد رأيناه نحن عياناً ووقع في زماننا وكان الناس ينتظرونه من

1- ابن معصوم، صدر الدين علي خان المدني، (ت1119ه- 1707م)، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ط2، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة بصيرتي، إيران، 1397ه، 1/ 494

2- التستري، بهج البلاغة، 5/ 541

3- أحمد، مسند أحمد، 1/ 96؛ النسائي، سنن النسائي، 1/ 32؛ ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت273ه- 1887م)، سنن ابن ماجة، تحقيق: محي فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، لبنان، بلا. ت، 1/ 42

أول الإسـلام حتى ساقه القضاء والقدر إلى عصرنا، وهم التتار الذي خرجوا من أقاصي المشرق حتى وردت خيلهم العراق والشام وفعلوا ما لم تحتوي التواريخ من خلق الله تعالى آدم إلى عصرنا هذا)(1) ، وقد أورد اب أبي الحديد في كلامه عن المغول وصفاتهم أكثر من خمسة وعشـرين صـفحة في كتابه شـرح نهـج البلاغة محاولاً تسـليط الضوء عليهم وذكر بعض أخبارهم، وبالعودة للخطبة نجد أن الإمام اسـتمر بإعطاء صـفات المغول، فقد وصفهم أنّهم يلبسون الملابس الجيدة المتمثله بالحرير وغير ذلك، وهذا الكلام له معانٍ كثيرة وكبيرة، إذ يتضح أن الإمام أراد ان يوصل صورة مفادها ان هؤلاء كانوا يلبسون الملابس الخشـنة والرديئـة في بادئ الأمر لشدة فقرهم، وبعد ان اسـتولوا على البلاـد الغنيـة وسـيطروا عليهـا وعلى ثرواتها تغير حالهم نحو الأفضل وتحولوا إلى لبس الثياب الفاخرة، واقتناء أفضل الجياد(2) ثم يتحول أمير المؤمنين (عليه السلام) لتبيان حقيقة مهمة وهي:

«وَيَكُونُ هُنَاكَ اِسْتِحرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ اَلْمَجْرِحُ عَلَى اَلْمَقْتُولِ وَيَكُونَ اَلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ اَلْمَأْسُورِ».

ولعل كلام الإمام هنا واضـح لا يحتاج إلى شـروح، فهو قـد أعطى صورة واضـحة عن الفاجعـة الكبيرة التي سـتحل بالعراق عامـة والبصـرة خاصة؛ إذ تملأ الأرض بالجثث حتى يضيق المكان بالجرحى فيضطرون للمشي على جثث

1- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 8/ 218

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 232

القتلى لكثرتها؛ إذ ضاقت بهم الأرض الواسعة(1) ، ومع ذلك فإن الإمام بيّن هـذه الحقيقـة المهمة، وهي أن عدد الناجين من تلك الكارثة قليل جـداً موازنـة مع عـدد القتلى، وقد وصف ابن الأثير(2) في حديثه عن أحداث سـنة617ه وخروج المغول إلى بلاد المسـلمين بقوله: ((لقد بقيت عدة سـنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة اسـتعظاماً لها كارهاً لذكرها، فأنا أقدم إليه رجلاً، وأؤخر أخرى، فمن الذي يسـهل عليه أن يكتـب نعي الإسـلام والمسـلمين ومن الـذين يهـون عليهم ذكر ذلـك، فيـا ليت أمي لم تلـدني، ويـا ليتني مت قبـل هـذا وكنت نسـيا منسياً))(3) .

ومن خلال ما تقـدم ذكره يبرز تساؤل مهم مفاده لماذا حذر الإمام علي (عليه السـلام) من فتنة المغول على الرغم من وقوعها بعده ما يقرب من سـتمئة سـنة؟ والجواب هنا يكون بسـبب ما لاقاه أمير المؤمنين (عليه السـلام) من أهل البصرة إبان حرب الجمل حينما عادوه ورفضوا طاعته، هنا أراد الإمام تذكيرهم أنّ أعمالهم هذه وفي هذا الوقت وما فعلتموه من إتباع للشـيطان والضلال عن طريق الحق وسلككم للباطل حتى وقعتم في حبائل الشيطان، وهذه الأعمال

1- الخوئي، منهاج البراعة، 3/ 211

2- ابن الأـثير: هو علي بن محمـد بن عبـد الكريم الجزري، أبو الحسن عز الـدين بن الأثير، ولـد سـنة555ه في جزيرة ابـن عمر، نشـا في الموصل، مؤرخ كبير وعالم بالأنساب والأدب، تجول في العديـد من البلدان، له العديد من المؤلفات أبرزها الكامل في التاريخ الذي انتهى به إلى سنة629هن وكـذلك له أسد الغابة في معرفة الصـحابة وغير ذلك، توفي في الموصل سـنة630ه، ينظر: الـذهبي، تذكرة الحفاظ، 4/ 399؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، 7/ 84؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، 77

3- ابن الأثير، الكامل، 9/ 304

ستورث إلى أجيالكم القادمة الذين سيشـهدون عواقب وخيمة تطالهم بسبب سوء أعمالكم التي تكون سبباً في العقاب الإلهي(1) ، وهناك من رأى أن الإمـام قصـد من كلاـمه هـذا تحـذير هؤلاـء القوم، أهـل البصـرة من البلاء العظيم الـذي ينتظرهم، وهنا يجب عليهم الاتحاد والتمسك بطريق الحق والإيمان والحذر من طرق الشيطان الذي يغريهم بها محاولة منه لتقليل الخسائر الفادحة التي ستلحق بهم(2) ؛ لأن المغول كانوا يعيشون حياة قاسـية مما جعلت منهم رجالاً أشداء ومقاتلين شرسين عرف عنهم قوتهم الكبيرة وصبرهم وتأقلمهم مع مختلف الظروف، إذ عرف عنهم أكلهم لحوم الميتـة، والكلاب، والخنازير، القطط، كـذلك كانوا يصـطادون الحيوانات المفترسـة ويتفاخرون بلبس جلودها مثل الأسود، والضـباع، والنمور، والذئاب، حتى كانوا أشبه شيء بالوحش(3) ، أما طرائق تصـرفهم مع المدن التي يسيطرون عليها وأهلهـا فكـانت تقوم على سبي النسـاء والأطفـال وقتـل الرجال وحرق المـدن التي يـدخلونها واعتماد سـياسة بث الرعب، والخوف، وإراقة الدماء، من غير أي وازع ديني أو أخلاقي يردعهم، ولعل هذا هو السـبب الذي دعا الإمام علي (عليه السـلام) غلى التحذير منهم بسـبب ما يقترفوه من جرائم(4) ، وبعد أن فرغ الإمام من ذكره لبعض ما سـتلاقيه البصـرة في مسـتقبل الأيام قال بعض أصـحابه: (لقد أعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك الإمام (عليه السلام) وقال للرجل وكان كلبياً:

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 233

2- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، مطبعة دار الحديث، إيران، 1416ه، 3/ 391

3- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 234

4- المجلسي، بحار الأنوار، 35/ 251

«يَا أَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ وَإِنَّمَا عِلْمُ اَلْغَيْبِ عِلْمُ اَلسّاعَةِ»(1) ، والحقيقة قول أحد أصحاب الإمام أنّه أعطي علم الغيب، جاء بعد أن أخبر أمير المؤمنين عن فتنة الزنج والمغول، ومن خلال كلام الإمام لهم عن علم الغيب نجد أنه أراد ان يبين لهم أن علم الغيب مختص بالله تعالى وحده أما علمه فهو تعلم من ذي علم تعلمه من رسول الله ودعا بأن يعيه صدره، وتضطم عليه جوانحه(2) ، وقد أراد الإمام من إجابته هذه للشخص الذي سأله عن علم الغيب أن يوضح له صدق كلامه ومطابقته لكلام الرسول"، فأن معنى تعليم الرسول" له (عليه السلام) لهذه العلوم هو إعداده لنفسه على طول الصحبة وتعليمه له كيفية السلوك وأسباب تطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة حتى تستعد لاستقبال الأمور الغيبية، والأخبار بها، وأكد ذلك الإعداد دعاءه (عليه السلام) الصادر عن نفسه القدسية(3) .

ثانياً- الكوفة:

مما لاشك فيه أن الكوفة كانت مسرحاً لأقسى الأحداث على مر التاريخ الإسلامي، فقد شهدت جرائم دامية بحق أهلها، مارستها الدولتان الأموية والعباسية، وقد بيّن أمير المؤمنين (عليه السلام) ذلك وحذر من المستقبل المرير الذي ينتظر هذه المدينة، ليس هذا فقط بل أوضح الإمام العاقبة السيئة لأولئك الذين اقترفوا الجرائم بحق هذه المدينة وأهلها؛ إذ قال عليه السلام في إحدي

1- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 214

2- علي سبيتي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، 310

3- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 1/ 294

كلماته: «كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ اَلْأَدِيمِ اَلْعُكَاظِيِّ(1) تُعْرَكِينَ(2) بِالنَّوَازِلِ(3) وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلاَزِلِ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلاَّ اِبْتَلاَهُ اَللهُ بِشَاغِلٍ(4) أَوْ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ»(5) بدأ الإمام حديثه عن الكوفة بالتنبؤ بمستقبل هذه المدينة وما سيحدث فيها من أحداث جسام(6)، بينما هنالك رأي آخر في نهج البلاغة ذهب إلى أن قول الإمام علي (عليه السلام) هنا قصد به كبر الكوفة واتساعها جغرافياً، بحيث شبهها الإمام بالجلد العكاظي الذي له قابلية التمدد والتوسع بعد ان يدبغ، والمعروف أيضاً ان هذا النوع من الجلود جميل، ومن ارغب الجلود لدى العرب ولعل كلام الإمام هنا يوحي إلى مدى العمران والتوسع الذي ستصبح به الكوفة في مستقبل الأيام(7)، وسواء كان هذا الرأي أو ذاك،

1- الأديم العكاظي: هو الجلد المنسوب إلى سوق عكاظ الذي يقع بين نخلة والطائف في الصحراء، والذي كان العرب يجتمعون فيه من بداية شهر ذي القعدة، وأكثر ما كان يباع في ذلك السوق هو الجلد، إذ كان يعرض لمدة عشرين يوماً وكان يعرض بكثرة لوفرة الإبل والأغنام في تلك المنطقة آنذاك وقد عرف عن ذلك الجلد قابليته للتمدد الشديد بعد الدباغة، ينظر: ابن الأرزقي، محمد بن عبد الله بن أحمد، (ت25ه- 865م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: ناصر النويني، دار الحرمين، السعودية، د. ت، 129

2- تعركين: العرك يقال عن عرك الأديم عند الدباغة، وتقال عن تعارك القوم في الحرب وهي تقال أيضاً عن الخصومة وكثرة الصراع، ينظر: ابن سيدة، المخصص، 1/ 491

3- النوازل: هي المصائب الشديدة التي يجيء بها الدهر للناس، ينظر: الفراهيدي، العين، 2/ 87

4- شاغل: هو الشيء الذي ينشغل به الإنسان فيقال شغل ومشغول، ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 1/ 488

5- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 89؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 307

6- المجلسي، بحار الأنوار، 97/ 385

7- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 2/ 333- 334

فالراجح عندنا ان الاثنين صحيحان سواء ما تلاقيه الكوفة من ظلم وجور من حكامها، أو من خلا توسعها وتمددها مثل الجلد العكاظي لتصبح مدينة كبيرة، ولم يقتصر كلام الأمير عند هذا الخبر الغيبي في نهج البلاغة عن توسع الكوفة بل امتد ليصل إلى حد الإخبار عن مصير من يحاول التعرض لهذه المدينة بالسوء، إذ قال عن ذلك: «وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلاَّ ابْتَلاَهُ اَللهُ بِشَاغِلٍ أَوْ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ» ومن هذا الكلام يتضح ان الذي يحاول المساس بهذه المدينة سوف يصاب بالأمراض الصعبة وسيبتليه الله بمختلف صنوف العذاب والآلام الدنيوية قبل الأخروية حتى تشغلهم عن ما يمكن أن يلحقوه من أذى بالناس، أو قد لا يقتصر الأمر عند ذلك فقط، بل سوف يسلط الله عليه حوادث أخرى، وقد تكون متمثلة بأعدائه من أجل القضاء عليه وسومه العذاب(1) ، وهنالك أمثلة تاريخية كثيرة عما شهدته هذه المدينة من ظلم ومن ذلك ما ذكره ابن الجوزي(2) عما فعله زياد بن أبيه بأهل الكوفة حينما حصبه(3) الناس وهو يخطب على المنبر، فقطع أيدي ثمانين منهم بعد أن جمعهم في

1- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 1/ 273

2- ابن الجوزي: هو أبو الفرج جمال الدين بن عبد الرحمن بن علي، ولد سنة508ه في العراق، وهو علامة وشيخ وحافظ للقرآن ومحدث وعالم أهل العراق، له الكثير من المؤلفات أبرزها، المنظم والتبصرة وتلبيس ابليس وغيرها الكثير، توفي سنة (597ه/ م)، ينظر: الذهبي، شمس الدين بن محمد بن احمد، (ت748 ه- 1347م)، تذكرة الحفاظ، دار إحياء التراث العربي، لبنان، بلا ـ ت، 4 / 131 - 132؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت911ه- 1505م)، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، لبنان، بلا. ت، 17

3- حصبه: وهي بمعنى رموه بالحجارة أو الحصى الصغيرة، ينظر: ابن سيدة، المحكم والمحيط الأعظم، 1/ 468

المسـجد وطلب منهم البراءة من الإمام علي (عليه السـلام)، وعلم أنهم سيمتنعون فيحتج بذلك على استئصالهم وإخراب بلدهم، وبعدها خرج أحـد أتبـاع زياد قائلاً: (انصـرفوا فأن الأمير يقول لكم إني مشـغول عنكم اليوم)، وإذا بالطاعون قـد ضـربه، فكان يقول إني لا أجـد في النصف من جسـدي حر النار حتى مات وهو هذا الحال(1) ، والشـيء الذي يقال هنا عن الكوفة أنها فعلاً اتسـعت بعد زمن الإمام بشكل كبير، إذ كانت على الدوام مركز استقطاب للفتن والحوادث المختلفة، التي كان الله يدفع شرها عنها(2) .

السؤال الـذي يطرح نفسه هنا وبقوة هو ما الـذي تنتظره الكوفـة في مسـتقبل الأيام؟ وهل ينطبق ذلك على العراق؟؛ وذلك لأن الكوفة كانت تمثل العراق، ومن هنا يتضـح ما سـيلاقيه هذا البلد من ظلم، واضـطهاد، وآلام كثيرة على مر العصور والدهور، وما سـيفعله به الطغاة، على كثرتهم من الـذين مروا بـالعراق من ذلـك التاريـخ إلى الآـن، والسؤال الآخر المهم الـذي يبرز هنا هو هل ما تحـدث به الإمام علي (عليه السـلام) عن الكوفة أراد به الإشارة إلى حقبة زمنية معينة، قد تكون حقبة الأمويين مثلاً، أو أن هذا الكلام يسـير على الكوفة على مر الزمن؟ وان كان كـذلك، وهل ما زالت الكوفـة خاصـة والعراق عامة يعاقبان بسـبب ولائهما لأمير المؤمنين (عليه السـلام) مثلما عاقبهما الأمويون سابقاً، وهنالك كلمات عدة للإمام علي (عليه السلام) عن هذه المدينة تكشف لنا

1- ابن الجوزي، المنتظم، 5/ 152

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 2/ 334

حقيقة العلاقة بينه وبينها، إذ قال عنها: (هذه مدينتنا ومحلتنا ومقر شيعتنا)(1) ، وكذلك قال عنها: (تربة تحبنا ونحبها)(2) ، وكذلك يستوقفنا منا ذكره ياقوت الحموي في معجم البلـدان عن مدينـة الكوفة، إذ قال: (كان علي (عليه السـلام) يقول: «الكوفة كنز الإيمان وحجة الإسـلام وسـيف الله ورمحه يضـعه حيث شاء والذي نفسـي بيده لينتصرن الله بأهلها في شرق الأرض وغربها كما انتصر بالحجاز»(3) ، أما في ما يخص مسـجدها وفضـله، فقد ورد في الروايات أن الركعتين فيه تعدلان عشـراً في ما سواه من المساجد، فالبركة منه إلى اثني عشـر ميلاً من حيث ما أتيته(4) ، وقد قال عنه الإمام علي (عليه السـلام): «يحشـر يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ووسرطه روضة من رياض الجنـة وفيه ثلاث أعين الجنـة تـذهب الرجس وتطهر المؤمنين لو يعلم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبواً»(5) ، وكذلك هناك قول لرسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) عن هـذه المدينة وفضـلها جاء فيه: «الكوفة جمجمة العرب، ورمح الله تبارك وتعالى، وكنز ايمان»(6) ، فضلاً عما نقل عن الصادق (عليه السلام)، إذ

1- الراوندي، منهاج البراعة، 1/ 83؛ ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 1/ 147

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 3/ 198

3- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 17

4- ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 18

5- السبزواري، محمد بن محمد، (ت700ه- 1300م)، جامع الأخبار، تحقيق: علاء آل جعفر، مطبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1413ه، 177

6- الكليني، الكافي، 6/ 243

دعا إلى الكوفة قائلاً: «اللهم أرِم من رماها وعادِ من عاداها»(1) .

ومن خلال ما تقدم نقول: أن الكوفة مدينة الإمام التي جعلها عاصمة للخلافة الإسلامية وان أغلب أهل هذه المدينة من الذين كانوا يدينون بالولاء والطاعة لأهل بيت رسول الله ومن الأتباع المخلصين، إلا أن السياسة التي اتبعها الأمويون من نشر لجواسيسهم وشرائهم للذمم بالأموال وما تبعه لاحقاً من تسليط للطغاة على هذه المدينة أسهم بشكل كبير في ما لحق بها من ظلم وعذاب، إذاً فمن كلام الإمام (عليه السلام) عن هذه المدينة ومدحه لها يتضح لنا أن المقصود من هذا الكلام أتباع الإمام المخلصين والثلة المجاهدة في الله والتي لا تأخذها في الحق لومة لائم(2) .

وهنالك خطبة أخرى لأمير المنؤمنين (عليه السلام)، وقد تطرق فيها لمستقبل الكوفة، مع العلم أننا قد تطرقنا لشرحها وعرضاها سابقاً وهي خطبة ناعق الشام التي تكلم فيها الإمام على ظلم عبد الملك بن مروان، إذ إن ذكر الكوفة في تلك الخطبة يجبرنا على التعرض لما جاء بحق الكوفة في تلك الخطبة منعاً للتكرار، وقد جاء في تلك الخطبة قول الإمام علي (عليه السلام)::

«وَكَمْ يَخرِقُ اَلْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ(3) وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِن عَاصِفٍ وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ

1- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغ، 3/ 198

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 2/ 335

3- قاصف: الرياح الشديدة أو العواصف الرعدية المصحوبة بالبرق، ينظر: الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، 1/ 245

اَلْقُرُونُ بِالْقُرُونِ وَيُحْصَدُ اَلْقَائِمُ وَيُحْطَمُ اَلْمَحْصُودُ»(1) .

وهنا يكرر الإمام علي (عليه السلام) كلامه عن مستقبل الكوفة والفتن القادمة سواء في زمن الدولة الأموية أم العباسية، والحقيقة أن الكوفة على الأزمان عبارة عن بؤرة كبيرة للفتن والاضطرابات المختلفة(2) ، ثم أشار الإمام إلى الحروب الطاحنة التي كانت الكوفة والعراق مسرحاً لها سواء تلك التي قام بها الأمويون أو العباسيون، وقد اختتم الإمام كلامه بالقول: «يُحْصَدُ اَلْقَائِمُ وَيُحطَمُ اَلْمَحْصُودُ»، وهنالك رأيان في هذا الكلام فقد ذهب البعض إلى القول أن هذا الكلام معناه كناية عن الأضرار والخسائر التي ستلحق بأتباع آل البيت، إذ كانوا ملاحقين تحت كل حجر ومدر وكانت تقطع أيديهم وأرجلهم وألسنهم وتسمل عيونهم ويصلبون على جذوع النخيل سنوات، وما فعله ولاة الأمويين خير دليل على ذلك(3) ، أما الرأي الآخر فقد ذهب إلى قول الإمام (عليه السلام) ب «يُحْصَدُ اَلْقَائِمُ» كناية عن قتل أمراء الأمويين في الحرب، وقوله: «يُحْطَمُ اَلْمَحْصُودُ» كناية عن قتل المأسورين منهم صبراً(4) .

أما بالعودة لموقف الكوفة من الإمام فيبرز لنا وجهان لهذه المدينة وموقفها من أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى دعت الإمام في بعض الأحيان لذمها، إذ

1- البرقي، احمد بن خالد، (ت264ه- 888م)، الشريف الرضي، نهنج البلاغة، 1/ 170؛ المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكب الإسلامية، إيران، 1370ه، 41

2- ناصر الشيرازي، نفحان الولاية، 4/ 250- 251

3- التستري، بهج الصباغة، 5/ 624

4- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 6/ 21

ذكرها في إحدى خطبه قائلاً:

«مَا هِيَ إِلاَّ اَلْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ تَكُونِي إِلاَّ أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُك فَقَبَّحَكِ اَللهُ»(1) .

والواضح عندنا هنا ان كلام الإمام عن الكوفة لا ينطبق على أهلها في كل زمان ومكان بل ينطبق على أهل ذلك الزمان الذين لاقى منهم الإمام (عليه السلام) الأمرّين، حتى قال عنهم في إحدى خطبه:

«لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ اَلدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلاً مِنْهُمْ، يَا أَهْلَ اَلْكُوفَةِ مُنِيتُ مِنْكُم بِثَلاَثٍ وَاثْنَتَيْن صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ وَبُكْمٌ ذَوُو كَلاَمٍ وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ لاَ أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْد اَللِّقَاء وَلاَ إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ اَلْبَلاَءِ»(2) .

ومن خلال هذا الكلام يتضح مدى ما لاقاه الإمام من هؤلاء الناس حتى يصفهم بتلك الأوصاف ويتمنى لو أنه أبدل عشرة من الذين معه بواحد من أهل الشام؛ لأنهم كانوا معروفين بطاعتهم العمياء لمعاوية على الرغم من أنه كان يعصي الله(3) ، وهنا يتضح الفرق بين الكوفة، وأهلها والشام وأهلها، أما الأسباب التي جعلت الكوفة تظهر بهذا المظهر المخزي أمام أمير المنؤمنين

1- المسعودي، مروج الذهب، 3/ 149؛ البلاذري، أنساب الأشراف، 2/ 383؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 61

2- الجاحظ، البيان والتبين، 2/ 68؛ الشريف الرضي، شرح نهج البلاغة، 1/ 165؛ الزمخشري، ربيع الأبرار، 1/ 22

3- المحمودي، نهج السعادة، 2/ 402- 403

فهي عديدة, لعل أبرزها أنها مصـرت حديثاً، إذ أنشأت سنة17ه في زمن الخليفـة الثاني لتكون قاعدة حربية متقدمة لمواجه الفرس(1) ، إذن فهي مدينـة بطابع عسـكري بحت، وإن أهلها يشـكلون السواد الأعظم من جيش الإمام علي (عليه السـلام) الذين التحقوا به من مناطق من متعددة، فضـلاً عن انتسابهم لقبائل شتى كان يغلب عليها الصراع والتخاصم، بسبب ضغائن وأعراق قبلية متخلفة، وبسبب كل هذه العوامل فأن أهداف كل فرد وطموحاته وأفكاره تختلف عن الآخر، بينما أهل الشام كانوا في غاية الانسـجام بسـبب وحدة الفكر والهدف(2) ، وذلك أن الشام لم تكن حديثـة الإنشاء بحيث أن أهلها كانوا يعـدونها وطنهم الأم الـذي يجب الـدفاع عنه، وذلك الشـيء الـذي غاب عن الكوفة وأهلهـا، إذ إن أغلبهم كان لـديهم أماكن أخرى متمثلـة بمسـقط رؤوسـهم ووطنهم الأم، حيث أنه كان الملاذ كلما اشـتد عليهم الظروف، كذلك عرف عنهم شدة تعلقهم بالغنائم في الأموال التي كانت هدفاً لا وسيلة لهم، فضلاً عن ذلك هناك حقيقة أساسية هنا وهي أن مجتمع الكوفـة كان خليطاً غير متجانس من العرب والفرس وكانوا قبائل ومناطق شتى لم يكن لـديهم هـدف مشترك بل كانوا مشـتتين(3) ، وحينما كان الإمام بحاجة لهم إلى النصـرة وتقديم التضـحيات كانوا يتوارون عن الأنظار بحجج شتى، ومع كل ما تقدم يبرز عامل آخر هو ضـعف إرادة هؤلاء القوم وسرعة خداعهم وبروز العصبية القبلية التي كانت تحركهم

1- ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، 4/ 15؛ الحميري، الروض المعطار، 1/ 501

2- جعفر العاملي، علي والخوارج، 1/ 51- 52

3- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 195- 196

وتجعلهم يستبدون بآرائهم وإن كانت باطلة، ومثال ذلك ما حدث في صفين وخدعة رفع المصاحف(1) ، فضلاً عن هذه العوامل أن زعماء القبائل وأشرافها كانوا يحصلون على معاملة خاصة في خلافة عثمان بن عفان ولاسيما من ناحية العطاء والامتيازات الخاصة، تلك الأمور التي ما لبثت ان اختفت بعد تسلم أبي الحسن (عليه السلام) لمقاليد الخلافة، وسياسة العدل التي أتبعها، إذ انه كان يوزع العطاء بالتساوي بين جميع أفراد الدولة الإسلامية هادفاً لتحقيق سياسة العدل الإلهي(2) ، ومع ذلك كله فإن معاوية اتّبع سياسة شراء الذمم لكسب ودّ زعماء القبائل وباقي الأفراد من جيش أمير المؤمنين (عليه السلام) ومما تقدم كله يتضح الدور الصعب الذي اضطلع به الإمام (عليه السلام) في مواجه هؤلاء الأفراد من جيشه قبل مواجه عدوه، ولعل ما حققه الإمام من انتصارات في حروبه، مع جيشه هذا أمر أشبه بالمعجزة؛ لأن هؤلاء القوم من الصعب لأي شخص أن يبلغ معهم النصر(3) .

وأخيراً ومن خلال اتضاح الدور الكبير الذي أدته الكوفة متمثلة بأهلها، أي أهل ذلك الزمان، ومدى ما لاقاه الإمام علي (عليه السلام) من هؤلاء الناس وأتباع الأهواء والمصالح الشخصية، يتضح ان المقصود من كلامه هم أهل ذلك العصر، أي عصر الإمام علي (عليه السلام) وزمانه، بحيث لا ينسحب هذا الكلام

1- جعفر العاملي، علي والخوارج، 1/ 50- 51

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 2/ 56

3- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 73

على أهل الكوفـة أو العراق في كل زمان(1) ، ومن هنـا جـاءت روايات أهل البيت التي تشـيد بأهل العراق والكوفـة، ومن ذلك قول الإمام الصادق (عليه السلام):

«الكوفة روضة من رياض الجنة»(2) ، وقوله أيضاً: «أنه ليس بلد من البلدان و مصـر من الأمصار أكثر محبة لنا من أهل الكوفة»(3) ، فضلاً عن ذلك هنالك من ذهب إلى القول: أن الكوفة هي طور سنين التي ذكرها الله عز وجل في كتابه، بل هي الأرض التي تشرفت بأن يرقد فيها نوح وإبراهيم وهود وصالـح و أكثر من ثلاثمائـة وسـبعين نبياً وما يزيد عن سـتمائة وصـياً، فضـلاً عن احتضانها قبر الرجل الذي صارت به أشرف أرض وهو أمير المؤمنين علي (عليه السلام)(4) .

****

1- يوسف سبيتي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، 250

2- المجلسي، بحار الأنوار، 97/ 405

3- الحر العـاملي، محمـد بـن الحسن (ت1104 ه- 1693م)، وسائل الشـيعة إلى تحصـيل مسائل الشـريعة، ط5، تحقيق: عبـد الرحيم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، 1403ه، 2/ 387

4- الصدوق، معاني الأخبار، 2/ 185

المبحث الثاني: الأخبار الغيبية عن فتن آخر الزمان وعصر ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه الشريف)

كثيرة هي الأخبار الغيبيـة التي جاءت في نهـج البلاغة التي صـرح بها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السـلام) عن فتن آخر الزمان، الـذي يسـبق ظهور القـائم المهـدي المنتظر (عجل الله فرجه)؛ إذ تناولت العديـد من خطب الإمام في نهـج البلاغـة هـذا الموضع الـذي سنحاول التطرق له بشكل مفصل في هذا المبحث وعلى النحو الآتي:

أولاً- الأخبار الغيبية عن فتن آخر الزمان:

وردت روايـات عـدّة وكلمـات لأـمير المؤمنين (عليه السـلام) في ذم آخر الزمان، وتحـذر من حجم الفساد الـذي يسود في ذلك العصـر، والسؤال الـذي يتبـادر هنا هو ما المقصود بآخر الزمان الـذي تكلم عليه الأمير (عليه السـلام) وحـذر منه؟ وهناك آراء وروايات عديـدة في ذلك، لعل أهمها رأيين:

الأول، رأي ابن أبي الحديد الذي يقول: (إن آخر الزمان الذي تكلم عليه الإمام علي (عليه السلام) هو زماننا الذي انقلبت فيه الأمور الدينية إلى أضدادها ونقائضها وقد شهدنا ذلك عياناً)(1) .

والآخر، هو الرأي الذي نادى به البعض من المؤلفين، إذ قالوا:" إنَّ المقصود من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) عن آخر الزمان القريب من ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)(2) لما فيه من كثرة الفساد والظلم، قد استندوا في رأيهم هذا على قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«المهدي من ولدي اسمه اسمي وكنيته كنيتي، أشبه الناس بي خلقاً وخلقاً، تكون لم غيبة وحيرة تضّل فيها الأمم، ثم يقبل كالشهاب الثاقب يملأها عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً»(3) ، وغير ذلك الكثير من أحاديث رسول الله وكلمات أهل البيت (عليهم السلام) التي جاءت بحق الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وعصر الظهور المبارك وما يسبق ذلك من فتن كبيرة، حتى يسود في ذلك الزمان الجور والظلم والفساد الذي يجتاح العالم بأسره، وهذا بحد ذاته اعداد لأهل ذلك الزمان من أجل تقبل وجود الإمام الحجة (عجل الله فرجه)

1- ابن ابي الحديد،، شرح نهج البلاغة، 10/ 111

2- ابن المنادي، أبو الحسين احمد بن جعفر، (336ه- 947م)، الملاحم، دار السيرة، إيران، بلا. ت، ص71؛ المفيد، أبي عبد الله محمد بن النعمان، (ت413ه- 2023م)، الإفصاح في إمامة أمير المنؤمنين، ط2، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد للطباعة، لبنان، 1414ه، 60؛ ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 1/ 293

3- ابي داود، سنن ابي داود، 4/ 106؛ الترمذي، سنن الترمذي، 4/ 505؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (ت911ه- 1505م)، العرف الوردي في أخبار المهدي مطبعة هستي، إيران، 1391ه، 59

بصفته المصلح الأعظم ومظهر العدل والإصلاح، وقد أورد أحد شّراح نهج البلاغة بعض العوامل التي تؤدي إلى انتشار الفساد في آخر الزمان، إذ ان أبرزها الابتعاد عن تعاليم الأنبياء وإرشادات الأوصياء وكذلك ازدياد وسائل الفساد والشهوات واتساع حجم الوسائل الدعائية لذلك الفساد لمختلف الأماكن، وأيضاً ازدياد الشبهات في المباني الدينية والأخلاقية من خلال التفسير بالرأي والقراءات المختلفة للمعارف والمفاهيم الدينية، فضلاً عن تسلط حكام الجور والفساد الذين تكون أهدافهم العليا تتمثل في تحقيق المنافع المادية وبذل الجهود الحثيثة من أجل إفساد الناس ولاسيما الشباب من اجل الوصول لأهدافهم الخبيثة(1) .

ومن الخطب التي تكلم فيها أمير المؤمنين (عليه السلام) على آخر الزمان ومحذراً منه قوله:

«وَذَلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومَةٍ(2) إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ أُولَئِكَ مَصَابِيحُ اَلْهُدَى وَأَعْلاَمُ اَلسُّرَى لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ(3) وَلاَ اَلْمَذَايِيعِ اَلْبُذُرِ(4) أُولَئِكَ يَفْتَحُ اَللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ أَيُّهَا اَلنَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ اَلْإِسْلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ اَلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ اَللهَ قَدْ

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 278

2- مؤمن نومة: هو الخامل الذكر الذي لا يؤبه به، ينظر: الجزري، النهاية في غريب الأثر، 5/ 273

3- المسايح: جمع مسياح وهو الذي يسيح بين الناس بالفساد والنمائم، ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 1/ 162

4- المذايع البذر: المذايع جمع مذياع، وهو الذي أذا سمع لغيره فاحشة أذاعها ونوه بها، أما البذر فهو جمع بذور، وهو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه، ينظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الأثر، 1/ 174، 1/ 110

أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ولَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ»(1) »(2) .

أشار الإمام علي (عليه السلام) في هذه الخطبة إلى طبيعة آخر الزمان وكم الشر الذي يسود ذلك العصر الذي يسبق ظهور المهدي (عجل الله فرجه) والملاحظ أيضاً، من هذه الخطبة أن امير المؤمنين (عليه السلام) تطرق إلى خصائص المؤمنين في ذلك الزمان تارة، وإلى وضع الإسلام وأحكامه تارة أخرى، فقال:

«وَذَلِكَ زَمَانٌ لاَ يَنْجُو فِيهِ إِلاَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَة إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ».

الواضح من هذا الكلام أنه كناية عن الأفراد المجهولين وغير المعروفين والذين يكونون مجهولين حينما يعم الفساد في المجتمع؛ لأنهم سوف يصبحون ضحية لحكام ذلك المجتمع الفاسدين.

وبناءً على ما تقدم فإن الظروف السائدة تجبر هؤلاء الأفراد أن يختفوا عن الأضواء، ويعيشوا بعيداً عن الشهرة؛ ليكونوا مجهولين عند من يتعقبهم، مع العلم هنا أن ذلك لن يؤثر على مكانتهم أو يحط من شأنهم وأنهم لن يتخلوا عن دورهم الايجابي في المجتمع(3) بدليل قول الإمام عنهم «أُولَئك مَصَابِيحُ

1- سورة المؤمنون، الآية (30)

2- الكليني، الكافي، 2/ 225؛ الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 171

3- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 276

اَلْهُدَى وَأَعْلاَمُ اَلسُّرى» وما أروع هذا التشبيه فقد مثلهم أمير المنؤمنين (عليه السـلام) بالمصابيح التي تنير الطريق في الليل والتي توضع من أجل أن لا يضيع المسافرون ليلاً(1) .

وأما قول الإمام «لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلاَ اَلْمَذَايِيعِ اَلْبُذُرِ» وهذه العبارة معناها أن هذه الثلة من المؤمنين ليست مفسدة، ولا مثيرة للفتن، أو تنشر الفاحشة(2) ، فالمسياح هو الشخص الذي يسمع لغيره بفاحشة، ويقوم بنشرها، والبذر هو الذي يكثر سفهه ويلغو منطقه(3) ، ثم قال الأمير (عليه السلام) «أُولَئِكَ يفْتَحُ اَللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ ويَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرّاءَ نِقْمَتِهِ».

والـذي يتضـح هنا أن أمير المؤمنين ما يزال عن يتكلم عن تلك الطائفة المؤمنة التي يحفظها الله من شـر الظلمة، وخطوب الزمان، لكونهم أسباب الهداية في سبيل الله(4) .

ثم ينقل الإمام (عليه السلام) إلى موضوع في غاية العناية وهو تحذير الناس من المستقبل الذي ينتظر دينهم الإسلامي؛ «أَيُّها اَلنَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ اَلْإِسْـلاَمُ كَمَا يُكْفَأُ اَلْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ» وهذه كناية رائعة عن انقلاب المفاهيم الإسـلامية كافة رأساً على عقب، ومن هنا جاء تشبيه الإمام للإسلام بالإناء الذي وضعت فيه التعاليم والمبادئ والمعارف والقوانين

1- المحمودي، نهج السعادة، 8/ 102

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 110

3- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 414

4- المصدر نفسه، 3/ 414

والأحكام الإسلامية كافة، وما إن يقلب يذهب كل ما فيه فلا يبقى شيء من محتواه(1) .

وهنا يستوقفنا كلام محمد جواد مغنية(2) ، إذ قال عن هذه العبارة: (يدل سياق الكلام على أن المراد بالزمان المشار إليه، الزمان الذي يعرض الناس فيه عن الدين، ويكتفون منه بإظهار الشعائر، ويدل قول الإمام علي (عليه السلام) «يُكْفَأُ فِيهِ اَلْإِسْلاَمُ» يجب التأكد فيه الرغبات وتنطلق الميول والأهواء، ويكثر فيه التنافس والتباهي بأسباب الدنيا وزينتها، كالسيارات والعمارات والأثاث والرياش كالعصر الذي نعيش فيه، وليس من شك ان أحسن الناس عاقبة حينذاك، هو الرجل المجهول فهو لا ينافس أحداً، ولا أحد ينافسه ويحسده على شيء من الحطام، انه يعمل من اجل قوته بهدوء، ويطيع ربه بلا جعجعة، ويشغله الخوف منه عن الناس وما يعبثون، وهذا هو الرجل المراد بالنومة)(3) ، أما ابن أبي الحديد فقد ذهب أيضاً إلى القول ان ذلك الزمان الذي أشار إليه

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 276- 277

2- هو الشيخ محمد جواد بن محمود بن محمد بن مهدي آل مغنية العاملي، ولد في قرية طبرديا من جبل عامل1322ه، سافر إلى النجف الاشرف، إذ تلقى العلوم في حوزتها، ثم عاد إلى لبنان وتقلد عدة مناصب منها قاضياً شرعياً ثم رئيساً للمحكمة الشرعية العليا، كان مبدعاً في شتى المبادين الإسلامية والاجتماعية والوطنية، كما كان صاحب نتاج علمي كبير وله العديد من المؤلفات أبرزها: كتاب (الفصول الشرعية) وكتاب (مع الشيعة الأمامية) وكتاب (في ظلال نهج البلاغة)، وغيرها الكثير، توفي في لبنان سنة1400ه، ينظر: المحرقي، علي، محمد جواد مغنية، مسيرته، وعطاؤه، مطبعة فخراوي، البحرين،1417ه، 12- 15؛ أحمدي، مهدي، تاريخ الشيخ محمد جواد مغنية، مطبعة المجتمع العلمي للتقريب بين المذاهب، إيران، بلا. ت، ص17- 30

3- محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة، 2/ 104

أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الزمان نفسه الذي شهده ابن أبي الحديد بقوله: (وقد شهدنا ذلك عياناً)(1) .

والملحوظ هنا أن العديد من شُراح نهج البلاغة، حينما كانوا يعلقون على خطبة الإمام هذه يشيرون إلى تلك الصفات الخاصة بذلك الزمان الذي تنطبق تماماً على عصرهم بينما نشاهد أن مسيرة الحياة مستمرة وباتجاه سريع، أي: أن ذلك العصر المقصود لم يأتٌ بعد أو ربما نحن فيه وهو طويـل زمنيـاً، والسؤال هنا المطروح إذا كان كل ما مرت به الأمـة الإسـلامية من عهود ذلك الظلم والفساد والجور، ولم يكن ذلك العصـر الـذي أشار إليه الإمام (عليه السـلام) كيف سـيكون عليه حال الأمـة في تلك المدة المشار إليها.؟، وبالعودة لخطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) نجده أنه يتجه إلى الناس ليكشف لهم عن سبب ابتلائهم بكل هذه الحوادث والملمات، فقال: «أَيُّهَا اَلنَّاسُ إِنَّ اَللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ ولَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ» وهو بذلك يبين ان كل تلك الحوادث جاءت بمثابة اختبار حقيقي للناس، وامتحان لابد أن يخوضوا غماره بمختلف مراتبهم، وقـد يكون موجهاً لفرد ما، أو لجماعـة معينـة؛ إذ يتم من خلاله معرفـة الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق(2) .

وفي ختام خطبة الإمام هذه ختمها بخير الكلام، كلام الله عز وجل:

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 7/ 111

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 277

«إِنَّ فِي ذلِكَ لآياتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ»(1) .

أما الخطبة الأخرى لأمير المؤمنين التي تحدث فيها أيضاً عن آخر الزمان وفتنه، فقد جاء فيها:

«أَيْنَ تَـذْهَبُ بِكُمُ اَلْمَـذَاهِبُ وَتَتِيهُ بِكُمُ اَلْغَيَـاهِبُ وخَـدَعُكُمُ اَلْكَوَاذِبُ وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ فَلِكُـلِّ أَجَـلٍ كِتَـابٌ وَلِكُـلِّ غَيْبَـةٍ إِيَـابٌ فَاسْـتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ وَأَحْضِـرُوهُ قُلُوبَكُم وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ وَلْيُجْمَعْ شَـمْلُهُ وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ اَلْأَمْرَ فَلْقَ اَلْخَرَزَةِ وَقَرَفَهُ(2) قَرْفَ اَلصَّمْغَةِ(3) فَعِنْـدَ ذَلِكَ أَخَـذَ اَلْبَاطِلُ مَآخِـذَهُ، وَرَكِبَ اَلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ اَلطَّاغِيَـةُ، وَقَلَّتِ اَلدَّاعِيَةُ، وصَالَ اَلدَّهْرُ صِيَالَ اَلسَّبُعِ اَلْعَقُورِ، وَهَدَرَ فَنِيقُ(4) اَلْبَاطِلِ بَعْـدَ كُظُومٍ، وَتَوَاخَى اَلنَّاسُ عَلَى اَلْفُجُورِ، وَتَهَاجَرُوا عَلَى اَلدِّينِ، وَتَحَابُّوا عَلَى اَلْكَذِبِ، وَتَبَاغَضُوا عَلَى اَلصِّدْقِ، فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ اَلْوَلَدُ غَيْظاً، وَاَلْمَطَرُ قَيْظاً، وَتَفِيضُ اَللِّئَامُ فَيْضاً، وَتغِيضُ اَلْكِرَامُ غَيْضاً، وَكَانَ أَهْلُ ذَلِكَ اَلزَّمَانِ ذِئاباً، وَسَلاَطِينُهُ سِبَاعـاً، وَأَوْسَـاطُهُ أُكَّالاً أَكَالاً وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتاً، وَغَارَ اَلصِّدْقُ، وَفَاضَ اَلْكَـذِبُ، وَاُسْـتُعْمِلَتِ اَلْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ، وَتَشَاجَرَ اَلنَّاسُ بِالْقُلوبِ، وَصَارَ اَلْفُسُوقُ نَسَباً، وَاَلْعَفَافُ عَجَباً، وَلُبِسَ

1- سورة المؤمنون، الآية (30)

2- قرفه: تعني قشرة، ينظر: الفراهيدي، العين، 1/ 396

3- الصمغة: هي القرحة، وهي أيضاً تعني الشيء الذي يسيل من الشجر، ينظر: الصاغاني، العباب الزاخر، 1/ 352

4- هدر فنيق: وهي تعني صوت فحل الإبل، ينظر: ابن دريد، جمهرة اللغة، 3/ 155

اَلْإِسْلاَمُ لُبْسَ اَلْفَرْوِ مقْلُوباً»(1) ، من المعلوم أن هـذه الخطبة من خطب الملاحم الطويلة في نهج البلاغة وقد حملت في مضامينها الكثير من الأمور من حمد الله والثناء عليه وكذلك الحديث عن فضائل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فضلاً عن كلام أمير المؤمنين (عليه السـلام) عن فتن آخر الزمان، إذ خاطب الناس محـذراً لهم من حوادث المسـتقبل المأساويـة بهـدف التقليل من الخسائر، والأضـرار التي تخلفها تلك الفتن، كـذلك محاولة إرشاد الناس إلى الطرق التي تنجي من تلك الفتن(2) ، وجاء في تلك الخطبـة تساؤل للإمام علي (عليه السـلام) بقوله: «أَيْنَ تَـذْهَبُ بِكُمُ اَلْمَذَاهِبُ وَتِيهُ بِكُمُ اَلْغَيَاهِبُ؟» وهذا التساؤل في الحقيقة عبارة عن تنبيه يصدر عن الإمام محاولاً إيقاظ الناس من غفلتهم، لكي يهيأهم لسماع كلامه المهم(3) ، ثم توجه إلى لفت انتباههم لحقيقـة لا يحجبها غربال وهي حقيقة الموت وانتهاء الإنسـان فقـال: «فَلِكُـلِّ أَجَـلٍ كِتَابٌ وَلِكُلِّ غَيْبَـةٍ إِيَابٌ» وكلام الإمام هنا فيه إشارة إلى ضـرورة أن ينتبه الناس على كون أعمارهم محـدودة وعليهم ان ينتهزوا الفرصة ما دامت العودة سانحة لطريق الرحمن والهداية وتدارك ما فاتهم قبل فوات الأوان(4) .

ثم واصل الإمام كلامه في هذه الخطبة بقوله: «فَاسْتَمِعُوا مِن رَبَّانِيِّكُم وَأَحْضِرُوهُ قُلُوبَكُمْ...»، وهذا الكلام يدل على النصح، والوعظ، والتنبيه الصادر

1- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 1/ 181

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 339

3- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 427

4- الخوئي، منهاج البراعة، 7/ 301

من ولي أمركم الـذي يرسم لكم طريق النجاة من الشـيطان وأعماله، بعـد ذلك بين الإمام علي (عليه السـلام) لأتباعه حقيقة جوهرية بقوله: «فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ اَلْأَمْرَ فَلْقَ اَلْخَرَزَةِ وَقَرفَهُ قَرْفَ اَلصَّمْغَةِ» في هذه العبارة كناية عن توضـيح الحقائق، وبيان خفيات الأمور، كذلك يشـير الإمام لهم إلى أنه قد أخرج عصارة المطالب وجوهرتها، مثلما تخرج تلك المادة اللزجة من الأشجار وتسيل(1) .

أمـا قوله (عليه السـلام): «فَعِنْـدَ ذَلِـكَ أَخَـذَ اَلْبَاطِـلُ مَآخِـذَهُ وَرَكِبَ اَلْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ»، ففي هـذا الكلام إشارة إلى عظم ما يصل إليه الطغيان والفساد في ذلك الزمان المشار إليه، والطغيان هنا قد ينتشـر على مسـتوى المجتمع بصورة عامة أو يقتصـر ذلك على فئة معينة، أو طاغية ما بصورة خاصة، والملحوظ في مثل هذه الظروف هو قلة دعاة الحق الذين يتم إقصاؤهم أو أبعادهم عن المجتمع، وتتبع سياسة تكميم الأفواه بحقهم، ثم يشير إلى ظهور عودة الجماعات المنحرفة، أو المنافقة اثر ضعف دعاة الحق(2) .

وبعـد ذلـك قـال (عليه السـلام): «وَتَوَاخَى اَلنَّاسُ عَلَى اَلْفُجُور وَتَهَـاجَرُوا عَلَى اَلـدِّينِ وتَحَابُّوا عَلَى اَلْكَـذِبَ وَتَبَاغَضُوا عَلَى اَلصِّدْقِ»، وهنا يكشف الإمام عن حقائق خطيرة ويميط اللثام عن واقع مرير ينتظر الأمـة في المسـتقبل القادم، إذ يصـبح الفجور والكذب عرفاً أساساً يسود في المجتمع وسُنة متبعه من غير

1- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 327

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 345

حياء أو خجل، مع العلم أن الإسـلام نهى عنهما(1) ، وقول الإمام هنا «تَهَاجَرُوا عَلَى اَلـدِّينِ» أي إن الناس في ذلك الزمان سوف يهجرون دينهم ويبيعوه بدنياهم(2) .

ثم أشار أمير المؤمنين (عليه السـلام) إلى حقيقـة مريرة في ذلك الزمان من خلال قوله: «فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَانَ اَلْوَلَـدُ غَيْظا» فمن ذلك الزمان؟ وما استعرضـناه من انحلال أخلاقي، وإحياء أعراف الجاهليـة، وتغييب المفاهيم الحقيقية لمبادئ الإسـلام، فالنتيجة الحتمية لذلك الفساد هو انحلالـ المجتمعـات وسوف تخترق أسوار البيوت والأسـر المتمثلـة بأبنائهم الـذين بـدلاً من أن يكونوا مصادر فخر لأبائهم وسـعادتهم تحولوا إلى سبب شقائهم وبؤسهم(3) ، هنالك رأيان في هـذا الكلام، أولهما، ان الآباء يشـعرون بالغيظ من أبنائهم لكثرة عقوقهم(4) ، أما الرأي الثـاني فقـد فسـر كلام الإمام ان الأب يشـعر بالغيظ والغضب من وجود الأبناء، لأنه لم يعـد يحتمل نفقاتهم الكبيرة في هـذه الأيام، نتيجـة لتطور الحياة المدنيـة وازدياد متطلبات المعيشة المتزايدة يوماً بعد آخر على الآباء والأمهات، لذلك لم يعد الآباء يفكرون بالإنجاب الكثير(5) .

1- الخوئي، منهاج البراعة، 7/ 302

2- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 427- 428

3- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 347- 348

4- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/ 68

5- يوسف سبيتي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، 313

والعبارة اللاحقة من كلامه (عليه السلام) «وَاَلْمَطَرُ قَيْظاً وَتَفِيضُ اَللِّئَامُ فَيْضاً وَتغِيضُ اَلْكِرَامُ غَيْضاً» تشير إلى أن سوء أعمال الناس في ذلك الزمان سيؤدي لحقيقة لا مفر منها وهي التقلبات الطبيعية؛ إذ سينزل المطر في الصيف بدلاً من الشتاء فيؤدي ذلك إلى ازدياد الحر وفساد الهواء، ومن الافرازات الطبيعية لهذه الظروف، هو ظهور حثالة المجتمعات وتسلطهم على رقاب الناس وغياب المؤمنين الحقيقيين في مثل تلك الظروف، وهم الذين جاء وصفهم بالخطبة ب (دعاة الحق)(1) .

ثم يتحدث الإمام علي (عليه السلام) عن ذلك الزمان وصفاته؛ إذ قسم الناس في ذلك الزمان الى أربع فئات أساسية من خلال قوله: «وَكَانَ أَهْ لُ ذَلِك اَلزَّمَانِ ذِئَاباً وَسْ لاَطِينُهُ سِ بَاتاً وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً أَكَالاً وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَناتاً» المراد من كلام الإمام بأهل ذلك الزمان، وهم الفئة الأولى، وهم أعوان الظلمة وعمالهم وبطانتهم وحاشيتهم والمقربون منهم الذين يسنلطون على رقاب الناس، فإذا كان السلطان سبعاً ضارياً، وهي الفئة الثانية، والمعروف هنا ان السبع والذئب من الحيوانات المفترسة التي تفترس الناس، وأهل ذلك المجتمع الذين يصبحون ضحايا تلك المفترسات، وهم الفئة الثالثة من تقسيم الإمام (عليه السلام) من خلال قوله: «وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالاً»(2) ، أما الفئة الرابعة فهم الفقراء في ذلك الزمان الذين يصبحون نسياً منسياً وكأنهم أموات انقطعت مادة حياتهم ممن هم أعلى

1- المجلسي، بحار الانوار، 7/ 375

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 348

رتبة منهم(1) .

والصورة التي تتوضح هنا أمامنا من كلام الإمام علي (عليه السلام) وكأنه قد طالع عن كل دقائق التاريخ البشري أو عن كل أحداث التاريخ التي سيمر بها الانسان، فكشف النقاب هنا بكلماته الرائعة التي لا تخلو من البلاغة، والبساط في الوقت نفسه، وتشير إلى صفات ذلك الزمان وكأنه عايشه (عليه السلام)، ذلك الزمان الذي أعطاه الإمام أدق التفاصيل، فلئام ذلك الزمان كثيرون، وكرماؤه قليلون، وأهله ذئاب، وحكامه سباع، والناس فيه مجرد ضحايا يريدون افتراسها، من غير إعطائهم أدنى ما يستحقوه من حقوق، بل هم مجرد أرقام في المعادلات الاقتصادية أو التجارية، أو مجرد ورقة اقتراع في صناديق الانتخابات(2) ، وعليه فالمتتبع لهذه الخطبة يجد ان الإمام (عليه السلام) قد ختم خطبته بالإشارة إلى سبع ظواهر منحرفة سوف تطفو على السطح في ذلك الزمان من خلال قوله:

«وَغَارَ اَلصِّدْقُ وَفَاضَ اَلْكَذِبُ وَاُسْتُعْمِلَتِ اَلْمَوَدَّةُ باللِّسَانِ وَتَشَاجَرَ اَلنَّاسُ بِالْقُلُوبِ وَصَارَ اَلْفُسُوقُ نَسَباً وَاَلْعَفَافُ عَجَباً وَلُبِسَ اَلْإِسْلاَمُ لُبْسَ اَلْفَرْوِ مَقْلُوباً» وهذه كلمات غاية في الروعة كشفت عن الواقع المرير الذي يسود في ذلك الزمان الموعود، فأول تلك الظواهر هي زوال الصدق وثانيها هي كثرة الكذب، وهذا الكلام فيه كناية فقوله: «غَارَ اَلصِّدْقُ» أي انتشر داخل الأرض، أو لعله

1- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 428

2- يوسف سبيتي، نهج البلاغة في دائرة التشكيك، 316

دفن في باطن الأرض(1) ، وقول الإمام «فَاضَ اَلْكَرِذِبُ» وكأنه الماء المالح الذي يفيض فيخرب الأراضي، أو لعله مياه الأمطار الغزيرة التي تخرب الأراضي بما فيها من محاصيل زراعية، أما الظاهرتان الثالثة والرابعة اللتان ستسودان في ذلك الزمان فهما ظهور المودة على اللسان، في حين انطواء القلوب على البغض والعـدوان والحقـد الدفين، ونتيجة ذلك تبرز ظاهرتان آخرتان هما التفاخر بالذنب، كذلك الدهشة من العفـة والطهارة، وهـذا الكلام يفيـد عن مـدى الانحراف العقائـدي الذي يسود في ذلك الوقت مما يؤدي إلى ان يصـبح الفسـقة قريبين من بعضهم وكأنهم قرابة ونسب(2) ، ولعل المراد بالفسق في ذلك الزمان هو الزنا وانتشاره بين الناس حتى يكثر أولاد الحرام في المجتمع(3) ، أما أصـحاب العفة والطهارة في مثل تلك الظروف فتكون صـفتهم هذه مثار سـخط الناس وازدراءهم لهم، بل ونبذهم من قبل المجتمعات التي يعيشون فيها(4) .

والظاهرة السابعـة والأخيرة التي أشار إليها الإمام علي (عليه السـلام) في كلمته فهي: «وَلُبِسَ اَلْإِسْـلاَمُ لُبْسَ اَلْفَرْوِ مَقْلُوباً»، وفي تفسـير هذه الكلمـة قـال البحراني في شـرحه" لمـا كان الغرض الأصـلي من الإسـلام أن يكون باطناً ينتفع به القلب ويظهر فيه منفعته، فقلب المنافقين غرضه واستعملوه بظاهر ألسنتهم من غير قلوبهم أشبه قلبهم له لبس الفرو إذا كان أهله ان يكون ظاهراً لمنفعة

1- الخوئي، منهاج البراعة، 7/ 303

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 349

3- المجلسي، بحار الانوار، 7/ 377؛ الخوئي، منهاج البراعة، 7/ 333

4- التستري، بهج الصباغة في شرح البلاغة، 6/ 177

الحيوان الذي هو لباسه فاستعمله الناس مقلوباً(1) ، إذن فالظاهر ان المراد به تبديل الإسلام وقلب أحكامه وإظهار النيات والأفعال الحسنة وإبطان خلافها))(2) .

أما الراوندي(3) في تعليقه على هذه الكلمة فقد قال: (إن هذا القول له معنيان أحدهما الإسلام يعكس أمره ويُغير، والآخر ان أهل الإسلام يطلبون به الدنيا لا الآخرة ويجعلون التدين زينة ووقاية لأنفسهم في الدنيا فقط)(4) .

وفي الواقع أن خطبة الإمام علي (عليه السلام) هذه فيها تشابه كبير من جهة المعنى والكلام مع أحد أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهذا دليل واضح على أن علم الإمام من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، والحديث هو:

«يأتي على الناس زمان وجوههم وجوه الادميين وقلوبهم قلوب الشياطين كأمثال الذئاب الضواري سفاكون للدماء لا يتناهون عن منكر فعلوه إن تابعتهم ارتباوك وإن حدثتهم كذبوك إن تواريت عنهم اغتابوك ألسنة فيهم بدعة والبدعة فيهم سنة والحكيم بينهم غادر والغادر بينهم حليم المؤمن، فيما بينهم مستضعف

1- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 428

2- المجلسي، بحار الانوار، 7/ 378

3- هو سعيد بن هبة الله بن الحسن الراوندي، أبو الحسين، قطب الدين، تاريخ ومكان ولادته مشكوك فيه، عالم بارز من علماء الامامية، له العديد من المؤلفات أبرزها: (الخرائج والجرائح)، (قصص الانبياء)، و (المعجزات النبوية)، و (منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة)، توفي في مدينة قم سنة573ه اغا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، 7/ 145

4- الراوندي، منهاج البراعة، 1/ 461

والفاسق فيما بينهم مشرف، فعند ذلك يحرمهم الله قطر السماء في أوانه وينزله في غير أوانه ويسلط عليهم شرارهم فيسومونهم سوء العذاب...»(1) .

وأخيراً تتضح الصورة الحقيق من خطبة الإمام علي (عليه السلام) هذه، فهو أراد أن يبين للناس مسار الأحداث القادمة ومدى ما يمر به المجتمع الإسلامي من انقلاب حقيقي للمفاهيم، وتغيير الموازيين، حتى تبدو الأمور رأساً على عقب فينادى بالمنكر، ويهجر المعروف، ويعم الكذب، ويشح الصدق، ويسود الفجور، ويختفي العفاف، وذلك بفضل الحكومات المستبدة التي تتسلط على رقاب الناس على مدى التاريخ، والتي تسعى لتكريس كلَّ عملها ووجودها من خلال إستعمالها لكلّ السبل والوسائل الشرعية أو غير الشرعية، وبالطبع فأن الحكومات تقوم على إقصاء الأخيار والشرفاء دعاة الحق عن ميدانهم، وبخلافة ذلك توجد بطانة، وحاشية خاصة بها، هدفها يكون في استعمال الأساليب كافة بحق الناس لإبقائهم يعيشون حالة الجهل تلك، وهنالك حقيقة مهمة تبرز في متل تلك الظروف وهي ان تلك الحكومات لا تعارض في مناجها الدين بصورة مباشرة، بل تقوم على تحريفه من اجل تمرير مخططاتها، وتحقيق مآربها(2) .

ثانياً- الأخبار الغيبية عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه):

جاء ذكر الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري (عجل الله فرجه)

1- الطبراني، أبي القاسم سليمان احمد (ت360ه/ 971م)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض، دار الحرمين للطباعة، السعودية، 1415ه، 14/ 119؛ محمد السبزواري، جامع الاخبار، 6/ 55؛ السيوطي، الخصائص الكبرى، 235

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 4/ 350

الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، في ثلاثة مواضع متفرقة من خطب نهج البلاغة، وقد أشار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) و إن لم يذكر اسمه الصريح، بل ذهب إلى ذكر بعض أوصافه التي تنطبق عليه بأدنى تأمل، فقول الأمام عنه: «فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ اَلسّيرَةِ ويُحْيِي مَيِّتَ اَلْكِتَابِ واَلسُّنَّة» جاء في حقّ الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بحيث لا يتسنى لغيره أن يقيم العدل، ويحي ما كان قد مات من الكتاب والسنة، كذلك قول الإمام علي (عليه السلام): «في سُتْرَةٍ عَنِ اَلنَّاسِ لاَ يُبْصِرُ اَلْقَائِفُ أَثَرَهُ ولَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ» وهنا الإشارة واضحة إلى الفترة التي يمر بها الحجة المنتظر حينما يكون محجوباً عن الناس ولا يعلم أحد مكانه مهما حاول ذلك، والواضح هنا بالدليل القاطع أن كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) هي من الأخبار الغيبية التي صدرت عنه قبل ولادة المهدي (عجل الله فرجه) بعشرات السنين.

وسنحاول في هذا المبحث التطرق لتلك الأخبار الغيبية التي اخبر بها أمير المؤمنين (عليه السلام)، من غير الخوض الدقيق في مسألة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) لأن هذه المسأل ليست من صلب البحث ولأنها مسألة لها بداية وليس لها نهاية، وسيقتصر هذا المبحث على خطب الإمام علي (عليه السلام) والتي أخبر بها عن المهدي الموعود (عجل الله فرجه).

ومن خطبة لأمير المؤمنين (عليه السلام) وقد تطرق إلى الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وعصر ظهوره، حيث قال:

«يَعْطِفُ اَلْهَوىَ عَلَى اَلْهُدَى إِذَا عَطَفُوا اَلْهُدَى عَلَى اَلْهَوَى ويَعْطِفُ اَلرَّأْيَ عَلَى اَلْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا اَلْقُرْآنَ عَلَى اَلرَّأْيِ- حتى يقول- أَلاَ وفِي غَدٍ وسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ يَأْخُذُ اَلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا وتَخْرُجُ لَهُ اَلْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا وتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا فَيُرِيكُم كَيْفَ عَدْلُ اَلسِّيرَةِ ويُحْيِي مَيِّتَ اَلْكِتَابِ واَلسُّنَّةِ...»(1) .

اتفق شراح نهج البلاغة على ان المقصود من هذه الخطبة هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وإن لم يصرح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) باسمه الصريح، وقد بدأ الإمام علي (عليه السلام) كلامه بقوله: «يَعْطِفُ اَلْهَوَى عَلَى اَلْهُدَى» أي إنه إذا ظهر يرد النفوس المنحرفة عن سبيل الله إلى طريق الحق والإيمان وطريق الصراط المستقيم، فهتدي بظهوره سائر الأمم(2) ، أما قوله «إِذَا عَطَفُوا اَلْهُدَى عَلَى اَلْهَوَى» فمعناه إذا ارتدت تلك النفوس عن إتباع هدى الله فسوف يهديها إلى الطريق القويم، ويجدد الشريعة المحمدية بعد اندحاضها(3) ، ثم ينتقل أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد ذلك إلى بيان أن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) سوف يدحض ويبطل على الآراء الفاسدة المخالفة للقرآن الكريم بقوله: «وَيعْطِفُ اَلرَّأْيَ عَلَى اَلْقُرْآن»؛ اذ يأمر بالرجوع للقرآن واخذ ما وافقه، وطرح ما خالفه من خلال قوله: «إِذَا عَطَفُوا اَلْقُرْآنَ عَلَى اَلرَّأْي»

1- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 223

2- ابن مثيم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 168

3- محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 1/ 97

أي يؤولوه على وفق ما يطابق مذاهبهم المختلفة وآراءهم المشتتة من خلال تلك المذاهب الإسلامية التي كانت تستشهد بآيات الكتاب على آرائها المنحرفة تاركين أهل الذكر «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ»(1) .

ومما تقدم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) يتضح أنه أراد القول أنهم ولاة الأمر وهم الذين نزل القرآن في بيتهم وهم أهل بيت النبوة، ومعدن الوحي والرسالة، فمن رجع لهم في تفسير كتاب الله اهتدى، ومن استغنى برأيه عنهم فقد ضل وغوى(2) .

أما الجزء الآخر من خطبة الإمام علي (عليه السلام) الذي قال فيه «أَلاَ وفِي غَدٍ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُون» فهذا الكلام فيه إشارة واضحة إلى سيرة القائم وفيه تنبيه على عظم شأنه وعظيم شأن الغد الموعود بمجيئه، وهنا يبيّن الإمام حقيقة معرفته بما لا يعرف هؤلاء القوم الذين يخاطبهم(3) ، ثم يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) «يَأْخُذُ اَلْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا» وقد قال ابن أبي الحديد عن ذلك: (هذا كلام منقطع عما قبله، وقد تقدم ذكر طائفة من الناس ذات مُلك وإمرة، فذكر (عليه السلام) ان الوالي يعني الإمام الذي يخلقه الله تعالى في آخر الزمان، يأخذ عمّال هذه الطائفة على سوء أعمالهم)(4) ، والشيء المهم الذي يجب أن ينتبه عليه من كلام ابن أب+ي الحديد

1- سورة الانبياء، الاية (7)

2- الخوئي، منهاج البراعة، 8/ 349

3- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 4/ 92

4- المصدر نفسه، 4/ 92

هو قوله: (أن الإمام يخلقه الله في آخر الزمان)، وقد ذهب لهذا على وفق مذهب المعتزلة الذي هو عليه والذين يقولون ان المهدي (عجل الله فرجه) غير مولود وسوف يولد في آخر الزمان(1) ، أما قوله (عليه السلام): «تَخْرجُ لَهُ اَلْأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا» فالأفاليذ جمع أفلاذ وأفلاذ جمع فلذ وهي القطعة من الكبد وهذا كناية عن الكنوز التي تظهر إلى المهدي (عجل الله فرجه)، وهذا الكلام فيه استعارة لفظ الكبد لكنوز الأرض، وخزائنها حيث انهما متشابهان في الخفاء، فالكنوز تختفي في باطن الأرض، والكبد يختفي في جسم الإنسان.

بينما هنالك رأي آخر في تفسير هذا الكلام ذهب إلى القول: أن الإمام علي (عليه السلام) أراد الإشارة من كلامه هذا إلى الأتباع الذين يخرجون ويظهرون مع الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بعد أن كانوا غير ظاهرين وغير معروفين بأشخاصهم وأسمائهم، وهم كنوز ادخرها الله تعالى لذلك اليوم الموعود وقول الإمام «أَفَالِيذَ كَبِدِهَا» إلا للإشارة إلى ذلك، إذ إن عبارة (فلذة الكبد) لا تستعمل إلا للأبناء، ولكونهم أبناء الأرض؛ والإشارة إلى خفائهم وعدم ظهورهم فكأنهم مختفون في الأرض مثلما أن الكبد مختفٌ في باطن الإنسان(2) ، والواضح هنا ان اغلب هذه التفاسير تلامس جسد الحقيقة بدرجات متفاوتة، وقد اختتم الإمام علي (عليه السلام) كلامه عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) بالقول «فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ اَلسَّيرَةِ ويُحْيِي مَيِّتَ اَلْكِتَابِ واَلسُّنَّة» أي إن

1- الخوئي، منهاج البلاغة، 8/ 351

2- المصدر نفسه، 8/ 351

الحجة (عجل الله فرجه) سوف يحيى التعاليم الحقيقية للإسلام والسنة الشريف والتي غيبت قسراً فيعود الحكم الشرعي بها وتعود؛ لتجد مكانها الحقيقي في ظل حكومة القائم (عجل الله فرجه) التي يتم في ظلالها إحياء القيم الإنسانية، وتفيض النعم بأنواعها على الناس ويطاح بأصنام الجور والظلم(1) .

لم يقتصر ذكر الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للمهدي (عجل الله فرجه) في الخطبة السابقة فقط، بل امتد لخطب عديدة، إذ تحدث عن فئة ظلت الطريق القويم، واتجهت نحو الانحراف ثم تحدث عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أئمة الهداية الذين يهدي بهم الله سبحانه عباده ويتنشلونهم من الفتن والوقوع بحبائل الشيطان، إذ بنهضتهم سوف ينشر الله الحق وهذه النهضة متمثلة بظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وقد جاء في هذه من نهج البلاغة قول الإمام علي (عليه السلام):

«وَأَخَذُوا يُمِيناً وَشِمَالاً ظَعْناً فِي مَسَالِكِ اَلْغَيِّ وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ اَلرُّشْدِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ(2) وَلاَ تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ اَلْغَدُ فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَ مَا أَقْرَبَ مِنْ اَلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مُوْعُودٍ وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لاَ تَعْرِفُونَ أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ وَيَحْذِو فِيهَا عَلَى مِثَالِ اَلصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً(3) وَيُعْتِقَ فِيهَا رِقّاً(4) وَيصْدَعَ

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 342

2- مرصد: أي منتظر وهو يعني ما يجيء به الغد من فتن وأحداث، الطريحي، مجمع البحرين، 3/ 38

3- ربقاً: تقال للرأس إذا كان مربوطاً بحبل، ابن منظور، لسان العرب، 3/ 12

4- رقاً: أي مملوكاً، الزمخشري، أساس البلاغة، 1/ 179

شَعْباً(1) وَيَشْعَبَ صَدْعاً(2) فِي سُتْرَةٍ عَنِ اَلنَّاسِ لاَ يُبْصِرَ اَلْقَائِفُ(3) أَثَرَهُ وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ ثُمَّ لَيُشَحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ اَلْقَيْنِ اَلنَّصْلَ(4) تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُم وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ وَيُغْبَقُونَ(5) كَأْسَ اَلْحِكْمَةِ بَعْدَ اَلصَّبُوحِ(6) »(7) ، أشار الإمام علي (عليه السلام) من خلال هذه الخطبة إلى حوادث المستقبل، لاسيما قبل ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) كذلك ما بعد ظهوره وطبيعة ذلك العصر، إذ بدأ كلامه محذراً من السير يميناً وشمالاً في طرائق الغي والكفر ويبين أنه يجب على الناس ألا يستعجلوا لتحقيق غاياتهم من خلال قوله «فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ وَمَا أَقْرَبَ اَلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ» وهذه إشارة إلى ما يحققه الإمام المهدي (عجل الله فرجه) من انتصارات كبيرة بعد فتن عدة تظهر على الناس، وهنا يجب على الناس عدم استعجال ذلك الظهور وتلك الانتصارات الكبيرة لأنه لكل شيء زمانه وشروطه الواجب تحققها من

1- يصدع شعباً: الصدع هو الشق، وصدعت الشيء أي أظهرته، الجوهري، الصحاح في اللغة، 3/ 382

2- يعشب صدعاً: الشعب هو الصدع في الشيء وأحلامه وهي تقال أيضاً عن الناس إذا اجتمعوا بعد فرقتهم، الجوهري، الصحاح في اللغة، 1/ 156

3- القائف: هو الشخص الذي يتتبع الآثار، ابن منظور، لسان العرب، 9/ 293

4- القين النصل: القين معناها الحداد والنصل تعني الحديدة الحادة من السلاح، ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، 3/ 77؛ الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، 2/ 223

5- يغبقون: أي يشربون في المساء، ينظر: ابن الأثير الجزري، النهاية في غريب الأثر، 3/ 635

6- الصبوح: وتعني الصباح، ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، 1/ 219

7- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 234- 235؛ المحب الطبري، المسترشد، 74

أجل ذلك الظهور(1) ، ثم خاطب أمير المؤمنين (عليه السلام) أتباعه قائلاً: «يَا قَوْمِ هَذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ» وكلام الإمام (عليه السلام) هذا معناه أن هذا أوان تحقق الفتن والبلايا، وسيادة الظلم، وكثرة الظالمين والمظلومين على حد سواء وهذا ما وعدتم به(2) ، ثم بعد هذا الكلام عاد أمير المنؤمنين ليتكلم في خطبته هذه عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وظهوره المبارك بقوله: «أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ» وهذا كلام فيه مدلولات كبيرة وعظيمة، إذ تطرق الإمام علي (عليه السلام) لظهور الحجة وما سيفعله بعد الظهور من نصرة المظلومين وإحقاق الحق ونشر العدل والخير وتنكيس راية الظلم وكسر شوكة الظالمين، وقد عبر أمير المؤمنين عن ذلك بعبارات وكلمات قصيرة غاية في البلاغة والمعنى فهو الذي شبهه الإمام بالحبل المعقود الذي يحل الفتن ويطلق الأسرى، وينقذ المظلومين من أيدي الظالمين، ويقوم بجمع كلمة أهل الهدى(3) ، وهناك رأي يقول أن معنى هذه الكلمات والمراد منها هم أئمة أهل البيت جميعاً وما واجهوه بعد أمير المؤمنين من فتن شتى سواء في زمن الأمويين أو العباسيين وغيرهما إلى ظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه)(4) .

والشيء الذي يستحق التوقف عنده هنا أن ابن ابي الحديد، الذي لديه

1- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 464

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 464

3- التستري، بهج الصباغة، 6/ 211

4- ابن ميثم البحراني، شرح نهج البلاغة، 3/ 506

موقف متعصب من مسألة الإمامة، وفي شـرحه لهذه العبارة «أَلاَ وَإِنَّ مَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ»، ذهب في كلامه إلى القول أن المراد هو مهدي آل محمد مثلما ترى إنطباق كل الصفات المذكورة عليه، وان كان اعتقاد بعض المذاهب العامة بأن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) سيولد في آخر الزمان(1) ، وفي نهايـة كلامه في تلك الخطبة عن أمير المؤمنين (عليه السـلام)، تكلم عن أنصار الإمام المهدي (عجل الله فرجه) وأوصافهم «ثُمَّ لَيُشَحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ اَلْقَيْنِ»، إذ الذي يستشف من هذه العبارات أن أنصار الحجة المنتظر (عجل الله فرجه) هم من الرجال الشـجعان والعلماء الذين أعدوا سابقاً، وعملية بنائهم وإعدادهم ما تزال مستمرة، وقلوبهم نابضة بآيات القرآن وتفسير كلمات الباري سـبحانه، وهو دائم التعلم صـباحاً ومساًء ويزدادون عزماً وتأهباً واستعداداً حيناً بعد آخر، واختتم كلامه عنهم: بالقول هؤلاء تفيض منهم المعارف الربانية، والأسـرار الإلهية، وهؤلاء هم العارفون الذين جمعوا بين الزهد والحكم والشـجاعة وحقيق بمثلهم أن يكونوا أنصاراً لولي الله الذي يجتبيه ويخلقه في آخر أوقات الدنيا فيكون في خاتمة أوليائه والذي يلقى عصا التكليف عنده(2) .

وفي نهاية هذه الخطبة نقول إن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أراد من خلالها تبشير الناس بما ينتظرهم من فجر مضيء بعد كل ما عانوه

1- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 9/ 128

2- المصدر نفسه، 9/ 129

وسوف يعانوه، وهـذا الفجر المضـيء يتمثل بالظهور المبارك والطلعـة الميمونـة للحجـة المهـدي المنتظر (عجل الله فرجه) الذي بظهوره تشـرق شـمس الإيمـان والخير والعـدل، والحق الـذي يجب أن يقال هنا أن مسألـة قيام الإمام المهـدي (عجل الله فرجه) وظهوره في آخر الزمان مسألـة متفق عليها بين المسـلمين جميعاً، وان اختلف في كيفياتها، لا بل أن مسألـة قيام الموعود أو المنتظر امتدت فكرتها لتشـمل على أغلب الأديان، إذ إن السواد الأعظم منها يؤكد قيام المخلص في آخر الزمان، مع التأكيد أن لكل ديانة مخلصها، وعلى العموم فالفكرة متفق عليها، ولاسـيما قيام المنتظر (عجل الله فرجه) فالمسلمون يؤمنون بها بشكل مطلق بحيث لم يشذ عن هذه الفكرة إلا النزر اليسير من أصحاب الانحراف الفكري متناسين قوله تعالى:

«ولَقَدْ كتَبْنَا فِي الزَّبوُر مِن بَعْدِ الذكْر أنّ الْأرْضَ يرَثُهَا عِبَادِي الصَّالحِوُن»(1) .

وكذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):

«لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وعدواناً، ثم يخرج رجل من عترتي يملاها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدوانا»(2) ، إذن فالذي يسـتفيد من خطبة الإمام علي (عليه السـلام) السابقة أنها ركزت على أن الظهور المقدس يهدف لإزالة بساط الظلم، ونشر التوحيد، والعدل الإلهي في الوقت الذي يعم الظلم

1- سورة الأنبياء، الآية (105)

2- الإمام أحمـد، مسـند احمد، 3/ 36؛ ابي داود، مسـند ابي داود، 4/ 152؛ الصـدوق، محمـد علي بن الحسـين بن بابويه، (381هـ- 991م)، التوحيد، تحقيق: هاشم الحسيني، منشورات جماعة المدرسين، إيران، بلا. ت، 82؛ ابن بطريق، العمدة، 433

والانحراف الأخلاقي والعقائدي للعالم، مما يضاعف من استقبال تلك الحكوم الإلهية المتمثلة بالمهدي (عجل الله فرجه) وكذلك أن أنصار الإمام الذين يظهرون منه، التي تشير الروايات التاريخية إلى أن عددهم ثلاثمئة وثلاثة عشر بعدد أصحاب بدر(1)، هم أداة الحق بيد الإمام (عليه السلام) لتفيذ هذا المشروع الإنساني العظيم وهم تلك الثلة المجاهدة من الشجعان، والعلماء، لإعلاء راية الحق وكلمة الله(2).

لا يقف كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة عن الإمام المهدي (عجل الله فرجه) عند هذا الحد، بل يمتد ذكره لخطبة أخرى؛ إذ قال فيها الإمام علي (عليه السلام):

«قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا(3) وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ اَلْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَاَلْمَعْرِفَةِ بِهَا وَاَلتَّفَرُّغِ لَهَا فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ اَلَّتِي يَطْعُبُهَا وَحَاجَتُهُ اَلَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اِغْتَرَبَ اَلْإِسْلاَمُ وَضَرَبَ بِعَسِيبِ(4) ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ اَلْأَرْضَ بِجِرَانِهِ(5) بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلاَئِفِ أَنْبِيَائِهِ»(6).

1- الخصيبي، 474؛ المحب الطبري، دلائل الإمامة، 304؛ الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن (ت460ه- 1067م)، الغيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني، مطبعة بهمن، إيران، 1411ه، ص284؛ ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى، (ت664ه- 1266م)، الملاحم والفتن، تحقيق: مؤسسة صاحب الأمر، مطبعة نشاط، إيران، 1416ه، 144

2- ناصر الشيرازي، نفحات الولاية، 5/ 466

3- جُنتها: الجنة هو الذي يستتر به من السلاح، ينظر: الجوهري، الصحاح في اللغة، 1/ 105

4- بعسيب ذنبه: هو منبت الذنب من الجلد والعظم، ينظر: ابن منظور، لسان العرب، 1/ 599

5- جرانه: وهي مقدمة عنق البعير إلى منحره فإذا برك على الأرض ومد عنقه قيل: ألقى جرانه، ينظر: الصاحب بن عباد، المحيط في اللغة، 2/ 110

6- الشريف الرضي، نهج البلاغة، 2/ 291

وهنا يستوقفنا كلام ابن ابي الحديد في شرحه لتلك الخطبة، إذ قال: ((هذا الكلام فسرته كل طائفة بحسب اعتقادها، فالأمامية تزعم أن المراد به المهدي المنتظر عندهم، والصوفية يزعمون أنه يعني به ولي الله في الأرض، و عندهم الدنيا لا تخلو عن الإبدال وهو أربعون، وعن الأوتاد وهم سبعة وعن القطب وهو واحد، فإذا مات القطب صار أحد السبعة قطباً عوضه، وصار أحد الأربعين وتداً عوض ذلك الوتد، وصار بعض الأولياء الذين يصطفيهم الله تعالى بدلاً بدل ذلك البدل))، ثم ينتقل ابن أبي الحديد إلى تفسير كلام الصوفية، إذ يقول: ((وأصحابنا يزعمون أن الله تعالى لا يخلي الأمة من جماعة المؤمنين بالعدل والتوحيد، وأن الإجماع إنما يكون حجة باعتبار أقوال أولئك العلماء، لكن لما تعذرت معرفتهم بأعيانهم اعتبر إجماع سائر العلماء، وإنما الأصل قول أول، قالوا: وكلام أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يشير فيه إلى جماعة أولئك العلماء من حيث هم جماعة))، ولكنه يصف حال كل واحد منهم، فيقول: (من صفته كذا ومن صفته كذا).

أما تفسير الفلاسفة لكلام الإمام، فهم يزعمون ان مراده (عليه السلام) بهذا الكلام العارف، ولهم في العرفان وفي صفات أربابه كم يعرفه من له أنس بأقوالهم، وقد اختتم ابن أبي الحديد كلامه، بعد ان استعرض عدة آراء لمذاهب مختلفة، اختتمه بقوله: ((وليس يبعد عندي ان يريد (عليه السلام) به القائم من آل محمد" في آخر الوقت إذا خلقه الله تعالى، وأن لم يكن موجوداً فليس في الكلام ما يدّل على وجوده الآن، وقد وقع اتفاق الفرق من المسلمين

أجمعين على أن الدنيا والتكليف لا ينقضي إلا عليه))(1) ، هذا في ما يخص رأي ابن أبي الحديد المعتزلي، أما بقية آراء شُراح نهج البلاغة في تناولهم لتلك الخطبة فقد أجمعوا أيضاً أن الشخص المقصود بتلك الخطبة هو الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، وإن قامت كل طائفة بتفسير كلام أمير المؤمنين بما يوافق أهواؤها ومصالحها مثل الصوفية والمعتزلة والفلاسفة، ولعل أوضح شرح ما ذهب إليه التستري(2) ، إذ قال: (ذهبت كل طائف لتفسير ذلك بحسب اعتقادها إلا أن المتبع ما شفع بالبرهان، وهو قول الأمامية، أما أصله فقد اقر باتفاق فرق المسلمين عليه، وأما فرعه وهو كونه موجوداً الآن)، فيدل عليه كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) المتواتر عنه لكميل بن زياد(3) : ((اللهم بلى لا ـ تخلو الأرض من قائم لله بحجة، أما ظاهراً مشهوراً أو خائفاً مغموراً لئلاً تبطل حجج الله وبيناته))(4) ، ومن هنا يتضح ترجيح تفسير الإمامية على تفاسير

1- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، 10/ 96

2- هو الشيخ محمد تقي التستري الشوشتري، ولد في النجف سنة1320ه، أصله من مدينة تستر الإيرانية، كان فقيهاً عالماً محققاً بارعاً، أمضى حياته في تعليم الناس، وبث المعارف الإسلامية، له العديد من المؤلفات أبرزها: (شرح تنقيح المقال) و (بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة) و (جامع أحوال الأئمة) وغير ذلك الكثير، وقد توفي سنة1414ه، ينظر: اغابزرك الطهراني، (ت1389ه- 1969م)، طبقات أعلام الشيعة، مطبعة منصوريان، إيران، 1395ه، 1/ 65

3- هو كميل بن زياد بن نهيك النخعي، ولد سنة12ه، تابعي ثقة من أصحاب الإمام علي عليه السلام وخاصته و قد شهد معه صفين، وهو صاحب الدعاء المشهور ب (دعاء كميل) الذي علمه له أمير المنؤمنين، قتله الحجاج الثقفي سنة82ه، ينظر: الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن، (ت460 ه- 1067م)، رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة الناشر الإسلامي، إيران، 1415 ه، 35؛ السمعاني، الأنساب، 3/ 569

4- الطوسي، الآمالي، 22

باقي الفرق(1) .

وبالعودة لكلمات الخطبة التي يستحق الوقوف عندها كثيراً، نجد أن قول الإمام علي (عليه السلام): «قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا» ومعنى هذا الكلام ما تسلح به الإمام المهدي (عجل الله فرجه) من سلاح، وهو الحكمة، وهو شرف عظيم، إذ قال تعالى:

«وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»(2) .

أما قول الإمام (عليه السلام): «وأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ اَلْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَاَلْمَعْرِفَةِ بِهَا وَاَلتَّفَرُّغِ لَهَا»، فهو أيضاً يعود على الحكمة التي يتمتع بها المهدي (عجل الله فرجه) أي انه أخذها على وجه الكمال حينما علم أنه لا شيء أعظم، واشرف، وأرفع من الحكم، كذلك عرف أنه من يؤتها فقد أوتي خيراً كثيراً، وبعد ان علم بكل ما تحويه الحكمة من خصائص تفرغ لها وتخلى عن كل المتعلقات الدنيوية التي تضادها؛ إذ تنحى عن كل ما سواها(3) .

وأما كلام الإمام: «فَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ اَلَّتِي يَطْلُبُهَا وَحَاجَتُهُ اَلَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا» ففيه تشابه كبير مع إحدى حكمه أمير المنؤمنين (عليه السلام)، إذ يقول: «الحكمة ضالة المؤمن»(4) أي هدفه المقصود والمنشود الذي يجب على المؤمن

1- التستري، بهج الصباغة، 3/ 548- 549

2- سورة البقرة، الآية (269)

3- الخوئي، منهاج البراعة، 10/ 354

4- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 18/ 229

أن لا يحيد عنه فهي طريق نجاته(1) ، وقال الإمام «فَهُوَ وَمُغْتَرِبٌ إِذَا اِغْتَرَبَ اَلْإِسْلاَمُ» ومعناه أن هذا الشخص (الإمام المهدي عجل الله فرجه) يخفي نفسه ويحملها إذا اغترب الإسلام واغتراب الإسلام أن يظهر الفسق والجور على الإصلاح والعدل، وقول الإمام «وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ وَأَلْصَقَ اَلْرأَرْضَ بِجِرَانِهِ» فهذا من تمام قوله إذا اغترب الإسلام أي إذا صار غريباً مقهوراً وصار الإسلام، كالبعير البارك، يضرب الأرض بعسيبه، أي ذنبه ويلصق جرانه وهو صدره في الأرض، فلا يكون له تصرف ولا نهوض(2) ، وكلمة الإمام الأخيرة كانت في الإمام المهدي (عجل الله فرجه) إذ وصفه بقوله:

«بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ خَلِيفَةٌ مِنْ خَلاَئِفِ أَنْبِيَائِهِ».

وهذه الأوصاف تنطبق على الإمام المهدي جملة وتفصيلاً، فهو البقية الباقية من حجج الله تعالى وهو الخليفة الأخير الباقي من خلائف الأنبياء(3) ، وهنا يستوقفنا كلام الإمام الصادق (عليه السلام) حينما سئل عن وجه الحكمة والسر في غيبة الإمام المهدي (عجل الله فرجه)، إذ قال: أن لصاحب هذا الأمر غيبة لابد منها يرتاب فيها كل مبطل، لأمر لم يؤذن لنا في كشفه لكم، ووجه الحكمة في غيبته وجه الحكمة في غيبات من تقدمه من حجج الله تعالى، وإن وجه الحكمة في ذلك لا ينكشف إلا بعد ظهوره، كما لم ينكشنف وجه

1- محمد الريشهري، ميزان الحكمة، 2/ 671

2- ابن ابي الحديد، شرح نهج البلاغة، 2/ 671

3- المجلسي، بحار الأنوار، 51/ 114

الحكمة فيما أتاه الخضر (عليه السلام) من خرق السنفينة، وإقامة الجدار لموسى (عليه السلام) إلى وقت افتراقهما(1) .

وهنالك رواية عن الإمام العسكري (عليه السلام) نقلها أحمد بن إسحاق(2) ؛ إذ قال: دخلت على الإمام العسكري (عليه السلام) وأنا أريد أن أسأله عن الخلف من بعده، فقال لي مبتدئاً: يا احمد بن إسحاق أن الله تعالى لم يخل الأرض من خلق آدم، ولا يخليها إلى أن تقوم الساعة من حجة الله على خلقه، به يدفع الله البلاء عن أهل الأرض، وبه ينزل الغيث، وبه تخرج بركات الأرض، فقلت: يا بن رسول الله فمن الإمام والخلف من بعدك؟ فنهض مسرعاً فدخل البيت ثم خرج وعلى عاتقه غلام كأنه وجهه القمر من أبناء ثلاث سنين، فقال:

يا احمد لولا كرامتك على الله عز وجل وكل حججه ما عرضت علي ابني هذا انه سمي رسول الله" وكنيته الذي يملئ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يا أحمد مثله في هذه الأمة مثل الخضر ومثل ذي القرنين، والله ليغيبنَّ غيبة لا ينجو من الهلكة فيها إلا من ثبته الله عز وجل على القول بإمامته، ووفقه فيها للدعاء بتعجيل فرجه، فقلت: يا مولاي فهل من علامة يطمئن إليها قلبي؟ فنطق الغلام بلسان فصيح فقال: أنا بقية الله في أرضه، والمنتقم من أعدائه، ولا تطلب يا احمد أثراً بعد عين، فخرجت فرحاً، فلما كان من الغد عدت إليه،

1- المصدر نفسه، 52/ 91

2- أحمد بن إسحاق: هو أحمد بن إسحاق بن عبد الله بن سعد بن مالك الأشعري، وكنية أبو علي القمي، كان وافد القميين، وكان من أصحاب الإمام الحسن العسكري، كان كبير القدر ومن القلائل الذين شاهدوا الإمام المهدي (عج) تاريخ وفاته غير معلوم، ينظر: الطوسي، رجال الطوسي، 398

فقلت: يا بن رسول الله لقـد عظم سـروري بما مننت به عليّ، فما السـنة الجاريـة فيه من الخضـر وذي القرنين؟ قال: طول الغيبة، قلت: وإن غيبته لتطول؟ قال : أي وربي حتى يرجع عن هذا الأمر أكثر القائلين به)(1) .

****

ص: 243

1- النعماني، الغيبة، 64؛ الصـدوق، محمد بن علي بابويه القمي، (381ه- 991م)، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسـسة النشر الإسلامي، إيران، 1405م، 384؛ المحب الطبري، دلائل الإمامة، 272- 274؛ قطب الدين الراوندي، الخرائج والجرائح، 3/ 34

الخاتمة

ص: 245

الخاتمة:

بعد إكمال البحث بعون الله سبحانه وتعالى تمكنا من الخروج بالعديد من النتائج نذكر منها الآتي:

1- لقد دلت الأبحاث الحديثة على أن كل إنسان يملك مقداراً من هذه القوة الخارقة التي تكشف له عمّا خبأته أحشاء المستقبل، لكن الناس إذا تساووا في نوع هذه القوة فإنهم يختلفون في مقدارها، فقد ثبت أن هذه الحاسة توجد عند بعض الناس بقوة تثير الدهشة، بينما توجد في بعض آخر على حال من الضعف والوهن لا تكاد تبيّن معه؛ إذ بيّنت الدراسات العلمية الحديثة على أن هذه الحاسة تتناسب طردياً مع درجة الصفاء الروحي والنقاء الداخلي التي يتمتع بها الشخص، فكلما كان الإنسان صافي النفس، نقي الضمير، منعتقاً من أسر التقاليد الاجتماعية الضارة، متفلتاً من قيد الضرورة ومنا إليها، خالي النفس من العقد والأحقاد والمطامع، كانت هذه الحاسة فيه قوية بالغة القوة، إذاً فهذه الحاسة لا تنشط إلا في ساعات الصفاء العقلي والرواحي

والوجـداني فعند ذلك تبلغ أقصـى قوتها، فإذا كنا نبحث عن هذه الظاهرة في حياة الإمام علي (عليه السـلام) طالعتنا فيه على أتم وأكمل ما تكون، فلقد بلغ من الصفاء الروحي حداً لم يدانيه فيه إنسان على الإطلاق ولم يزد عليه فيه إلا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وحياة الإمام (عليه السـلام) سلسـلة ذهبية من هذه الظواهر الرائعة الفاتنة، وإذا صحّ أن تجدداً وصـفاءً وقتيين يقوم بهما إنسان عادٍ يتيحان له إطلاق قواه الخارقة، فما قولك فيمن كانت حياته كلها تجدداً روحياً وصـفاء لا يعدله في بني الإنسان صفاء، وما تلك الغيبيات التي اخبر بها الإمام، إلا خير دليل على القوة الخارقة التي كان يتمتع بها لكي يعي ما غاب عنه في أحشاء الزمان وطوايا المكان متى شاء.

2- من خلال القرآن الكريم يتضـح أن الله قـد اطلع بعض أنبيائه وأوليائه على بعض علم الغيب، وهـذا العلم محـدود كماً وكيفاً، وعارض ليس بـذاتي، ومسـبوق بعدمه ليس بأزلي، وله بدء ونهاية وليس بسـرمدي، ومأخوذ من الله تعالى: «وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُو»، وقد جاء هذه الغيبيات للأنبياء والأوصـياء لتكون أدلة وبراهين واضـحة على صدقهم، وصدق ما جاءوا به من الله تعالى، وبعبارة أخرى نقول إن الغيب نوعـان الأـول خـاص بالله تبارك وتعالى والآخر مكتسب يطلع عليه بعض أنبيائه وعباده الصالحين، ولم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) أول من أُخبر بالغيب، بل سبقه إلى ذلك العديد من الأنبياء والصالحين.

ص: 248

3- إن الأخبار الغيبية التي تعلّمها الإمام علي (عليه السلام) من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تمثل بحد ذاتها علم بالغ السعة متراحب الآفاق، ومهما تكن الأوقات الخاصة التي يفرغ فيها النبي للإمام وحده طويلة وكثيرة، فإن ذلك كله لا يسع الإفضاء ببعض هذا العلم إلى الإمام على نحو التفصيل، بحيث يتناول التعليم الجزئيات الدقيقة، والتفصيلات الكثيرة، فضلاً عن أن يسع الإفضاء إليه بكل هذا العلم على هذا النحو من الإفضاء، وإذ كانت الحال على هذا فلا نستطيع أن نتصور أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أفضى إلى الإمام بكل حادثة من الحوادث المقبلة إلى قيام الساعة على نحو التفصيل؛ لكن الإمام (عليه السلام) يصرح بما لا يدع مجالاً للشك بأنه قد استقى علمه هذا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولعل السبيل إلى ملائمة هذا الذي يقوله الإمام مع ما تبيّن لنا من عدم استيعاب الظرف الزماني للإفضاء بكل هذه العلوم، هو أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يفضِ إلى الإمام بالغيبيات على نحو التفصيل الذي يلّم بجميع الجزيئات، حيث أن العقل يُحيل ذلك لأن الزمان مهما يطل لا يتسع له، فالواضح هنا أن رسول الله (صلى الله علينه وآله وسلم) أخبر الإمام بهذه الأخبار الغيبية على نحو الإجمال لا التفصيل، ثم هداه إلى السبل التي تؤدي به إلى أرفع درجات هذه الحالة الروحية التي تتيح لقواه الخفية أن تعمل عملها الخارق فيعي بسببها تفصيل ما أجمله له رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولعلّ لحظات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأخيرة مع الإمام هي أبلغ دليل على هذا الكلام، حينما خلا الرسول بالإمام فأدخله في ثوبه وناجاه في هذه اللحظات القليلة الأخيرة التي قبض

بعدها، فلمّا فرغ من نجواه خرج الإمام من عنده فسأله الناس عما أفضى به إليه الرسول فقال عليه السلام:

«أن رسول الله علمني ألف باب من العلم، ويفتح كل باب ألف باب».

إذاً فالواضح هنا أن تلك اللحظات الأخيرة التي جمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالإمام علي (عليه السلام) لا تتسع للإفضاء ببعض هذا العدد الكبير، فلابد من القول بإنه أفضى إليه بهذه الألف باب على نحو الإجمال، ذلك بإعطاء الضوابط الكبرى التي تشمل على الكثير من الأبواب وقد اتكل الإمام في معرفة الجزئيات والتفاصيل إلى ما يتمتع به من مواهب تسعفه في معرفة ما غاب وتهديه إلى شريعة الصواب.

4- كانت الأخبار الغيبية التي أخبر بها أمير المنؤمنين (عليه السلام) على نوعين الأولى خاصة؛ إذ كان يخبر بها أهل بيته والمقربين من أصحابه ممن يتحملون هذه الأسرار، ويحفظونها: مثل كميل بن زياد، ورشيد الهجري، والاصبغ بن نباتة، وميثم التمار، وأبو ذر الغفاري، وعمار بن ياسر، ومالك الاشتر، وحبيب بن مظاهر الاسدي؛ إذ حفلت حياة كل واحد منهم بالعديد من تلك الأخبار التي سمعوها من الإمام علي (عليه السلام) وشاهدوها تحدث أمام أعينهم، أما النوع الآخر من أخبار أمير المؤمنين (عليه السلام) الغيبية، فهي تلك التي كان يخبر بها الناس عامة ويحذرهم من المستقبل القادم والفتن المحيطة بهم، ومع ذلك نجد أن البعض ممن كان يسمع كلام الإمام (عليه السلام)، حينما كان يخبر عن أحداث المستقبل، كان يستهزئ بهذا الكلام؛ إذ نجد

بعضـهم حينما كان الإمام يقول (سـلوني قبل ان يفقدوني)، يقول لأمير المؤمنين كلام جاهل يميط اللثام عن شخصية قائله مثل: كم شعرة في رأسـي، وكم شـعرة في لحيتي؟ ولعـل هـذا هو السـبب في أن الإمـام علي (عليه السـلام) كـان يخبر خاصـته ومقربيه عن بعض الأمور والحوادث المستقبلية دون كل الناس، الذين تركوا العين الصافية وذهبوا لعيون راكدة وآسنة؛ ليستقوا علومهم منها.

5- جاءت هذه الأخبار الغيبية لتكون دليلاً واضحاً على صدق الإمام علي (عليه السلام) وحجة وبرهان ليُعرف بها صدق الصادق من كذب الكاذب، فهي إذن تأييـد من الله (عز وجل) لأوليائه وعباده الصالحين؛ لتكون تصـديقاً لهم، وحثاً للعباد على اقتفاء آثارهم، مع العلم أنهم وصـلوا إلى هـذه الـدرجات الرفيعة، والمقام المحمود، نتيجة طاعتهم للخالق جل جلاله؛ إذ اكتسـبوا بهذه الطاعة رضا الله فخلق الأشـياء لأجلهم وتحت تصرفهم، ووهبهم الدنيا والآخرة، ومثلما جاء في الحديث القدسي:

«إن لله عبـاداً أطاعوه فيما أراد، فأعطاهم فيما أرادوا يقولون للشـيء كم فيكون»، إذاً فمفتاح ظهور المعاجز والكرامات والتي تعتبر الغيبيات ركناً منها، على أيـدي عباد الله الصالحين هو نتيجـة الطاعة المفترضة عليهم من الله تعالى، وعلى هذا الأساس لا يبقى أي شك في صدور المعاجز والكرامات على أيدي عباد الله الصالحين الذين وصلوا إلى أعلى المقامات العرفانية بالطاعة والانقياد للخالق تعالى.

6- كان الهدف من هذه الأخبار الغيبية التي تكلم عليها أمير المؤمنين (عليه

السلام) أمرين مهمين الأول: تثبيت شيعته وأنصاره وجيشه الذي كان خليطاً من فئات شتى؛ لأن العارفين بحق الإمام، وحقيقة حاله كانوا قليلين، وكان السواد الأعظم لا يعتقدون فيه الأمر الذي يجب اعتقاده فيه، ويرون تفضيل من تقدمه من الخلفاء عليه؛ إذ كانوا يظنون أن الأفضلية إنما هي بالخلافة، أما الهدف الآخر من هذه الأخبار فكان من أجل إلقاء الحجة على الخصم، وتذكيره أن هذه الخصوصية التي امتلكها الإمام، وهي أن يخبره رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باخبارات سوف يحصل بعضها معه مباشرة، أو قد يحصل في المستقبل، وأن مثل هذا الرجل الذي يحمل هذه الخصوصية، مما لم نجدها عند احد من غيره، كيف لا تكون رايته راية حق؟.

7- إن ما تكلم عليه الإمام علي (عليه السلام) من أخبار غيبية، ليس هو بعلم الغيب، وإنما هو تعلّم من ذي علم، إنما علم الغيب فهو علم الساعة وما ذكره الله سبحانه بقوله:

«إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»(1) .

إذاً فمن هذه الآية الكريم يتضح علم الباري عز وجل لما في الأرحام من ذكر وأنثى، وقبيح أو جميل، وسخي أو بخيل، ومن سيكون في النار حطباً أو فخ الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما غير ذلك فعلم علّمه الله لنبيه فعلمه لأمير المؤمنين (عليه السلام) ودعا له بأن يعيه

1- سورة لقمان: الآية 34

صدره وتضطم عليه جوارحه.

8- إن اغلب خطب الإمام علي (عليه السلام) التي حملت أخباراً غيبية كانت تصدر بكلمة (كأني)، بينما صدر البعض الآخر بحرف التوكيد (إنّ)، وكذلك صدر بعضها بالقَسم باسم الجلالة، وما يتضح مما تقدم أن هذه التصديرات بهذه الأحرف جاءت للإشارة إلى أن هذه الإخباريات واقعة لا محالة وهي يقينية لا مجال للظن او الشك في وقوعها، ليس الامر فيها أنه يمكن ألا تقع؛ لأنها إخبار عن ذي علم بوساطة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام على يقين من وقوعها، ولا يشك في صدق الإخبار بها، لذلك يتعامل الإمام بالأحرف والكلمات التي تؤكد هذا الجانب، أي جانب العلم واليقين ولم يأت بأحرف يتأرجح فيها الحال بين الوقوع وعدمه، مثل كلمة (ربما) أو (يمكن) او (لعل) بل نراه عليه السلام يستعمل كلمة (كأني) فهي سواء كانت للتقريب أم للتشبيه، فهو يشبه الحال بهذه الإخبار الغيبية كمن يراه بعين بصيرته، بعدما تأكد له صدق هذه الإخبار، وإن هذا الإخبار يقرب من أن يراه واقعاً لا محالة لذلك، كذا الحال في استعمال (إن) للتوكيد واسم الجلالة بعنوان القسم، وفعلاً كانت هذه الغيبيات تحدث بكل تفاصيلها وجزئياتها الدقيقة من غير زيادة أو نقصان مثلما أخبر عنها الإمام أمير المؤمني (عليه السلام).

9- جاءت الغيبيات في كتاب نهج البلاغة لتحمل لنا إخباراً عن الخوارج ومصيرهم وكذلك عن الدولة الأموية متمثلة ببدايتها وتحول السلطة لها ومن ثم رجالات هذه الدولة ونهايتها أيضاً حمل لنا نهج البلاغة في طياته أخبار عن

مصـير الكوفة وما ستلاقيه؛ كذلك البصرة وما سيحل بها، فضلاً عن أخبار أخرى عن آخر الزمان، وظهور الإمام (عجل الله فرجه) مع العلم هنا أن الإمام علي (عليه السلام) لم يقتصر كلامه عن الغيبيات وأخبار المستقبل على تلك الأمور فقط بل هذه التي حملها نهج البلاغة في طياته ونقلها الشـريف الرضـني من دون غيرها، إذ نقلت لنا العديد من المصادر التاريخية أخباراً غيبية أخرى تكلم عليها الإمام ولم يوردها الشـريف الرضـي في النهـج، وهناك بعض الروايا التاريخيـة اريخي قـد أشارت إلى أن الإمام علي (عليه السـلام) دوّن هـذه الغيبيات التي تعلمها من رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسلم) في صحيفة سميت الصحيف الصفراء والتي حوت في طياتها أخبار ما يكون من حوادث إلى قيام الساعة، وقد حاولنا الوصول إلى مصـير هذه الصـحيفة من دون جدوى، إذ إنها انتقلت من الإمام علي (عليه السـلام) إلى أبنائه أئمة اهل البيت (عليهم السـلام)، ثم ضاعت أخبارها، ولم تورد المصادر التاريخية أي خبر يسـتدل به عن مصـير هذه الصحيفة، وما تحمله من أخبار.

10- من خلال كلام الإمام علي (عليه السـلام) عن الغيبيات، وجـدنا أن الخبر الغيبي الوحيـد الذي تكلم عليه الإمام، وتحقق في زمنه في كتـاب نهـج البلاغـة هو عن الخوارج وعـدم عبورهم النهر، وأن مصارعهم دون ذلك النهر، وكـذلك حـديث الإمام عن عـدد من ينجو من الخوارج، وعدد من يقتل من أصـحابه، فهذا هو الخبر الغيبي الوحيد الذي شاهده الناس بأعينهم، ولعل السبب الحقيقي في ذلك أن الإمام أراد أن يثبت حقيقة هذه الفئة المنحرفة كذلك أراد أن يبرهن أمام جيشه وأتباعه مدى قدراته التي لا يحملها إنسان

عادٍ، وأنه الامتـداد الحقيقي لمدرسة رسول الله (صـلى الله عليه وآله وسـلم) وأن ما تحمله هذه الجماعة مجرد شـعارات برّاق مزيّفة هدفها خداع الناس وقلب الحقائق من أجل مصالح وأهواء شخصية.

11- كان للدولة الأموية النصـيب الأكبر من الأخبار الغيبية التي أخبر بها أمير المؤمنين (عليه السـلام) في كتاب نهج البلاغة، فكان يحذر من خطر هذه الدولة على الأمة الإسلامية، إذ تكلم على تصديها للخلافة من بعده وما سيحل على الأمة الإسلامية من ويلات ومخاطر من هذا الحكم وحذر الإمام من الخطر الداهم التمثل برجالات هذه الدولة بدءاً من معاوية بن ابي سفيان مروراً بمروان بن الحكم، وما سيحل بالأمـة منه ومن أبنائه، وأخيراً تكلم محـذراً من خطر الحجاج بن يوسف الثقفي على الأمـة، وما سـيحل بها من هذا الرجل، ثم ختم الإمام كلامه عن الدولة الأموية مبشراً بسقوطها بعدما حسب الناس أنهم مخلدون، ولعل السبب من كلام الإمام عن الأمويين وتحذيره للناس من حكمهم أنه أراد أن يحذر الناس من حجم الخطر المحدق بهم ويهيأهم لتحمل المصائب والويلات التي ستجرها هذه الدولة إليها، وفعلاً هذا ما حدث؛ إذ لا يجهل احد حجم ما نزل بالناس من ظلم بني أمية، وانتهاكاتهم للحرمات، واسـتهتارهم بالفضيلة حتى صار خلفناؤهم مثلاً في الظلم والفسق والتهتك.

12- كانت أغلب الأخبار الغيبية التي تحدث عنها أمير المنؤمنين (عليه السـلام) على هامش حروبه الثلاثة (الجمل، وصفين، والنهروان)، إذ كانت

معركة الجمل التي دارت رحاها في البصـرة، مسـرحاً للحديث عن هذه المدينة وما سـيحل بها في مسـتقبل الأيام، أما صفين فهي الأخرى كانت منبراً للحـديث عن هـذا العـدو المتمثل بالأمويين وخطرهم المحدق بالأمة الإسـلامية، بينما جاءت النهروان ليحذر الإمام فيها من خطر هذه الفئة المنحرفة عن الإسـلام، وخطورة ما يحمله هؤلاء الخوارج من أفكار منحرفة تؤثر في العقيدة الإسلامية، وقد كانت أكثر هذه الأخبار متفقاً عليها تاريخياً، ولم تقتصـر روايتها في نهج البلاغة فقط، بل روتها العديد من المصادر التاريخية الأخرى، لعل السبب الرئيس في ذلك هو كثرة الحاضـرين من جيش الإمام والذين سمعوا هذه الأحاديث وتناقلوها، فزاد عدد رواتها، وأصبحت موثقة أكثر من غيرها من الأخبار الغيبية الأخرى.

13- هنالك بعض الأخبار الغيبي ذكرها الشـريف الرضي في نهج البلاغة من غير التعليق عليها، ذلك لعدم تحقق تلك الأخبار حتى زمان الشـريف الرضـي مثل كلام أمير المؤمنين (عليه السـلام) عن فتنـة المغول، وما سـيحل بالبصـرة من تلك الفتنـة لكنها تحققت في ما بعد، كـذلك في آخر الزمان وظهور الإمام المهـدي (عجل الله فرجه) واللتان بقيتا الوحيدتان من الأخبار الغيبية التي وردت في نهج البلاغة ولم تتحقق إلى حدّ الآن.

****

ص: 256

روافد البحث

- القران الكريم

أولاً- المصادر

1. ابن الاثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات (ت606ه- 1210م)، النهاية في غريب الحديث، تحقيق: طاهر احمد الزاوي، ط4، مؤسسة اسماعيليان، إيران، 1314.

2. ابن الأثير، عز الدين ابو الحسن، (ت630ه- 1333م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، مطبعة انتشارات اسماعيليان، إيران، 1391ه، والكامل في التاريخ، دار صادر، لبنان، 1385ه 3. ابن الأزرقي، محمد بن عبدالله بن أحمد (597ه/ 1201م)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق، محمد بن عبد الرحمن، دار الفكر، لبنان، 1407ه 4. الأزهري، محمد بن احمد الهروي، (ت370ه- 981م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1401ه 5. الأصبهاني، إسماعيل بن محمد، (ت535ه/ 1141م)،، دلائل النبوة، تحقيق: مساعد بن سليمان، دار العاصمة للنشر والتوزيع، د. مط، د ت.

6. الأصطخري، إبراهيم بن محمد الكوفي، (ت346ه- 957م)، المسالك

الممالك، لبنان، د. مط، د. ت.

7. الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (356ه- 967م)، مقاتل الطالبيين، تحقيق: احمد صقر، ط4، مؤسس الأعلمي، لبنان، 1427ه 8. ابن أعثم الكوفي، أبو محمد أحمد، (ت314ه- 926م)، الفتوح، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء للنشر، لبنان1411ه 9. الأندلسي، أبو عبدالله بن حبان (ت745ه- 1344م)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، 1422ه 10. البحراني، كمال الدين بن ميثم (ن679ه- 1281م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: مير جلال الدين الحسيني، مشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، ايران، د. ت 11. البخاري، محمد بن إسماعيل (ت256ه- 870م)، التاريخ الكبير، تحقيق: محمد أزهر، مطبعة ديار بكر، تركيا، د. ت، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة، لبنان، 1401ه 12. البرقي، احمد بن خالد، (ت264ه- 888م)، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني، دار الكب الإسلامية، إيران، 1370ه.

13. ابن بطريق، يحيى بن الحسن، (ت600ه- 1203م)، عمدة عيون صحاح الاخبار في مناقب إمام الأبرار، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1407ه 14. ابن بطوطة، محمد بن عبد الله، (ت779ه- 1277م)، رحلة ابن بطوطة، مطبع الدار البيضاء، المغرب، د. ت 15. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت510ه- 1117م)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبدالله النمر، ط4، دار طيبة، السعودية، 1417ه

16. البيهقي، إبراهيم بن محمد، (ت320ه- 932م)، المحاسن والمساوئ، منشورات الشريف الرضي، لبنان، د. ت 17. البيهقي، ابو بكر بن الحسين (ت458ه- 1066م)، دلائل النبوة، ومعرفة صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، لبنان، د. ت، السنن الكبرى، دار الفكر، لبنان، د. ت 18. البيهقي ظهير الدين علي بن فندة (ت565ه- 1170م)، معارج نهج البلاغة، تحقيق: محمد تقي دانش، مطبعة بهمن، ايران، 1409 ه 19. ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، (ت874 ه- 1470م)، النجوم الزاهرة في سلوك مصر والقاهرة، مكتبة الإسكندرية، مصر، 1375ه 20. ابن تيمية، تقي احمد بن عبد الحليم، (ت728ه- 1328م)، الايمان الأوسط، تحقيق: محمود أبو سن، دار طيبة للطباعة، السعودية، 1422ه 1. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك (ت429ه- 1038م)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: علي محمد معوض، دار احياء التراث العربي، لبنان، 1418ه، فقه اللغة، تحقيق: مصطفى السقا، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، 1395ه، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1803ه 22. ابن الجوزي، جمال الدين عبد الرحمن (ت597ه- 1201م)، تلبيس إبليس، تحقيق: السيد الجميلي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1405ه، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن، دار الفكر، لبنان، 1407ه 23. الجوهري، إسماعيل بن حماد، (ت 393ه- 1003م)، الصحاح، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الأعلمي، مطبعة نشر الثقافة الإسلامية، لبنان، 1433ه

24. ابن ابي حاتم الرازي، عبد الرحمن محمد بن إدريس، (ت327ه- 938م)، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، الهند، 1371ه 25. الحاكم النيسابوري، محمد بن نعيم (321ه- 933م) المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1411ه 26. ابن حبان البستي، محمد بن احمد (ت354ه- 965م)، الثقات، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند، 1391ه، وصحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1414ه، والمجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، تحقيق: محمود إبراهيم، دار الصميعي، السعودية، د. ت.

27. ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي، (ت852ه- 1448م)، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1405ه، ولسان الميزان، ط2، مؤسسة الأعلمي، لبنان، 1390ه 28. ابن ابي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، (ت656ه- 1258م)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد أبو الفضل، لبنان، د. ت.

29. الحموي، ياقوت بن عبدالله الرومي، (ت626ه/ 1229م)، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1399ه، ومعجم الأدباء، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1399ه 30. الحميري، محمد بن عبدالله بن عبد المعنم، (ت900ه/ 1495م)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، مطبعة قم، إيمان، د. ت.

31. الخازن، علاء الدين علي بن محمد (ت741ه- 1341م)، لباب التأويل في معاني التنزيل، دار الكتب العلمية، لبنان، د. ت

32. الخزاز القمي، علي بن محمد (ت400ه/ 1010م)، كفاية الأثر، تحقيق: عبد اللطيف الحسني، الخيام، إيران، 1401ه 33. الخصيبي، أبو عبدالله الحسين بن حمدان (ت334 ه- 1043م)، الهداية الكبرى، ط4، مؤسسة البلاغة للطباعة، لبنان، 1411 ه 34. الخطيب البغدادي، ابي بكر احمد بن علي (ت463ه/ 1072م)، تاريخ بغداد، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، لبنان، 1417ه 35. ابن خلكان، أحمد بن إبراهيم الأردلي، (ت681ه- 1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1367 ه 36. الخوارزمي، الموفق بن احمد (ت568ه/ 1174م)، المناقب، تحقيق: مالك المحمودي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1414 ه 37. اب دحية الكلبي، عمر بن حسن الأندلسي، (ت633ه- 236م)، النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، د. ت.

38. ابن الدمشقي، شمس الدين أبي البركات، (ت871ه- 1467م)، جواهر المطالب في مناقب الإمام علي (عليه السلام)، تحقيق: محمد باقر المحمودي، دانش، ايران، 1415ه 39. الدميري، محمد بن موسى بن عيسى، (ت808ه- 1405م)، حياة الحيوان الكبرى، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د. ت.

40. الديار بكري، حسين بن محمد بن الحسين، (ت966ه- 1559م)، تاريخ الخميس، قم، إيران، 1399ه 41. الذهبي، شمس الدين محمد (ت748ه/ 1347م)، تذكرة الحفاظ، دار إحياء

التراث العربي، لبنان، د. ت، وسير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط9، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1413ه، والعبر في خبر من غبر، تحقيق: محمد بن سعيد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1405 ه 42. الرازي، زيد الدين محمد بن أبي بكر (666 ه- 1268م)، مختار الصحاح، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415 ه 43. الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحين بن محمد، (ت502ه- 1108م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، مؤسسة الأعلمي، لبنان، 1430ه 44. الراوندي، قطب الدين أبي الحسن هبة الله، (ت573 ه- 1178م)،الجرائج، والجرائح، تحقيق محمد باقر الابطحي، العلمية، ايران، 1409ه، وقصص الأنبياء، تحقيق: غلام رضا، مؤسسة الهادي، إيران، 1418ه 45. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة تحقيق: عبد اللطيف الكوهكمري، مطبعة الخيام، إيران، 1406 ه 46. الزمخشري، جار الله محمد بن عمر، (ت538 ه- 1143م)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، سوريا، 1385ه، وربيع الابرار، دار الكتب العلمية، لبنان، د. ت، وأساس البلاغة، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1288ه 47. السبزواري، محمد، (ت700ه- 1300م)، جامع الأخبار، تحقيق: علاء آل جعفر، مطبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، 1413ه 48. سبط ابن الجوزي، شمس الدين ابو المظفر (ت654ه- 1256م)، تذكرة الخواص، دار العلوم، لبنان، 1425ه

49. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت230ه- 785م)، الطبقات الكبرى، دار صادر، لبنان، د. ت.

50. ابن سلام الهروي، أبي عبيد القاسم (ت224ه- 838م)، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس المعارف العثمانية، الهند، 1484 ه 51. سليم بن قيس، الهلالي، (ت76 ه- 665م)، كتاب سليم بن قيس، تحقيق: باقر الأنصاري، مطبعة قم، 1398 ه 52. السمعاني، أبي سعد عبد الكريم (ت562ه/ 1167م)، الانساب، تحقيق عبدالله عمر البارودي، دار الجنان، لبنان، 1408ه 53. السمهودي، علي بن عبدالله (ت911ه/ 1506م)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 1423ه 54. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (911ه- 1505م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: وائل محمود الشرقي، دار الكتب العلمية، د. ت، 1428ه، والدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة، لبنان، د. ت، وطبقات المفسرين، دار الكتب العلمية، لبنان، د. ت، والعرف الوردي في أخبار المهدي مطبعة هستي، إيران، 1391 ه 55. ابن سيد الناس، محمد بن عبدالله، (ت734ه- 1334م)، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل واليسر، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1406ه 56. ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت458ه- 1066م)، المحكم والمحيط الأعظم، مطبعة إحياء التراث العربي، لبنان، 1394ه، والمخصص، مطبعة

الآفاق، مصر، 1300ه.

57. ابن شبة النميري، ابو زيد عمر (ت262ه- 876م)، تاريخ المدينة، تحقيق: محمد شلتوت، دار الفكر، لبنان، 1410ه.

58. ابن شـهر آشوب، مشير الدين محمد (ت588ه- 1092م)، مناقب ال أبي طالب، المطبعـة الحيدرية، العراق، 1376ه 59. الشريف الرضي، محمد بن الحسين (ت406ه- 1016م)، نهج البلاغة، تحقيق: محمد عبدة، دار الأندلس، لبنان، 1431ه.

60. الشهرسـتاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم (ت548ه- 1153م)، الملل والنحل، تحقيق: محمد سـيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان، 1404ه 61. الشـريف الإدريسي، ابو عبدالله محمد، (ت560ه- 1165م)، نزهـة المشـتاق في اختراق الآفاق، مطبعة عامل الكتب لبنان، 1409ه 62. الصاحب بن عباد، أبو القاسم إسماعيل، (ت385ه- 995م)، المحيط في اللغة، مطبعة وزارة الثقافة والفنون، العراق، د. ت.

63. الصـالحي الشامي، محمـد بن يوسف، (ت942ه- 1553م)، سـبل الهدى والرشاد، مطبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسـلامية، د. مـط، د. ت 64. الصـدوق، محمـد بن علي بابويه القمي، (381ه- 991م)، كمال الدين وتمام النعمة، مؤسـسة النشـر الإسلامي، إيران، 1405ه، والتوحيد، تحقيق: هاشم الحسيني، منشورات جماعة المدرسين، إيران، د. ت، والأمالي، مؤسسة البعثة، إيران، 1417ه 65. علل الشرائع، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، المكتبة الحيدرية، العراق، 1385ه

66. الصفدي، صلاح الدين، (ت764ه- 1363م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1420ه، ونكتب الهميان في نكت العميان، مطبعة البراق، لبنان، د. ت 67. الطبرسي، أمين الإسلام الفضل بن الحسن، (ت548ه- 1153م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: محسن العاملي، مؤسسة الأعلمي، لبنان، 1415ه، والاحتجاج، تحقيق: محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، العراق، 1386ه 68. الطبري، محمد بن جرير ت (310ه- 923م)، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: خليل الميسر، دار الفكر، لبنان، 1415ه، وتاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1415ه 69. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن طباطبا، (ت709ه- 1309م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، 1385ه 70. الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (460ه- 107م)، اختيار معرفة الرجال، تحقيق: مهدي الجرجاني، مطبعة بعثة، إيران، 1404ه، والتبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحمد حبيب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1409ه، والغيبة، تحقيق: عباد الله الطهراني، مطبعة بهمن، إيران، 1411ه، و الآمالي، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة، إيران، 1414ه، ورجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي، مؤسسة الناشر الإسلامي، إيران، 1415ه.

71. ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت953ه- 1546م)، أعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الكبرى، مطبعة دمشق، سوريا، 1394ه.

72. العارف الموصلي، شرف الدين عمر بن شجاع (ت657ه- 1235م)، مناقب آل محمد، تحقيق: علي عاشور، مؤسسة الأعلمي، لبنان، 1424ه 73. العاملي، زين الدين علي بن يونس، (ت877ه- 1472م)، الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، تحقيق: محمد الباقر اليهودي، مطبعة الحيدري، إيران، 1384ه 74. ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله، (ت463ه- 1071م)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد البجاوي، دار الجيل، لبنان، 1412ه 75. ابن عبد السلام، عز الدين ابن عبد العزيز، (ت660ه- 1262م)، تحقيق: عبدالله بن إبراهيم، دار ابن حزم، لبنان، 1416ه 76. ابن عدي، ابو احمد عبدالله الجرجاني، (ت365ه- 976م)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار، دار الفكر، لبنان، 1409ه 77. ابن عساكر علي بن الحسن بن عبدالله، (ت571ه/ 1176م)، تاري دمشق، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، لبنان، 1415ه 78. عبد الرحمن بن محمد، (ت808ه- 1406م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ط4، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د. ت.

79. عز الدين الحلي، الحسين بن سليمان (ت القرن التاسع الهجري)، مختصر بصائر الدرجات، المطبعة الحيدرية، العراق، 1370ه 80. ابن عنبة، جمال الدين احمد بن علي (ت828ه- 1425م)، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب، تحقيق: محمد حسن الطالقناني، ط2، منشورات المطبعة الحيدرية، العراق.

81. العيني، بدر الدين محمد بن احمد، (ت855ه- 1451م)، مغاني الأخيار في

رجال معاني الآثار، مطبعة السعادة، مصر، د. ت 82. الفتال النيسابوري، زين المحدثين محمد (ت508ه- 1114م)، روضة الواعظين، تحقيق: محمد مهدي الخرسان، مطبعة الشريف الرضي، إيران، د. ت.

83. ابن ابي الفتح الأربلي، علي بن عيسى (ت693ه- 1293)، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق: جعفر السبحاني، دار الأضواء، لبنان، 1405ه 84. ابو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي، (ت732ه- 1331م)، المختصر في أخبار البشر، تحقيق: يحيى سيد حسين، دار المعارف، مصر، 1419ه 85. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل (ت170ه/ 786م)، العين، تحقيق: د.

مهدي صالح المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، ط2، مؤسسة دار الهجرة، إيران، 1409 ه 86. الفيروزآبادي، مجد الدين محمد (ت807 ه- 1405م)، القاموس المحيط، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1433 ه 87. القاضي نعمان المغربي، محمد التميمي المغربي (ت363ه- 937م)، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، تحقيق: محمد الحسيني، ط2، مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، إيران، 1414ه 88. ابن قتيبة الدينوري، محمد بن مسلم (ت276ه- 889م)، الأخبار الطوال، المكتبة العربية، العراق، 1385ه، والامامة والسياسة، تحقيق: علي شيري، مطبعة امير، ايران، 1413ه، والمعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر.

89. القرطبي، شمس الدين بن محمد (670ه- 1273م)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العظيم، ط2، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1405ه.

90. ابن قنفذ، أبو العباس الخطيب القسطنيطيني (ت809ه- 1407م)، الوفيات،

تحقيق:ة عاد نويهض، دار الاقامـة الجديدة، لبنان، 1398ه 91. الكتبي، ابن شاكر محمد بن احمد، (ت764ه- 1363م)، فوات الوفيات، تحقيق: عادل احمد عبد الموجود، دار الكتبة العلمية، لبنان، 1421ه 92. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت774ه- 1372م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد، ط2، دار طيبة، السعودية، 1420ه، والبداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، لبنان، 1408ه 93. الكليني، محمـد بن يعقوب، (ت329ه- 1002م)، الكـافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط5، دار الكتب الإسلامية، إيران، 1363ه 94. الكوفي، محمد بن سـليمان (ت300ه- 912م)، مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السـلام، تحقيق: محمـد باقر المحمودي، النهضة، إيران، 1412ه 95. الكندي، أبو عمرو محمد بن يوسف، (ت35ه- 966م)، تسمية ولاة مصر، مطبعة القاهرة، مصر، د. ت.

96. ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (ت273ه- 1887م)، سنن اب ماجة، تحقيق: محي فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، لبنان، د. ت.

97. مالك بن أنس، ابن مالك المـدني (ت179ه/ 795م)، الموطأ، تحقيق: محمد مصـطفى الاعظمي، مؤسـسة زايد بن سلطان آل نهيان، الامارات، 1425ه 98. الماوردي، أبو الحسن علي (ت450ه- 1058م)، النكت والعيون، دار الكتب العلمية، لبنان، د. ت.

99. المبرد، ابو العباس محمـد بن يزيـد، (286ه- 899م)، الكامل في اللغـة والأدب، دار الكتب العلميـة، لبنان، 1400ه 100. المتقي الهندي، علاء الدين علي، (ت975ه/ 1567م)، كنز العمال،

تحقيق: بكري حياتي، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1409ه 101. المحب الدين الطبري، احمد بن عبدالله، (ت694ه- 1295م)، ذخائر العقبى، مكتبة المقدسي، مصر، 1256ه 102. المحب الطبري، محمد بن جرير بن رستم الحمامي (القرن الرابع الهجري)، المسترشد في إمامة أمير المؤمنين، تحقيق: علي أكبر الغفاري، مطبعة سلمان الفارسي، إيران1415ه 103. ابن مردويه، احمد بن موسى الاصفهاني (ت410ه- 1019م)، مناقب علي بن ابي طالب، تحقيق: عبد الرزاق محمد حسين، دار الحديث، لبنان، 1424ه 104. المديني، محمد بن عمر (ت581ه- 1185م)، خصائص مسند الإمام احمد، مكتبة التوبة، الرياض، د. ت، ج6.

105. المرزباني، أبو عبيد الله بن عمران، (ت384ه- 994م)، معجم الشعراء، دار صادر، لبنان، د. ت، والموشح، مطبعة الأعراف، تونس، د. ت.

106. المزي، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن، (ت742ه- 1341م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ،ط4، تحقيق: بشار عواد محسن، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1406ه 107. المسعودي، أبو الحسن علي (ت346ه- 957م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد هشام النعسان، دار المعرفة، لبنان، 1426ه 108. اثبات الوصية، دار الأضواء، لبنان، د. ت.

109. التبيه والإشراف، تحقيق: عبدالله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة، 1357ه

110. ابن المطهر، الطاهر المقدسي، (ت355ه- 966م)، البدء والتاريخ، مطبعة المعارف، العراق، د. ت.

111. المفيد، محمد ب النعمان العكبري (ت413ه/ 1023م)، أبو عبدالله محمد بن النعمان، (ت413ه- 1023م)، الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين، ط2، تحقيق: مؤسسة البعثة، دار المفيد للطباعة، لبنان، 1414ه 112. الارشاد في معرفة حجج الله على العباد، ط2، تحقيق: مؤسسة آل البيت، دار المفيد للطباعة والنشر، لبنان، 1414ه 113. الاختصاص، تحقيق: علي أكبر الغفاري، ط2، دار المفيد، لبنان، 1414ه 114. المقريزي، تقي الدين احمد بن علي، (ت845ه- 1441م)، المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار، تحقيق: أيمن فؤاد السيد، مؤسسة الفرقان، مصر، 1422ه 115. امتاع الاسماع، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، لبنان، 1420ه 116. ابن المنادي، أبو الحسين احمد بن جعفر، (336ه- 947م)، الملاحم، دار السيرة، إيران، د. ت.

117. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، (ت711ه- 1311م)، لسان العرب، دار أدب الحوزة، إيران، 1405ه 118. الموفق الخوارزمي، ضياء الدين المؤيد (ت568ه- 1172م)، مقتل الحسين، تحقيق: العلامة السماوي، مطبعة الزهراء، 1266م، اللهوف في قتلى الطفوف، مهر، إيران1417ه 119. ابن النديم، أبو الفرج البغدادي (ت438ه- 1047م)، الفهرست، تحقيق:

رضا تجدد، مطبعة شـهيد علي باشا، إيران، 1400ه 120. النسائي، ابو عبـد الرحمن احمد (ت353ه- 915م)، خصائص أمير المؤمنين علي بن ابي طـالب، تحقيق: أحمـد ميرين البلوشـي، مكتبـة المعلى، 1406ه 121. النسـفي، أبو البركات عبـدالله بن محمود (ت710ه- 1038م)، مدارك التفسير وحقائق التأويل، لبنان، د. ت.

122. أبو نعيم الاصـبهاني، احمـد بن عبـدالله (ت430ه- 1038م)، حليـة الاولياء وطبقات الاصـفياء، ط4، دار الكتب العربي، لبنـان، 1405ه 123. نصـر بن مزاحم، بن سـيار المنقري (ت212ه- 827م)، وقعة صـفين، تحقيق: عبد السـلام هارون، مطبعة المدني، مصر، 1382ه 124. النعماني، محمد بن إبراهيم الكاتب، (ت380ه- 990م)، الغيبة، تحقيق: فارس حسون كريم،، مطبعة مهر، إيران، 1422ه 125. ابن هشام، محمد الحميري، (218ه- 833)، السيرة النبوية، تحقيق: محمد محي المدني، مصر، 1383ه 126. الهيثمي، نور الدين علي (ت807ه- 1404م)، مجمع الزوائـد ومنبع الفوائـد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1408ه 127. الواحـدي، علي بن احمد، (486ه- 1076م)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار الشامية، سوريا.

128. اليافعي، عبدالله بن أسعد، (ت768ه- 1367م)، مرآة الجنان في معرفة حوادث الزمان، مطبعة طهران، د. ت.

129. اليعقوبي، أحمد بن اسحاق (ت292ه- 905م)، تاريخ اليعقوبي، دار

الكتب العلمية، لبنان، 1419ه

ثانياً- المراجع

130. أحمدي مهدي، تاريخ الشيخ محمد جواد مغنية، مطبعة المجتمع العلمي للتقريب بين المذاهب، إيران، د. ت.

131. آغـا بزرك، الطهراني، (ت1389 ه- 1969م)، الذريعـة، ط3، دار الأـضواء لبنـان، 1403 ه 132. طبقـات أعلام الشـيعة، مطبعة منصوريان، إيران، 1395ه 133. الآلوسي، شهاب الدين، (ت1270ه- 1854م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، لبنان، د. ت.

134. الأميني، عبـد الحسـين (ت1392 ه- 1971م)، الغدير، ط4، دار الكتـاب العربي، لبنـان، 1397ه 135. شـعراء الغدير في القرن التاسع، المطبعة الحيدري، العراق، 1389ه 136. علم أئمة الشيعة بالغيب، المطبعة الحيدرية، العراق، د. ت.

137. البحراني، هاشم، (ت1107ه- 1795م)، غاية المرام وحجة الخصام، تحقيق: علي عاشور.

138. البرزنجي، محمد بن عبد الرسول الشـهروزي، (ت1013ه- 1605م)، الإشاعـة لاشتراط الساعة، تحقيق: موفق فوزي الجبير، ط2، دار النمر للطباعة، سوريا، 1416ه 139. التستري، محمد تقي، بهج الصباغة، في شرح نهج البلاغة، مطبعة ايران، 1418ه 140. الحائري، محمد حازم القزويني، شرح نهج البلاغة، مطبعة النعمان، العراق،

1378 ه 141. الحر العـاملي، محمـد بن الحسن (ت1104 ه- 163م)، وسائل الشـيعة إلى تحصـيل مسائل الشريعة، ط5، تحقيق: عبد الرحيم الشـيرازي، دار إحياء التراث العربي، 1403 ه 142. الحلبي، علي بن برهان، (ت1044ه/ 1632م)، علي بن برهان، السيرة الحلبية في سـيرة الأمين والمأمون، دار المعرفـة، لبنان، 1400 ه 143. الخوئي، حبيب الله، منهاج البلاغـة في شـرح نهـج البلاغة، تحقيق: علي، عـاشور، دار احيـاء التراث العربي، لبنـان، 1422 ه 144. الخوئي، أبو القـاسم، معجم رجـال الحـديث، ط5، د. ط، د.م، 1413 ه 145. الريشـهري، محمـد، ميزان الحكمة، مطبعة دار الحديث، إيران، 1416ه 146. الزبيـدي، محب الدين أبي الفيض (ت1205ه/ 1790م)، تـاج العروس من جـواهر القـاموس، تحقيق: علي شـيري، دار الفكر، لبنـان، 1341 ه 147. الزرقاني، محمـد عبـد العظيم، (ت1367ه- 1948م)، مناهـل العرفـان، دار الفكر، لبنـان، 1415 ه 148. الزركلي، خير الـدين، (ت1396 ه- 1976م)، موسوعـة الأعلام دار العلم للملايين، لبنان، 1400ه 149. السبحاني، جعفر، مفاهيم القرآن، مؤسسة الإمام الصادق، إيران، د. ت.

150. سبيـتي، يوسـف علي، نهــج البلاغـة في دائرة التشــكيك، دار الهـادي، لبنـان، 1427 ه 151. السـعدي، عبـد الرحمـن بن ناصـر (ت1367ه- 1957م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: ابن عثيمين، الرسالة، لبنان، 1421ه

152. أبو السعود، محمد بن مصطفى، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د. ت.

153. الشاكري، حسين، ربع قرن مع العلامة الأميني، ستارة، إيران، 1417ه 154. شمس الدين، محمد مهدي، (ت1421ه- 2001م)، دراسات في نهج البلاغة، ط2، دار الزهراء، لبنان، 1392ه 155. الشوكاني، محمد بن علي، (ت1350ه- 1834م)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، عالم الكتب للمطبوعات، لبنان، 1402ه.

156. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مؤسسة البعثة، لبنان، د. ت.

157. ناصر مكارم الشيرازي، نفحات الولاية في شرح نهج البلاغة، ط2، دار جواد الأئمة، لبنان، 1430ه 158. الطباطبائي، محمد حسين (ت1412ه- 1992م)، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي، لبنان.

159. الطريحي، فخر الدين النجيفي، (ت1085ه- 1674م)، مجمع البحرين، ط2، تحقيق: احمد الحسيني، مكتبة النشر الإسلامي، إيران، 148ه 160. العاملي، جعفر مرتضى، علي والخوارج، المركز الإسلامي للدراسات، لبنان، 1422ه 161. العاملي، محسن الأمين، (ت1371ه- 1952م)، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، لبنان، 1403ه 162. فتح الله احمد، معجم ألفاظ الفقه الجعفري، مطبعة المدوخل، السعودية، 1415ه

163. الفيض الكاشاني، محمد بن محسن (ت1091ه- 1680م)، التفسير الصافي، ط2، مؤسسة الهادي، إيران، د. ت.

164. القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، (ت1294ه- 1877م)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: علي جمال الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، د.م، 1146ه 165. الكوراني، علي، السيرة النبوي، ط2، دار المرتضى، لبنان، 1430ه 166. المحرقي، علي، محمد جواد مغنية مسيرته، وعطاؤه، مطبعة فخراوي، البحرين، 1417ه 167. المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، د. ت.

168. المراغي، أحمد مصطفى، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، د. ت.

169. ابن معصوم، صدر الدين علي خان المدني، (ت1119ه- 1707م)، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، ط2، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، مكتبة بصيرتي، إيران، 1397ه 170. الموسوي، صادق، تمام نهج البلاغة، تحقيق: محمد عساف، مؤسسة الاعلمي، لبنان، 1426ه 171. ميردمادي، عبد المجيد، موسوعة الرسول المصطفى، ط2، مطبعة انتشارات سنبلة، إيران، 1429ه 172. أحمد الوائلي، ديوان الوائلي، تحقيق: سمير شبح الأرض، دار سلوني، لبنان، 1428ه

173. ابن طاووس، رضي الدين علي بن موسى، (ت664ه- 1266م)، الملاحم والفتن، تحقيق: مؤسسة صاحب الأمر، مطبعة نشاط، إيران، 1416ه، 144.

174. ابن عبد ربه، شهاب الدين الأندلسي (ت328ه/ 940م)، العقد الفريد، مطبعة العلم، المغرب، د. ت.

175. الصاغاني، العباب الزاخر.

176. الذهبي، تاريخ الإسلام.

177. محمد جواد مغنية، في ظلال نهج البلاغة.

178. ابن دريد، جمهرة اللغة.

179. المجلسي، بحار الأنوار.

180. ابن خلدون، تاريخ اب خلدون.

181. ابن الجوزي، المنتظم.

182. أحمد بن محمد بن حنبل (ت241ه/ 855م)، مسند احمد، تحقيق: شعيب الارناؤوط، مؤسسة قرطبة، مصر، د. ت 217. النسائي، سنن النسائي 218. ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية 219. البلاذري، احمد بن يحيى (ت279ه/ 892م)، انساب الاشراف، تحقيق: محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، 1394ه، 2/ 454 220. الجاحظ، البيان والتبيين 221. الطبراني، أبي القاسم سليمان (ت360ه/ 971م)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد، ط2، دار احياء التراث العربي، لبنان، د. ت 222. المفيد، محمد بن النعمان بن عبد السلام (413ه/ 1023م)، الجمل، مطبعة

الداوري، إيران، 13398ه، 107 223. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، (911ه- 1505م)، نظم العقبان، دار البيارق، السعودية، 1395 ه 224. الخطيب، عبد الزهراء الحسيني، مصادر وأسانيد نهج البلاغة، ط3، مطبعة الاضواء، لبنان، 1405 ه 225. أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني.

226. أحمد أمين، فجر الاسلام،، (ت1373- 1954م)، مكتبة النهضة، مصر.

227. الهاشمي، علي بن الحسين، وقع النهروان، مؤسسة المفيد، لبنان، 1396ه 228. ابن المغازلي، علي بن محمد الشافعي (ت483ه/ 1091م)، مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، دار الاضواء، لبنان، د. ت.

229. ابن كثير، السيرة النبوية.

230. ابن طاووس، التحصين.

ثالثاً- الرسائل والأطاريح

183. الفحام، عباس علي، الأثر القرآني في نهج البلاغة، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، كلية الفقه، (1429ه- 2009م).

184. نصر الله، جواد كاظم، شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد المعتزلي رؤية اعتزالية عن الإمام علي (عليه السلام) دراسة وتحقيق، أطروحة دكتوراه، جامعة البصرة، كلية الآداب (1422ه- 2002م).

المحتويات

مقدمة المو سسة...9

مقدمة الكتاب...11

الفصل الأول الغيب في القرآن الكريم والأنبياء الذين اطلعهم الله على الغيب

المبحث الأول: الغيب في القرآن الكريم...21

أولاً:- الغيب في اللغة:...21

ثانياً:- الغيب في القرآن:...24

ثالثاً- أنواع الغيب:...29

رابعاً- الغيب في القرآن الكريم:...31

خامساً- الأخبار الغيبية في القرآن الكريم:...33

المبحث الثاني:

الغيب عند الأنبياء (عليهم السلام) والصالحين...42

أولا: الأنبياء عليهم السلام:...42

ثانياً: الصالحين:...56

المبحث الثالث: الغيب عند النبي محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)...61

أولاً- أخبار الرسول الغيبية عن مصير أصحابه:...62

ثانياً- أخبار الرسول الغيبية عن أهل بيته:...70

ثالثاً- أخبار الرسول الغيبية عن الدولة الأموية:...86

رابعاً- أخبار الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الغيبية عن الدولة العباسية:...96

الفصل الثاني

الأخبار الغيبية عن الخوارج والدولة الأموية

المبحث الاول: الخبار الغيبية عن الخوارج...103

المبحث الثاني:الخبار الغيبية عن الدولة الاموية...138

أولاً:- سيطرة الأمويين على الخلافة:...138

ثانياً:- معاوية بن أبي سفيان:...151

ثالثاً:- مروان بن الحكم:...161

رابعاً- عبد الملك بن مروان:...166

خامساً- الحجاج بن يوسف الثقفي:...170

سادساً- سقوط الدولة الأموية:...174

الفصل الثالث الأخبار الغيبية عن العراق وفتن آخر الزمان وعصر ظهور الإمام المهدي صلى الله عليه و آله و سلم

المبحث الاول: الاخبار الغيبية عن العراق...183

أولا- البصرة:...183

ثانياً- الكوفة:...201

المبحث الثاني: الاخبار الغيبية عن فتن آخر الزمان و عصر ظهور المام المهدي...212

أولاً- الأخبار الغيبية عن فتن آخر الزمان:...212

ثانياً- الأخبار الغيبية عن الإمام المهدي:...227

الخاتمة الخاتمة:...247

روافد البحث...257

أولاً- المصادر...257

ثانياً- المراجع...272

ثالثًا- الرسائل والأطاريح...277

المحتويات...279

ص: 280

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹